المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم

جامعة القصيم

كلية: الشريعة والدراسات الإسلامية

قسم: العقيدة والمذاهب المعاصرة



مواقف المستشرقين من أمهات المؤمنين
عرض ونقد

Orientalist attitudes of mothers of the believers
Presentation and criticism

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير
في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

إعداد الطالبة:

أفنان بنت عيادة العيادة

الرقم الجامعي (٣٠٢٨٠٢٣٢٦)

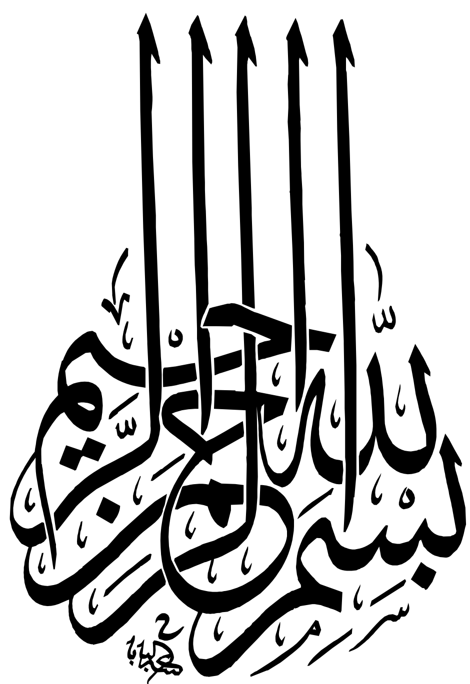
إشـراف

الدكتور/ عبد الله موسى يعقوب أمين

الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة القصيم

١٤٣٨هـ ٢٠١٦م


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

أشكر الله أولاً وأخراً وأحمده ظاهراً وباطناً على ما يسر لي من إتمام هذا البحث ثم أتشرف بالشكر الجزيل لوالدي الكريمين الذين كان لهما الفضل في تشجيعي ومواصلتي لهذا البحث ، كما أتوجه بالشكر لكل من شاركني عناء البحث ، ولكل من ساعدني وأعانني فيه بعد الله برأي أو مرجع أو فكرة أو إحالة .

وأخص بالشكر الأستاذ الدكتور عبد الله موسى يعقوب المشرف على هذه الرسالة ، لنصحه وتوجيهه ، وبذله وقته وجهده في سبيل الارتقاء بهذا البحث ، وعلى ما تفضل به من الدعم والتشجيع طوال إعداد فترة البحث .

وأخيرًا: أشكر جامعة القصيم ممثلة في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، وفي قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة جزاء ما قدموه لي ولطلاب وطالبات الدراسات العليا من خدمات جليلة؛ تسهيلاً لطلب العلم وترغيباً في البحث والتحصيل العلمي المنضبط والبناء .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

مواقف المستشرقين من أمهات المؤمنين
عرض ونقد

أفنان بنت عيادة العيادة

ملخص الرسالة:

لقد كانت وما زالت قضايا المستشرقين من المسائل اللتي يدور حولها الجدل بين الفكر الإسلامي والأديان الأخرى حيث سعى كثير من المستشرقين في محاولة تشويه دين الإسلام والنيل من ثوابته ، والخوض في غمار التأريخ والسيرة النبوية وكان لها النصيب الأكبر ، إذ هي معقل الإسلام وحصنه المنيع الذي إذا انكسر بابه في القلوب تصدع البيت بما فيه .

وقد اقتضت هذه الدراسة عرض مواقف المستشرقين من أمهات المؤمنين رضي الله عنهن وإبراز أهم مواقفهم وكتاباتهم حول أسباب زواج النبي صلى الله عليه وسلم بأمهات المؤمنين رضي الله عنهن وتعدد أزواجه صلى الله عليه وسلم وطبيعة زواجه ، وبينت أراءهم في صفات وأخلاق أمهات المؤمنين رضي الله عنه ، كما بينت أراءهم في مكانة أمهات المؤمنين وتفاضلهن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمناقب التي حازت وظفرت بهن أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ، وعلاقتهن بالخلفاء الراشدين وبقية الصحابة رضي الله عنهم بعد وفاته عليه الصلاة والسلام .

وهدفت إلى إيضاح وكشف كتابات المستشرقين ومناقشة آراوهم ومواقفهم في سير أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ونقدها على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة ، كما هدفت إلى إيضاح أسلوبهم ودسهم في السيرة النبوية .

وقد استدعت طبيعة الرسالة أن تتكون من مقدمة وتمهيد و خمسة فصول .

تحدثت في التمهيد عن مفهوم الاستشراق وأهم أهدافه، ثم عرضت في الفصل

الأول منها أهم مواقف المستشرقين من زواجه صلى الله عليه وسلم بأمهات المؤمنين رضي الله عنهن وناقشت شبهاتهم في تعدد زيجاته عليه الصلاة والسلام ، وفي الفصل الثاني تناولت أهم مواقفهم من صفات أمهات المؤمنين رضي الله عنهن الخَلقية والخُلقية ، وفي الفصل الثالث تناولت أهم مواقفهم في تفاضل أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ومكانتهن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي الفصل الرابع بينت أبرز مواقفهم في مناقب أمهات المؤمنين وما سبقت به خديجة وعائشة رضي الله عنهن، وفي الفصل الخامس عرضت أهم مواقفهم من علاقة أمهات المؤمنين بالصحابة رضي الله عنهم.

Message summary

Orientalist attitudes of mothers of the believers
Presentation and criticism
Afnan bent Ayyadh ALeidah
:Message summary

It was what the Orientalists issues which matters still revolves around the controversy between Islamic thought and other religions, where many Orientalists sought in trying to discredit the religion of Islam and the Nile from its basic elements, and wading in the midst of history and biography of the Prophet and have had the largest share, because it is the bastion of Islam impregnable and his fort that if He broke .his door in the hearts cracked home including

The study was necessitated display the positions of the Orientalists of the Mothers of the Believers God bless them and to highlight the most important attitudes and writings about the marriage of the Prophet, peace be upon the reasons for him mothers faithful God bless them and the multiplicity of wives may Allah bless him and the nature of his marriage, and showed their views on the qualities and ethics Mothers of the Believers may Allah be pleased with him, their views on the status of the mothers of the believers and also showed Tfadilhn when the Messenger of Allah, peace be upon him, and the qualities which have earned and conquered them mothers of the believers God bless them, and their relationship caliphs adults and the rest of the companions, God bless .them after his death, peace be upon him

And aimed to clarify and expose the writings of Orientalists and discuss their positions and see them in the course of the mothers of the faithful God bless them and criticize them in the light of the doctrine of the Sunnis and the community, also it aimed .to clarify their style and Dshm in the Biography of the Prophet

The nature of the letter was summoned to consist of an introduction and preliminary .and five chapters

I talked to boot from the concept of Orientalism and the most important objectives, and then presented in the first chapter of which the most important positions of the Orientalists of his marriage may Allah bless him and mothers of the faithful God bless them and discussed the specious arguments in multiple marriages peace be upon him, and in the second chapter dealt with the most important positions of the qualities of mothers of the believers may Allah be pleased moral and ethical about them, and in the third chapter dealt with the most important positions in the differentiation of the mothers of the faithful God bless them and their status when the Messenger of Allah, peace be upon him, and in the fourth quarter showed the most prominent positions in the virtues of the mothers of the faithful and preceded by Khadija and Aisha, God bless them, and in the fifth chapter presented the most important their positions on the .relationship Balsahabp mothers of the believers, God bless them

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله – صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم –.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النساء: ١]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب: ٧٠ – ٧١].

أما بعد:–

فإن من أصول الدين، واعتقاد أهل السنة والجماعة، وجوب محبة النبي ﷺ كما أخبر بذلك النبي ﷺ في الحديث الصحيح بقوله: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»[(١)].

وإن من مقتضيات محبته – عليه الصلاة والسلام – محبة آل بيته؛ فقد أوصى بهم، وبمحبتهم، وحفظ حقوقهم، كما روى الإمام مسلم في صحيحه، عن زيد بن أرقم رضي الله عنه أنه قال: قام رسول الله ﷺ يومًا فينا خطيبًا بِمَاءٍ يُدْعَى خُمًّا[(٢)] بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَوَعَظَ وَذَكَّرَ ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ أَلاَ أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ،

---

(١) صحيح البخاري، ح١٥، كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ، ١/ ١٢. صحيح مسلم، ح٤٤، كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد، والوالد والناس أجمعين، ١/ ٦٧.

(٢) خما: اسم لغيضة على ثلاثة أميال من الجحفة، غدير مشهور يضاف إلى الغيضة، فيقال غدير خم. معجم البلدان، ياقوت الحموي، ط ٢، ٢/ ٣٨٩، (دار صادر، بيروت، ١٩٩٥ م).

وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ، فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ». فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ ثُمَّ قَالَ «وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي»(١).

ومن آل بيته أزواجه أمهات المؤمنين الأطهار، حيث حضت الشريعة على تولي أزواج النبي ﷺ ومحبتهن ومعرفة قدرهن، والترضي عنهن، واعتقاد أنهن أمهات المؤمنين أزواج النبي ﷺ في الدنيا والآخرة.

قال الله تعالى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ ﴾ [الأحزاب: ٦] فهن أهل بيته وأهل مودته، صفوة نساء الدنيا، أقرب الناس إلى القدوة به، وأعظم النساء تعلمًا في مدرسة النبوة، ضاعف الله لهن الأجر، ووعدهن بالرزق، فلهن التبجيل والتوقير، والسبق والفضل.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣١].

ولما كانت قضايا المستشرقين من المسائل التي يدور حولها الجدل بين الفكر الإسلامي والأديان الأخرى، إذا لا بد لكل مطّلع على كتاباتهم ورسائلهم المطروحة، والتي اعتمدوا فيها على مصادر ومناهج مدروسة، حيث ينتسب هؤلاء إلى فرق ومدارس لها أهداف خاصة، ومناهج محدده في الدراسات المعرفية للإسلام والمسلمين، لا بد له أن يجد أمورًا شنيعة يلزم الوقوف عليها والرد على أصحابها، وتتلخص هذه الكتابات في محاولة التشويه لدين الإسلام، والسعي للنيل من ثوابته ومبادئه ورموزه، وقد أكثر المستشرقون من الخوض في غمار التأريخ الإسلامي، والسيرة النبوية، وكان لها النصيب الأكبر، إذ هي معقل الإسلام وحصنه المنيع الذي إذا انكسر بابه في القلوب تصدّع البيت بما فيه، ولذلك ألفوا فيها مؤلفات عديدة، وأنشأوا مراكز للأبحاث حديثة، حتى غدا من العسير متابعة كل ما يطرح فيها من مقالات، ومع كثرة بحوثهم ومصنفاتهم وتنوعها، إلا أن قضايا أمهات المؤمنين في كتاباتهم مازالت تعاني من عدم

(١) صحيح مسلم، ح٢٤٠٨، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب، ٤/ ١٨٧٣.

فحصها وتمحيصها، وظلت بحاجة لمن يكشف الستار ويبين المزالق والعوار؛ لأنها متعلقة بباب من أهم أبواب الدين، وهو اعتقاد المسلمين في أمهات المؤمنين، والمستقرئ لكتاباتهم يهوله كثرة ما وُقع في أعراضهن ودياناتهن – رضي الله عنهن –، ويستوقفه ما حصل فيه من تجاوزات جسام؛ حتى يكاد المتابع يعجز عن سبر ما كُتب عنهن، ويصعب عليه لملمة أطرافه، ويعسر عليه تحصيل مناهجه واستنتاج مآلاته؛ كي يخرج منها بصورة واضحة دقيقة؛ تجمع شمله وتلملم شتاته، ومع وعورة كتابات المستشرقين وضخامتها إلا أنه يسهل إدخال السمّ في العسل بين ثنايا كتاباتهم، وقد يصعب إخراجه إلا بدقة وتمحيص؛ ومن هنا كانت قضايا أمهات المؤمنين في كتابات المستشرقين من أهم المسائل وأعمقها خطورةً، ومما زاد من أهميتها سعة الانتشار الواسع لكتب المستشرقين، وأنّ كثيرًا من قرّاءها لا يمتلكون رؤية واضحة عن الأصول والمنطلقات التي ينطلقون منها، ومما زاد تشعّب القول؛ كثرة الاضطراب فيها، وتنوّع منطلقات الخائضين في تدوينها، وتعدّد السياقات والمقامات التي يتمّ تناولها من خلالها؛ ولهذا فينبغي للباحث المسلم أن يقف على ما تضمنته كتاباتهم، وأن يلمّ بأهدافهم ومصادرهم، ويكون له اطّلاع واسع بكل ما يمسّ العقيدة الإسلامية، أو يهاجم قدواتها، ويهدف هذا البحث إلى أن يكشف اللثام عن وعورة مداخلهم وغموض مآلاتهم.

وقد مَنَّ الله عليّ بالمشاركة في هذا الباب، فأردت تبيان هذه الكتابات المغرضة، والآراء المتباينة بين المستشرقين، والردّ على المخالف منها للحقّ والصواب، بالأدلّة الصحيحة المبنيّة على النقل الصحيح والعقل الصريح، بعنوان (**مواقف المستشرقين من أمهات المؤمنين رضي الله عنهن عرض ونقد**).

مشكلة البحث:

يجيب هذا البحث عن عدة تساؤلات وتتمثل في:

١- ما هي مواقف المستشرقين من أمهات المؤمنين ؟

٢- ما هي مواقف المستشرقين في كتاباتهم حول زواج النبي ﷺ بأمهات المؤمنين؟

٣- ما هي المصادر التي اعتمدها المستشرقون في كتاباتهم عن أمهات المؤمنين ؟

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- المنزلة العالية التي تتبوؤها أمهات المؤمنين؛ لشرف القرابة من النبي ﷺ، وشرف الصحبة.

٢- اعتماد كثير من الغربيين في تصورهم عن الإسلام على ما كتبه المستشرقون عنه.

٣-تركيز المدرسة الاستشراقية واهتمامها بدراسة كل ما يخصّ النبي ﷺ، وهذا يُوجب الوقوف على كتاباتهم وتمييزها؛ لخطورة الأساليب والطرق التي يتناولون بها هذا الموضوع.

٤- المفاهيم والآثار الفكرية التي خلفتها الكتابات الاستشراقية في نفوس بعض المسلمين.

أهداف الموضوع:

١- معرفة مواقف وآراء المستشرقين من أمهات المؤمنين.

٢- سبر مواقف المستشرقين في كتاباتهم حول زواج النبي ﷺ بأمهات المؤمنين.

٣- التعرف على المصادر التي رجع إليها المستشرقون في كتاباتهم حول أمهات المؤمنين.

٤- نقد كتابات المستشرقين في أمهات المؤمنين وبيان مدى قربها من المنهج العلمي المتبع أو بعدها عنه.

٥- إبراز المواقف المعتدلة والمنصفة في كتاباتهم مع قلّتها، حتى يُقابل بها تلك المؤلفات المغرضة.

حدود البحث:

سيكون حدود بحثي حول ما كتبه المستشرقون في كتبهم - المترجمة إلى العربية - عن أمهات المؤمنين أزواج النبي ﷺ ومن في حكمهن كإمائه، دون التعرض لغيرهن من نساء المؤمنين.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والاطلاع -حسب علمي- لم أجد دراسة شاملة تعرّضت لإيضاح مواقف ومصادر المستشرقين في الكتابة عن أمهات المؤمنين.

وهناك ثمة رسائل وبحوث توهم أنها تناولت هذا الموضوع لكن عند التدقيق والنظر والرجوع إليها أجد أنها لا تغطي ذلك على وجه الاستيعاب والكمال، ومن تلك الرسائل والبحوث:

١-(مناهج المستشرقين ومواقفهم من النبي ﷺ عرض ونقد في ضوء العقيدة الإسلامية) رسالة دكتوراه بكلية أصول الدين جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، قدمها الباحث: رياض بن حمد العمري، وهي رسالة اهتمت بمواقف المستشرقين من النبي ﷺ وموقفهم من الوحي والرسالة والنبوة والهجرة وموقفهم من سيرته (صفاته، أميّته، زواجه، جهاده)، ولم تذكر هذه الدراسة سوى موقفهم من زواجه بخديجة وعائشة رضي الله عنهما، وتحدّثت عنه باقتضاب، وقد تواصلت مع الباحث وأشار علي بالحاجة الشديدة لدراسة هذا الموضوع وبحثه؛ لعدم تناول البحوث له بالشكل المطلوب.

٢-(موقف المستشرق إميل درمنغم من زواج النبي ﷺ بأمهات المؤمنين من خلال كتابه حياة محمد) رسالة ماجستير قدمها الباحث: شايق عطا الله الرحيلي، وهي دراسة اقتصرت

على آراء المستشرق إميل درمنغم في زواج النبي ﷺ بأمهات المؤمنين في حدود كتابه حياة محمد. ودراستي ستكون أشمل من جهة الكم والكيف فلا تختص بمستشرق بعينه أو كتاب معين.

٣- (موقف المستشرقين من الصحابة) رسالة دكتوراه في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، قدمها الباحث: سعد عبد الله الماجد، وهي دراسة اهتمت بموقف المستشرقين من الصحابة ومنزلتهم وفضائلهم وسيرهم وصلتهم بالنبي محمد ﷺ، وصلة بعضهم ببعض وجهودهم وموقفهم من الخلافة والخلفاء الراشدون، ولم يتناول الباحث أمهات المؤمنين سوى موقفهم من زواج النبي ﷺ بخديجة وموقفهم من عائشة في حادثة الإفك.

ومن خلال ما سبق يتبين لي أن هذه الدراسات لا تغطي ما أريد بحثه أو تناوله بالشكل المطلوب، وهذا يبين مدى الحاجة لدراسة هذا الموضوع.

منهج البحث:

سيكون منهجي في البحث بإذن الله قائم على المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي النقدي، والمتمثل في استقراء وتتبع كتابات المستشرقين حول أمهات المؤمنين وعرضها ونقدها في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة.

إجراءات البحث:

١- استخلاص آرائهم ومواقفهم من كتبهم.

٢- دراسة المصادر والموارد التي اعتمدها المستشرقون في كتاباتهم.

٣- نقد مواقفهم التي سلكوها ومصادرهم التي اعتمدوها في ضوء العقيدة الإسلامية.

٤- كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني وعزوها إلى أرقامها وسورها.

٥- تخريج الأحاديث النبوية فإن كان في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بالعزو إليهما وإلا خرجته من مظانه مع ذكر حكم العلماء فيه ما أمكن.

٦- ترجمة الأعلام الوارد ذكرهم في البحث فيما عدا الصحابة رضي الله عنهم.

٧- التعريف بالمصطلحات والألفاظ الغريبة الواردة في صلب البحث.

٨- تذييل الرسالة بفهارس فنية للآيات القرآنية والأحاديث النبويَّة والآثار والأعلام المترجم لهم والأبيات الشعريّة والمصادر والمراجع وختمها بفهرس تفصيلي للموضوعات.

خطة البحث:

تشتمل على مقدمة وتمهيد وخمسة فصول، ثم خاتمة وفهارس.

المقدمة وتتضمن:

١- مشكلة البحث.

٢- أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

٣- أهداف الموضوع.

٤- حدود البحث.

٥- الدراسات السابقة.

٦- منهج البحث.

٧- إجراءات البحث.

التمهيد: وفيه التعريف بالاستشراق وتحته مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الاستشراق

المطلب الثاني: أهدافه ودوافعه.

الفصل الأول: مواقف المستشرقين من زواج النبي صلى الله عليه وسلم من أمهات المؤمنين وموردهم في ذلك:

المبحث الأول: مواقف المستشرقين من زواج النبي صلى الله عليه وسلم من أمهات المؤمنين.

المطلب الأول: مبدأ زواجه ﷺ.

المطلب الثاني: دوافع زواجه ﷺ.

المطلب الثالث: تعدّد زوجاته صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثاني: مواردهم في دراسة أمهات المؤمنين.

المطلب الأول: القرآن الكريم والسنة النبوية.

المطلب الثاني: كتب التاريخ والسير والتراجم.

المطلب الثالث: كتب العقائد والأديان.

الفصل الثاني: مواقف المستشرقين من الصفات والطبائع البشرية لأمهات المؤمنين.

المبحث الأول: موقفهم من الصفات الخُلقية.

المبحث الثاني: موقفهم من الصفات الخَلقية.

الفصل الثالث: مواقف المستشرقين من مكانة أمهات المؤمنين وتفاضلهن عند النبي ﷺ.

المبحث الأول: موقفهم من مكانة وفضل خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

المبحث الثاني: موقفهم من مكانة وفضل عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها.

المبحث الثالث: موقفهم من مكانة وفضل بقية أمهات المؤمنين رضي الله عنهن.

الفصل الرابع: مواقف المستشرقين من مناقب أمهات المؤمنين.

المبحث الأول: موقفهم من مناقب خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

المطلب الأول: موقفهم من تجارة خديجة رضي الله عنها.

المطلب الثاني: موقفهم من خديجة عند نزول الوحي وإيمانها بدعوة محمد ﷺ.

ج- فهرس الأعلام المترجم لهم.

د- فهرس الأبيات الشعريّة.

ح-فهرس المصادر والمراجع.

ط- فهرس الموضوعات.

التمهيد

وفيه مطلبان:

الأول: مفهوم الاستشراق.

الثاني: أهدافه ودوافعه.

المطلب الأول

مفهوم الاستشراق

لقد اختلف العلماء الباحثون في المراد من مفهوم الاستشراق، وتباينت آراؤهم حول تعريفه، رغم أن هذا الاختلاف اختلاف شكلي وجزئي، إلا أنهم يتفقون على عناصر مشتركة للاستشراق، ويعود ذلك تبعًا لموقفهم، وتصور كل واحد منهم لحقيقته وأهدافه.

الاستشراق في اللغة: استشرق من الفعل شرق (الشين والقاف أصل واحد يدل على إضاءة وفتح)، ومنه: اذا أشرقت الشمس وطلعت، وشرقت الشمس شروقًا، أي طلعت وأسفرت وأضاءت، والشرق: الأخذ في ناحية المشرق(١).

وقيل: شرق الشيء إذا اشتدّت حمرته بدم أو نحوه، وأشرقته: إذا بالغت في حمرته(٢).

وقيل: شرق الرجل بريقه: إذا غصّ به شرقًا لم يقدر على إساغته وابتلاعه(٣).

مفهوم الاستشراق اصطلاحًا: هو علم الشرق، أو علم العالم الشرقي، وهو تعبير أطلقه الغربيّون على الدراسات المتعلّقة بالشرقيين: شعوبهم، وتاريخهم، وأديانهم، ولغاتهم، وأوضاعهم

(١) انظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي ابن منظور مادة شرق ، ط٣، ١٠/ ١٧٣، (دار صادر، بيروت، ١٤١٤ هـ)، القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ط ٨، ١ / ١١٥٨، (مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٢٦ هـ)، مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، ٣ / ٢٦٤، (دار الفكر، ١٣٩٩هـ)، تاج العروس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الزَّبيدي، ٢٥ /٤٩٣، (دار الهداية)، الصحاح في اللغة، إسماعيل بن حماد الجوهري، ط٤، ١/ ٣٥٤، (دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧ هـ).

(٢) انظر: لسان العرب، مرجع سابق، ١٠/ ١٧٨، تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري، ط١، ٨/ ٢٥٠، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م).

(٣) تهذيب اللغة، مرجع سابق، ٨/ ٢٥٢، مقاييس اللغة، مرجع سابق، ٣/ ٢٦٤، تاج العروس، مرجع سابق، ٢٥ / ٥٠٤.

الاجتماعية، وبلدانهم، وسائر أراضيهم، وما فيها من كنوز، وخيرات، وحضاراتهم، وكل ما يتعلق بهم[١].

وعرّفه السباعي رحمه الله[٢]: «بأنه دراسة جميع ديانات الشرق عاداته، وحضارته، وجغرافيته، وتقاليده، وأشهر لغاته، وإن كانت العناية بالإسلام والآداب العربية والحضارة الإسلامية هي أهم ما يعني المستشرقون حتى اليوم؛ نظرًا للدوافع الدينية والسياسية التي شجّعت على الدراسات الشرقية»[٣].

وأما الاستشراق الذي يخدم البحوث العربية والإسلامية فهو: إشغال غير المسلمين بعلوم المسلمين، بغض النظر عن وجهة المشتغل الجغرافية، وانتماءاته الدينية والثقافية والفكرية[٤].

ويرى بعض الباحثين أن الاستشراق: هو المؤسسة المشتركة للتعامل مع الشرق بإصدار تقريرات حوله، وتدريسه، والاستقرار فيه، وحكمه، **وهو بإيجاز**: أسلوب غربي للسيطرة على الشرق واستبنائه وامتلاك السيادة عليه[٥].

وكلمة مستشرق بالمعنى العام تطلق على كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله، أقصاه، ووسطه، وأدناه، في لغاته، وآدابه، وحضارته، وأديانه، ولكننا لا نقصد هذا المفهوم الواسع، ولا يعنينا هذا، وإنما يعنينا هنا هو المعنى الخاص لمفهوم الاستشراق الذي يعني:

---

(١) أجنحة المكر الثلاثة – التبشير – الاستِشراق — الاستِعمار، عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني، ط٨، ص: ١٠٢، (دار القلم، دمشق).

(٢) السباعي (ولد ١٣٣٣ – توفي ١٣٨٤ هـ = ١٩١٥ – ١٩٦٧ م).

مصطفى بن حسني، أبو حسان السباعي: ولد بحمص في سورية وتعلم بها وبالأزهر، ونشر من تأليفه ٢١ كتابا ورسالة، منها: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، واشتراكية الإسلام، وشرح قانون الأحوال الشخصية، ثلاثة أجزاء.

انظر: الأعلام، خير الدين بن محمود الزركلي، ط١٥، ٢٣٢/٧، (دار العلم للملايين، ٢٠٠٢ م).

(٣) المستشرقون ما لهم وما عليهم، مصطفى السباعي، ص: ١٨، (دار الوراق المكتب الإسلامي).

(٤) الاستشراق والدراسات الإسلامية، علي إبراهيم النملة، ط١، ص: ١٢٤، (مكتبة التوبة الرياض، ١٤١٨هـ).

(٥) الاستشراق أهدافه ووسائله دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون، محمد فتح الله الزيادي، ط١، ص: ١٦، (دار قتيبة، ١٤٢٦هـ).

الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في: لغاته، وآدابه، وتاريخه، وعقائده، وتشريعاته، وحضارته بوجه عام. وهذا هو المعنى الذي ينصرف إليه الذهن في عالمنا العربي الإسلامي عندما يطلق لفظ استشراق ومستشرق، وهو الشائع أيضًا في كتابات المستشرقين المعنيين[١].

وقد عرَّف غربيون لفظ الاستشراق: «بأنه علم يختص بفقه اللغة خاصه»[٢] وقد كان لفظ المستشرق في القرن التاسع عشر يعني: الباحث المتخصص في الدراسات الصينية، أو الإسلامية، أو اللغات الهندية الأوربية[٣].

والمستشرق: عالم متمكن من المعارف الخاصة بالشرق ولغاته وآدابه[٤].

ويرى المستشرق آربري[٥]: «بأن المستشرق مَنْ تبحّر في لغات الشرق وآدابه»[٦].

والمستشرقون: «هم الذين يقومون بالدراسات الاستشراقية من غير الشرقيين، ويقدمون دراساتهم ونصائحهم، وظهر ضمن المستشرقين نفر عني بالدراسات الاستشراقية رغبة في البحث العلمي المتجرد، دون أن يكون مدفوعًا بدافع التبشير أو دافع استعماري»[٧].

(١) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، محمود زقزوق، ص: ١٨، (دار المعارف القاهرة).

(٢) الاستشراق، مازن مطبقاني، ص: ٤، (كلية الدعوة بالمدينة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية).

(٣) الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، أدوار سعيد، ص: ١١٢، ترجمة: محمد عناني، (دار رؤية، ٢٠٠٦م).

(٤) فلسفة الاستشراق، أحمد سمايلوفتش، ط٤، ص: ٢٢، دار المعارف مصر.

(٥) آرثر جون آربري: ولد في (١٩٠٥ – توفي ١٩٦٩م)، اهتمَّ بالأدب العربي، فترجم مسرحية مجنون ليلى لأحمد شوقي، كما حقق كتاب التعرف إلى أهل التصوف، واصل اهتمامه بالتصوف وذلك بنشره كتاب المواقف والمخاطبات للنفري، وترجمه إلى الإنجليزية. من أبرز جهود آربري ترجمته لمعاني القرآن الكريم، حيث أصدر أولًا مختارات من بعض آيات القرآن الكريم مع مقدمة طويلة، ثم أكمل الترجمة وأصدرها عام (١٩٥٥م)،.انظر: موسوعة المستشرقين، عبدالرحمن بدوي، ط٣، ص: ٥، ٨، (دار العلم للملايين).

(٦) الاستشراق، مرجع سابق، ص: ٤.

(٧) أجنحة المكر الثلاثة – التبشير – الاستِشراق — الاستِعمار، عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني، مرجع سابق، ص: ١٠٢.

المطلب الثاني

أهداف الاستشراق ودوافعه

تتداخل أهداف المستشرقين ودوافعهم، وتتمايز البواعث التي تحركهم، ويخطئ من يظن أن أهداف المستشرقين أهداف علمية بحته، بل لهم أهداف خفية يرمون إليها ، وفيما يلي ذكر بعضٍ من الأهداف والدوافع:

١- الهدف الديني:

لقد بدأ الاستشراق بتشجيع من الكنيسة، ورجال الدين الرهبان والقساوسة، وكان هذا الدافع أمرًا ضروريًا للكنيسة، لاسيما أنه قد حدثت مواجهة بين الكنيسة والعلم، وأفلست الكنيسة في أطروحتها ومبادئها التي كانت تتغنى بها، فما كان لها من سبيل إلا الهجوم على دين الإسلام[١].

فقد اتجه المستشرقون للطعن في الإسلام وتشويه محاسنه، وتحريف حقائقه، وطمس معالمه، بغية إقناع جماهيرهم؛ التي تخضع لزعامتهم الدينية، بأن الإسلام دين لا يستحق الانتشار؛ وبأن المسلمين قوم همج لصوص سافكو دماء، يحثهم دينهم على الملذّات الجسدية، ويبعدهم عن كل سمو روحي وخُلقي[٢].

فغاية هذا الهدف معرفة الإسلام لمحاربته، وتشويهه، وإبعاد النصارى عنه، فقد اتخذ النصارى المعرفة بالإسلام وسيلة لحملات التنصير؛ التي انطلقت إلى البلاد الإسلامية، وكان هدفها الأول تنفير النصارى من الإسلام[٣]، وإخراج المسلمين عن دينهم، فإن أمكن تنصيرهم

---

(١) الاستشراق وموقفه من السنة، فالح الصغير، ص: ١٤، (مكتبة الملك فهد لطباعه المصحف بالمدينة).

(٣) أجنحة المكر الثلاثة - التبشير - الاستِشراق — الاستِعمار، عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني، مرجع سابق، ص: ١٠٨.

(٣) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، مرجع سابق، ص: ٦٨.

فذاك، وإلا فإبقاؤهم لا دين لهم مطلقًا هدف مرجوّ يحقق للنصارى منافع ومصالح سياسية واقتصادية واستعمارية[١].

ثم كان من وراء هذا الهدف عدّة وسائل سلكها المستشرقون لإخراج المسلمين عن دينهم، وكراهيته، والتشكيك فيه وتتخلص في:

١- التشكيك في صحة القرآن والطعن فيه، حتى ينصرف المسلمون عن الالتقاء على هدف واحد يجمعهم، ويكون مصدر قوتهم، والنأي بهم إلى اللهجات القومية عن الوحي، باعتباره المصدر الأساسي لهذا الدين.

٢- التشكيك في صحة رسالة النبي ﷺ، والزعم بأن الحديث النبوي إنما هو من عمل المسلمين خلال القرون الثلاثة الأولى. والغاية من ذلك محاربة السُّنة وإسقاطها؛ حتى يفقد المسلمون الصورة التطبيقية الحقيقية لأحكام الإسلام، ولحياة الرسول ﷺ، وبذلك يفقد الإسلام أكبر عناصر قوته.

٣-الاعتماد على الأحاديث الضعيفة، والأخبار الموضوعة؛ في سبيل تدعيم آرائهم وبناء نظرياتهم.

٤-التقليل من قيمة الفقه الإسلامي، واعتباره مستمدًا من الفقه الروماني[٢].

٥-إحياء النعرات القبلية، والعصبيات المذهبية، والنزعات الطائفية والعقائدية، وإثارة الخلافات، لتفريق وحدة المسلمين، وإضعاف روح الإخاء بينهم.

٦-النيل من اللغة العربية، وإثارة اللهجات العامية؛ وذلك بالتشكيك في اللغة العربية ومصادرها.

٧-غرس المبادئ الغربية في نفوس المسلمين وتمجيدها، والعمل على إضعاف القيم الإسلامية وتحقيرها؛ حتى يتم لهم إفساد أبناء المسلمين وتحللهم ثم توجيههم لخدمة مصالحهم.

---

(١) أجنحة المكر الثلاثة – التبشير – الاستِشراق — الاستِعمار، عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني، مرجع سابق ، ص: ١٠٩.

(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ، ط٤، ص: ١١١، (دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ).

٨-إزالة الثقة بعلماء وأعلام الأمة الإسلامية، وذلك لقطع الصلة بين المسلمين وماضيهم، وفي المقابل تمجيد الشخصيات الغربية وتعظيمها ليسهل التأثر بهم والانقياد لهم(١).

ولقد تجلّت النزعة الأولى في إضعاف المفاهيم العربية، وتأويل النصوص الدينية، ووضع شروح وتعليقات منافية للأعراف العربية والتعاليم الإسلامية، مما يقوي فكرة الشك ويوهن الرابطة القومية والدينية، ويؤدي إلى الانجرار وراء القيم الغربية.

فالمستشرق (ارنست رينان(٢)) يصور عقيدة التوحيد في الإسلام، بأنها عقيدة تؤدي إلى حيرة المسلم، وأن الديانة الإسلامية بشرية المصدر، ومشوبة بتأثيرات المذاهب السامية الدينية السابقة.

وادّعى المستشرق اليهودي (أجناس تسيهر(٣)) استمداد الإسلام من اليهودية وتأثيرها فيه، وزعم في بحث ألقاه في المؤتمر الدولي المنعقد في باريس عام ١٩٠٠ م تأثير دين دولة الأكاسرة في الإسلام، ورأى أن الأحاديث النبوية هي من وضع القرون الثلاثة الأولى للهجرة(٤).

وقد أيّده جمع من المستشرقين أمثال المستشرقين: فايل(٥)، وبول، ونيكلسون(١) وغيرهم إلى القول بأن القرآن حُرِّف وبُدِّل بعد وفاة النبي ﷺ، وفي صدر الإسلام وأن النبي ﷺ كان

---

(١) المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام، علي بن نايف الشحود، ص: ٧٢.

(٢) رينان أرنست (ولد ١٨٢٣وتوفي ١٨٩٢) مستشرق فرنسي عني خصوصاً بتاريخ المسيحية وتاريخ شعب إسرائيل له أسطورة عن النبي صلى الله عليه وسلم (أسطورة محمد في الغرب) ، وأسبانيا الإسلامية ، ترجم مروج الذهب للمسعودي . انظر: موسوعة المستشرقين، مرجع سابق، ص ٣١١.

(٣) مستشرق من أسرة يهودية ولد ١٨٥٠ م في بلاد المجر اتجه إلى الدراسات الشرقية من أشهر أبحاثه محاضرات في الإسلام، مذاهب التفسير الاسلامي، الظاهرية: مذهبهم وتاريخهم. انظر: موسوعة المستشرقين، مرجع سابق، ص: ١٩٨.

(٤) الاستشراق في الميزان، منذر معاليقي، ص: ١٨، (نشر المكتب الإسلامي بيروت، ١٤١٨هـ).

(٥) فايل سيمون (ولد ١٨٠٨- توفي ١٨٨٩) تعلم العربية له عدة أثار منها التوراة في القرآن ، أشعار العرب ، النبي محمد في حياته ، صنف تاريخ الخلفاء ،ترجمة أطواق الذهب للزمخشري، وله عدة مقالات في اللغة الألمانية . انظر: معجم المستشرقين، مرجع سابق، ص٧٧٧.

يصاب بالصرع، وأن ما كان يسميه الوحي الذي ينزل عليه، إنما كان أثر لنوبات الصرع، فكان يغيب عن صوابه ويسيل منه العرق، وتعتريه تشنجات، وتخرج من فيه الرغوة، فإذا أفاق من نوبته ذكر أنه أوحي إليه، وتلا على المؤمنين ما يزعم أنه وحي من ربه، وقد تكفل بالرد على هذه المزاعم جملة من المستشرقين المنصفين لا سيما السير (وليام موير[٢]) في كتابه «حياة محمد» حيث تحدث فيه عن منزلة القرآن، ودقة وصوله سالما خير رد على التجني والحقد الأعمى، واعتبر ذلك تهربًا من البحث العلمي الرصين.

وزعم آخرون أن النبي ﷺ كان في القرآن ساحرًا، وأنه لم ينجح في الوصول إلى كرسي البابوية، فاخترع دينًا جديدًا لينتقم من زملائه[٣].

٢- الهدف السياسي (الاستعماري)

لم ييأس النصارى بعد هزيمتهم في الحروب الصليبية من العودة إلى احتلال بلاد العرب وسائر بلاد المسلمين؛ فاتجهوا لدراسة هذه البلاد في كل شؤونها: من عقيدة، وعادات، وأخلاق، وثروات، ولغات، وتاريخ، وغير ذلك، مما يتعلق بها من جغرافية، وسكان؛ بهدف أن يتعرفوا إلى مواطن القوة فيها فيضعفوها، وإلى مواطن الضعف فيغتنموها[٤].

=

(١) رينولد آلين نيكلولسن (ولد ١٨٦٨-توفي ١٩٤٥م) برز في الأدب القديم وكان من كبار علماء العربية وأثر هذا في ميلة للدراسات الاستشراقية، من أثاره دراسة في رسالة الغفران لأبي العلاء المعري، التصوف الإسلامي نقد فيه الصوفية وحلل مذاهبها، دراسات في التصوف الإسلامي، وفكرة الشخصية الصوفية، نشر ترجمة الأشواق لابن عربي. انظر: معجم أسماء المستشرقين، يحيى مراد، ص: ١٠٦٠، ٢٠٠٤، (دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان).

(٢) موير (ولد ١٨١٩ وتوفي ١٩٠٥) مستشرق ومبشر هاجم الإسلام بكل عنف له كتاب بعنوان (حياة محمد وتاريخ الإسلام) ، ومصادر السيرة النبوية ، وتاريخ العرب قبل الإسلام . انظر:موسوعة المستشرقين، مرجع سابق، ص ٥٧٨.

(٣) المستشرقون والدراسات القرآنية، محمد حسين علي الصغير، ط١، ص: ١٥، (دار المؤرخ العربي، بيروت لبنان، ١٤٢٠هـ).

(٤) أجنحة المكر الثلاثة - التبشير - الاستِشراق — الاستِعمار، عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني، مرجع سابق ، ص: ١١٠.

وظهر هذا الهدف (السياسي) واضحًا جليًا باتساع رقعة الاستعمار الفرنسي للعالم الإسلامي في القرن التاسع عشر، والعشرين، واضطرت الدول الاستعمارية، أن تعلم موظفيها في المستعمرات، لغات تلك البلاد، وأن تدرس لهم آدابها ودينها؛ ليعرفوا كيف يسوسون هذه المستعمرات ويحكمونها(١).

ولقد استطاع الاستعمار، أن يجند طائفة كبيرة من هؤلاء المستشرقين؛ لخدمة أغراضه وتحقيق أهدافه، وتمكين سلطانه في البلاد المستعمرة، وهكذا نشأت رابطة بين الاستشراق والاستعمار، وقد عمل بعض المستشرقين كمستشارين لوزراء خارجية لهم، وكقناصل، وتجسسوا على المسلمين، وكان هناك علاقة وثيقة بين رجال السياسة والمستشرقين؛ إذ كان رجال السياسة يرجعون إليهم قبل اتخاذ القرارات المهمة في الشؤون السياسية الخاصة بالأمم العربية والإسلامية، وكان بعض المستشرقين يؤسس صداقة بالبارزين من رجال الأمة العربية؛ ويتخذ من هذه الصلات ستارًا يقوم من ورائه بأعمال التجسس في أثناء الحروب(٢).

ومهما يكن من أمر فقد كان التراث الاستشراقي بمثابة الدليل للاستعمار؛ لفرض سيطرته على الشرق(٣).

ويذهب بعض الباحثين إلى أن أوربا تكتشف الفكر الإسلامي في المرحلة العصرية الاستعمارية مرة أخرى؛ لا من أجل تعديل ثقافي؛ بل من أجل تعديل سياسي، لوضع خططها السياسية مطابقة لما تقتضيه السياسات في البلاد الإسلامية؛ لتسيطر على الشعوب الخاضعة لسلطانها(٤).

---

(١) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، مرجع سابق، ص: ٧٨.

(٢) الاستشراق في السيرة النبوية، عبد الله محمد النعيم، ص: ٢٢، (المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١٧هـ).

(٣) الاستشراق في السيرة النبوية، مرجع سابق، ص: ٢٢.

(٤) إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، مالك بن نبي، ط١، ص: ١١ – ١٢، (دار الإرشاد، ١٣٨٨هـ).

كما إن الاستشراق درس التاريخ العام للأمة العربية والإسلامية، وركز على الجوانب القاتمة فيه، وأولى اهتمامًا خاصًا فيه؛ من أجل أن يخدم المخططات الاستعمارية، بحيث يؤدي في نهاية المطاف إلى:

١- إضعاف روح الإخاء بين المسلمين، والعمل على فرقتهم؛ لإحكام السيطرة عليهم، (والتشكيك بفائدة ما في أيدي المسلمين من تراث، وبما عندهم من عقيدة، وشريعة، وقيم إنسانية)[١].

٢- إضعاف العالم الإسلامي وتكبيله بقيود التبعية للعالم الغربي[٢].

٣- تحقيق غايات سياسية؛ لتسيير دول العالم الإسلامي في أفلاك العالم الغربي[٣].

ولقد أخذ الهدف الاستعماري أشكالًا وصورًا متعددة منها:

- خدمة المستشرقين للمصالح الاستعمارية؛ وذلك أن الحكومة الإيطالية حين قررت غزو ليبيا لجأت إلى المستشرقين، وقد ورد ذلك في قول الكاتب الفرنسي (ألبيردوزا) في كتابه «التوسع الإيطالي» منشور الجنرال (كانيفا) أعدّ وطبع باللغة العربية في روما، هذا المنشور الذي وزّع على الليبيين يوم ٥ أكتوبر ١٩١١م، اختار المستشرقون عباراته بدقّة عالية مراعين كل الظروف والأوضاع السياسة والاجتماعية والدينية، ومما جاء فيه «بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على كافة الأنبياء والمرسلين، صلى الله وسلم عليهم أجمعين: فيا سكان طرابلس وبرقة؛ اذكروا أن الله قال في كتابه العزيز {لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين} ثم بعد الاستشهاد خمس مرات بالآيات القرآنية، خلص المنشور إلى القول التالي: إرادة الله ومشيئته سبحانه قضتا أن تحتل إيطاليا هذه البلاد لأنه لا يجري في ملكه إلا ما يريد، فهو مالك الملك، وهو على كل شيء قدير؛ فمن أراد أن يُظهر في الكون غير ما أظهر مالك الملك رب العالمين، المنفرد بتصرفاته بملكه، لا شريك له فيه، فقد جمع الجهل بأنواعه وكان من الممترين، وبناءً عليه يلزم

(١) موسوعة المستشرقين، مرجع سابق، ص: ١١٠.

(٢) الاستشراق في السيرة النبوية، مرجع سابق، ص: ٢٣.

(٣) موسوعة المستشرقين، مرجع سابق، ص: ١١٢، ١١٠.

على كل مؤمن أن يرضى ويسلّم بما تعلقت به الإرادة الربانية، وأبرزته القدرة الإلهية، فالملك له سبحانه وتعالى يؤتيه من يشاء[١].

٣- الهدف الاقتصادي (التجاري)

من أهم الدوافع التي ساعدت على تنشيط الدراسات الاستشراقية رغبة الغربيين في غزو البلاد الإسلامية اقتصاديًا، وذلك قبل الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي في القرن التاسع عشر والعشرين، فقد كان الغربيون مهتمين بتوسيع تجارتهم، والحصول من بلاد الشرق على المواد الأولية الخام لصناعاتهم التي كانت في طريقها للازدهار، ومن أجل أن ينهضوا نهضة حضارية كبرى، وجدوا أن الحاجة ماسة للسفر إلى البلاد الإسلامية، والتعرف عليها ودراسته جغرافيتها الطبيعية، والزراعية، والبشرية، حتى يحسنوا التعامل مع تلك البلاد، وتحقيق ما يصبون إليه من وراء ذلك من تحقيق فوائد كثيرة، تعود على تجارتهم وصناعاتهم بالخير العميم[٢].

فقد كانوا يهدفون إلى الاستيلاء على الأسواق التجارية، والمؤسسات المالية المختلفة، والاستيلاء على الثروات الأرضية، واستغلال الموارد الطبيعية، والحصول عليها بأبخس الأثمان، وإماتة الصناعات المحلية القديمة، لتكون بلاد المسلمين بلاد استهلاك لما تصدره المصانع الآلية الغربية.

ولهذا كانت المؤسسات المالية والشركات الاقتصادية الغربية يهتمون بالدراسات الاستشراقية، ويستعينون بأصحابها ليكونوا وسطاءهم ورسلهم ومستشاريهم، والمترجمين لهم في مهماتهم ومطالبهم الاقتصادية، وأبدت استعدادها لاستخدام من يعمل لهم في هذا المجال، فاتجه فريق من الغربيين لهذه الدراسات، طمعًا بأن يجدوا أعمالًا لهم لدى المؤسسات الاقتصادية[٣]،

---

(١) الاستشراق أهدافه ووسائله دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون، مرجع سابق، ص: ٤٣.

(٢) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، مرجع سابق، ص: ٧٧٠.

(٣) أجنحة المكر الثلاثة - التبشير - الاستِشراق — الاستِعمار، عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني، مرجع سابق ، ص: ١١١.

بل إن بعض الملوك والأمراء يزودون الباحثين بالمال الوفير من أجل معرفة البلاد الإسلامية وكتابة التقارير عنها[١].

وغاية هدفهم:

١- بثّ النفوذ الغربي على البلاد الإسلامية، ونهب ثرواتها وخيراتها[٢].

٢- تحصيل الأموال والمطامع الاقتصادية حيث إن أموال المسلمين بأيدي الغربيين؛ فمعظم أغنياء المسلمين وأصحاب الثروات الكبيرة، والأرصدة العالية يودعون أموالهم في بنوك الغربيين[٣].

وفي القرن الخامس عشر بدأت البرتغال بتجارة الرقيق الأسود للعمل في مستعمراتها في القارة الأمريكية، وتبعتها إسبانيا، وما بدأ القرن السادس عشر إلا وأصبحت تجارة الرقيق مربحة لملوك أوروبا، وخاصة اليزابيث الأولى ملكة إنكلترا التي كانت لها اليد المحركة في إنشاء شركة الهند الشرقية عام (١٠٠٩هـ - ١٦٠٠م) فصارت تصدّر الأفيون إلى الصين من مزارعها في البنغال، ولما منعت الصين ذلك شنت بريطانيًا معها حرب الأفيون[٤].

٤- الهدف العلمي:

إن من أنبل أهداف الاستشراق؛ الهدف العلمي النزيه، والذي يتميز بالروح العلمية المحضة، (فقد أخلصت طائفة من المستشرقين للدين، وللحقائق العلمية، والتاريخية، وأثبتت وجودها في دنيا العالم والمعرفة، وأضفت على البحث العلمي الدقة والموضوعية في المنهج والأداء، والتجرّد من الأهواء، واستطاعت على قلّة عددها وضآلة كُتابها؛ أن تنصف شخصيات تاريخية بارزة عربية وإسلامية، وتنزيه الدين الإسلامي وتاريخه من الافتراءات المردودة،

(١) الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب المعاصرة، مرجع سابق، ص: ١١١.

(٢) المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام، مرجع سابق، ص: ٧٢.

(٣) أجنحة المكر الثلاثة - التبشير - الاستِشراق — الاستِعمار، عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني، مرجع سابق ، ص: ١١١، الاستشراق وموقفه من السنة النبوية، مرجع سابق ، ص: ١٨.

(٤) فليب حتى عصر النبوة والخلافة الراشدة، فاضل الكبيسي، ط١، ص: ٢٩، (دار الفرقان، عمّان، ١٤٢٥هـ).

والمغالطات الضعيفة التي قصد منها تثبيط الهمم وإضعاف الإسلام)[١]، بل إن من هذه الطائفة من أدرك أن رسالة الإسلام قريبة من الرسالات السماوية، ومؤيدة لما جاء في كتبها من إيمان بالله، وكتبة، ورسله، ودعوة إلى الحق والخير والصلاح، ومنهم من اهتدى إلى الإسلام وآمن به[٢].

لكن كثيرًا من هذه الطائفة تعرضت إلى مضايقات، ومقاومات شديدة من قبل رجال الدين ورجال السياسة في بلدانهم[٣].

بل إن الكنيسة منعت تداول الكتب التي أظهرت تعاطفًا مع الإسلام ووضعتها في المحرمات وبطشت بمؤلفيها، ومن هؤلاء المنصفين المستشرق (توماس أرنولد، وآتين دينيه، وغوستاف لوبون) وغيرهم[٤].

ولقد توجه كثير منهم نحو جمع المخطوطات العربية، والاستيلاء عليها بشتى الطرق، وكان من بين الذين قاموا بهذه المهمة (جيوم بوستل ت: ١٥٨١م) الذي شغل أول كرسي للغة العربية في (الكوليج دي فرانس) بباريس ١٥٣٩م؛ وقد سار على نهجه تلميذه (جوزيف اسكاليجر ت: ١٦٠٩م) واستمر جمع المخطوطات خلال القرن السابع عشر.

وفي عام ١٥٨٦م أصبح من السهل طباعة الكتب العربية في أوربا عن طريق المطابع، وتمت في حينه طباعة مؤلفات ابن سينا في الطب والفلسفة، إضافة إلى غيرها[٥].

ومع إخلاص هذه الطائفة في البحث والدراسة، وإثبات الحقائق العلمية؛ إلا أنها لم تسلم من الأخطاء والاستنتاجات البعيدة عن الحق، إما لجهلها بأساليب اللغة العربية، وإما لجهلها بالأجواء الإسلامية التاريخية على حقيقتها، فتحب أن تتصورها كما تتصورها مجتمعاتهم، ناسية

---

(١) الاستشراق في الميزان، مرجع سابق، ص: ١٨.

(٢) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، مرجع سابق، ص: ٧٧.

(٣) أجنحة المكر الثلاثة – التبشير – الاستِشراق — الاستِعمار، عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني، مرجع سابق ، ص: ١١٣.

(٤) الاستشراق في السيرة النبوية، مرجع سابق، ص: ٢٦.

(٥) عصر النبوة والخلافة الراشدة ، مرجع سابق، ص: ٢٦.

الفروق الطبيعية والنفسية والزمنية التي تفرق بين الأجواء التاريخية التي يدرسونها، وبين الأجواء الحاضرة التي يعشونها؛ لذا كان لا بد أن نقف أمام هذه الطائفة موقف الحذر[١].

٥- الهدف الثقافي:

لقد سعى المستشرقون إلى تحقيق الهدف الثقافي ونشر الثقافة الغربية؛ وذلك باحتواء كثيرًا من المسلمين ثقافيًا، واجتهدوا في مجالات عده من أهمها وأبرزها نشر التراث الإسلامي، وتحقيقه، وفهرسته، ونشر اللغات الأوروبية، ومحاربة الفصحى، وصبغ البلاد العربية والإسلامية بالطابع الثقافي الغربي؛ حيث أصبح كل باحث مسلم لا يستغني عن بعض جهودهم في أبحاثه ومكتباته، فيعتمد عليها سواءً شعر بذلك أم لم يشعر، ويرجع هذا إلى سيطرتهم على مصادر التراث الإسلامي؛ لكنهم عمدوا إلى الدسّ والتشويش، فدسّوا السمّ في الدسم من خلال تحريفهم للتراث الإسلامي، وتشويه صورة الإسلام والمسلمين والطعن فيهم؛ فقد أسسوا المعاهد العلمية والتنصيرية في أنحاء العالم الإسلامي، وسعوا إلى نشر الفكر الغربي من خلال هؤلاء التلاميذ، وحرصوا على الغزو الثقافي من خلال التغريب الفكري بعدة طرق:

١-التعليم من حيث المنهج، ومن حيث المادة العلمية.

٢-مجال الإعلام؛ حيث تؤثر وسائل الإعلام المتاحة، وخاصة السينما والتلفاز تأثيرًا غير مباشر[٢].

ثم إن الاستشراق (الثقافي) لعب دورًا نشطًا في إضعاف الفصحى وتنشيط العامية، وتحرك كثير من مستشرقيه صوب اللغة ووجهوا إليه سهامهم المسمومة، فنادوا تارة بتهذيبها من أدران الماضي، وتارة بالإصلاح الثقافي، وعملية التغيير والتجديد، في شكل القواعد ومضمونه، وأسرف بعضهم ونادى بإحلال العامية واللاتينية، وظهرت محاولات لتدريس اللهجات العامية في تعليم اللغة العربية، في مدارس أنشئت في نابولي عام ١٧٢٧م، وفي لندن أوائل القرن التاسع عشر، وفي فرنسا دُرست اللهجات العربية العامية في مدرسة باريس للغات الحية، التي أنشئت

(١) المستشرقون ما لهم وما عليهم، مرجع سابق، ص: ٣٢.

(٢) المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام، مرجع سابق، ص: ٧٢.

عام ١٧٥٩م، وفي موسكو دُرست العربية ولهجاتها العامية عام ١٩٠٩م، وفي بريطانيا أنشأت جامعة لندن في أوائل القرن التاسع عشر فرعًا فيها لتدريس العربية الفصحى والعامية، وكان (لورانس) الجاسوس البريطاني في المنطقة العربية الذي أتقن لهجات القبائل العربية خريج هذه المدرسة.

ولقد شن المستشرق الإنجليزي (وليم ويلكوس) حربًا شعواء على اللغة العربية، وقام بحملة تشكيك واسعة في مفاعيل فحواها، واعتبر أسباب تخلف المصريين يعود إلى اللغة العربية الفصحى، وقال: «إن اللغة المصرية لا علاقة لها باللغة العربية»، التي وصفها باللغة المصطنعة، يستعملها كلغة أجنبية، تقف عقبة في سبيل تقدم المصريين وعناصر الإبداع والابتكار، وأشار إلى أن درسها مضيعة للوقت، وموتها محقق، كما كانت اللغة اللاتينية، وزعم أن الخلاص منها يتيح لمصر وأبنائها أن يأخذوا مكانهم بين أمم العالم المتمدنة(١).

(١) الاستشراق في الميزان، مرجع سابق، ص: ٤٧، ٤٨، ٤٩.

الفصل الأول

مواقف المستشرقين من زواج النبي ﷺ من أمهات المؤمنين ومواردهم في ذلك

المبحث الأول: مواقف المستشرقين من زواج النبي ﷺ من أمهات المؤمنين.

المبحث الثاني: مواردهم في دراسة أمهات المؤمنين.

المبحث الأول
مواقف المستشرقين من زواج النبي ﷺ من أمهات المؤمنين

المطلب الأول: مبدأ زواجه ﷺ.

المطلب الثاني: دوافع زواجه ﷺ.

المطلب الثالث: تعدّد زوجاته ﷺ.

المطلب الأول

مبدأ زواجه ﷺ

لقد أفاض جمع من المستشرقين في الحديث عن زواج النبي ﷺ، وتعدّد زوجاته، وشكّل مكانة في كتاباتهم، وأصبح أرضًا خصبة للهجوم على الإسلام والطعن في نبيه محمد ﷺ.

وقد بدأوا في الحديث من أصل مشروعية زواجه ﷺ على (نهج الرؤية النصرانية) في مسائل الزواج والطلاق، فالرهبانية المبتدعة قد جعلت الانصراف عن النساء والتبتل من شروط التعبّد والتزهّد، والتقرّب إلى الله تعالى، وخالفت الفطرة السليمة في نظرها إلى المتعة الجسدية المشروعة[١]، وقد أورد المستشرق أندريه[٢] في زواج النبي ﷺ وعدم تبتّله حديثًا حول هذا فقال: «إن الملمح الذي بدأ للغرب المسيحي الأكثر إثارة للاشمئزاز في شخصية محمد؛ هو شهوانيته وافتقاره إلى الاعتدال وضبط النفس في هذا المجال، يبدو لنا أكثر سوءًا؛ لأن من الأخلاق المسيحية المشتركة لدينا، وهي إرث زهدي قديم المبالغة في مفهوم الخطيئة الجنسية، ما يدعى بالحياة الجنسية الحرة، يعدّ في الغالب خطيئة بالمعنى المطلق والحقيقي»[٣].

---

(١) شخصية الرسول في كتابه حياة محمد وعقيدته للمستشرق أندريه، عبدالحق التركماني، ص: ٢٧٤٨، (مركز البحوث الإسلامية بالسويد).

(٢) المستشرق اندراي (ولد ١٨٨٥-توفي ١٩٤٧م) تخرج من جامعة أوبسالة وسمي أستاذًا للعلوم الدينية في جامعة استوكلهم، في جامعة أوبسالة أثاره بحوث في الكنائس النسطورية في الحيرة واليمن وأثرها على الإسلام، كتاب عن الرسول محمد حياته وعقيدته وهو دراسات فيها الكثير من الأصالة والمنطقية والجدة، ومن دراساته القصص في الإسلام (العالم الشرقي) والصوفية (مؤتمر الأديان) ومن هو محمد (مجلة الغرب ١٩٣٣) انظر: معجم أسماء المستشرقين، مرجع سابق، ص ١٦٤، ١٦٥.

(٣) شخصية الرسول في كتابه حياة محمد وعقيدته للمستشرق أندريه، مرجع سابق، ص: ٢٧٤٧.

ثم أنصف بعد ذلك فقال: «ومع ذلك فإننا لا نحاكم نبي الإسلام وفقًا لمعاييرنا الأخلاقية؛ ولكن وفقًا لما أقرّ به هو نفسه، وقبل كل شيء وحتى نفهم موقفه من هذه النقطة يجب علينا أن ندرك التربية الجنسية، والتقاليد المتبعة في الجزيرة العربية في زمنه»(١).

لهذا عابوا وانتقدوا على محمد ﷺ مبدأ الزواج الذي هو أساس الفطرة السوية، واعتبروه مطعنًا لا يتفق مع النبوة والرسالة، فقالوا: «فرق بين من يغالب هواه ويجاهد نفسه كعيسى – عليه السلام – وبين من يسير مع هواه ويجري وراء شهوته كمحمد»(٢) واعتبروا أصل الزواج من اتباع الهوى والنفس، وبعدًا عن التنسك والعبادة والنبوة والرسالة، ونسوا أن التبتل ليس من شريعة الإسلام، وليس من الفطرة في شيء، «ولما كان مبعثه ﷺ بعد عيسى – عليه السلام – الذي كان أعزبًا، اتجهت أنظار النصارى والمستشرقين إلى زواجه ﷺ وتعدد زوجاته، فأوجد مفارقة في العقل الغربي بين محمد ﷺ وعيسى – عليه السلام –، وساعد ذلك على اتهام النبي بشهوانيته في الزواج وتعدد الزوجات»(٣) ؛ لكن عقول البشر السليمة لا تعدّ الزواج نقصًا أو عيبًا في حق العظماء والحكماء، الذين نبغوا في العلم والاختراع والقيادة، فكيف يكون نقصًا وعيبًا في حق من أرسلهم الله لهداية البشرية إلى الطريق المستقيم(٤).

ولم يكن صلوات الله وسلامه عليه مبتدعًا في مبدأ وأصل الزواج، فقد تزوج الأنبياء والرسل من قبله قال الله تعالى﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ ﴾[الرعد: ٣٨]، بل تزوجوا بأكثر من واحدة، فإبراهيم أبو الأنبياء – عليه السلام – جمع بين زوجتين سارة وهاجر، وتزوج داود – عليه السلام – مائة امرأة وثلاثمائة سرية، وتزوج سليمان – عليه السلام – سبعمائة من النساء وثلاثمائة من السراري(٥).

---

(١) المرجع السابق، ص: ٢٧٤٨.

(٢) شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول، محمد علي الصابوني، ص: ٨، ١٤٠٠هـ.

(٣) الرسول الأعظم في مرآة الغرب، عبد الراضي محمد عبد المحسن، ص: ١٥٨، (جامعة القاهرة).

(٤) زوجات النبي محمد وأسرار الحكمة في تعددهن، إبراهيم الجمل، ط٢، ص: ١٧، ١٨، (دار التوفيق النموذجية).

(٥) زوجات النبي محمد وأسرار الحكمة في تعددهن، مرجع سابق، ص: ١٧، ١٨.

كما ذهب جمهور من المستشرقين إلى أن زواجه ﷺ من العادات والتقاليد المتبعة في ذلك العصر، وأنه لا ينافي الإسلام ولا يعارض النبوة والرسالة، بل إن الزواج كان جاريًا عند العرب من قديم الأزل، ولا بد للنبي ﷺ أن يسير على غرار قومه وعادتهم، ولا ينبغي له مخالفتهم في ذلك، ثم إن محمد هذب ونظم الزواج، وجعل له حدود يلتزمها المسلمون في زواجهم.

حيث يقول المستشرق (كارليل)[١]: «إن الذي أباحه محمد مما تحرمه المسيحية، لم يكن من تلقاء نفسه، وإنما كان جاريًا متبعًا لدى العرب من قديم الأزل، وقد قلّل هذه الأشياء جهده، وجعل عليها من الحدود ما كان في إمكانه أن يجعل، والدين المحمدي بعد ذلك ليس بالسهل ولا بالهين»[٢].

ويرى المستشرق (إميل درمنغم)[٣] أن التبتل وترك الزواج أو الاقتصار على واحدة ليس من الحقوق الطبيعية، كما تصوره الرؤية النصرانية في ذم المرأة، وعدها مصدر الذنوب والآثام، وإنما الذي لا ريب فيه هو الزواج والتعدد، وذلك حينما قال: «وليس مبدأ الاقتصار على زوجة واحدة من الحقوق الطبيعية، ولم يفرضه كتاب العهد القديم على الآباء، وإذا كان هذا المبدأ قد أصبح سنة في النصرانية؛ فذلك لسبق انتشاره في بلاد الغرب»[٤].

---

(١) توماس أرنولد كارليل (ولد ١٨٦٨- توفي ١٩٤٥م) مستشرق إنجليزي متعاطف مع الإسلام تعلم في كمبريدج، كان أستاذًا للفلسفة في لاهور ومساعداً لأمين المكتبة، وهو أول من جلس على كرسي الأستاذية في قسم الدراسات العربية في مدرسة اللغات الشرقية بلندن. من أثاره: الدعوة إلى الإسلام، كتاب الخلافة، عدة مقالات متعلقة بالهند في دائرة المعارف، التصوير في الإسلام انظر: موسوعة المستشرقين، ص ٩، ١٠، معجم أسماء المستشرقين، مرجع سابق، ص: ١٤٨.

(٢) محمد المثل الأعلى، توماس كارليل، ط١، ص: ١٦١، ١٦٢، تعريب محمد السباعي، (مكتبة النافذة مكتبة الآداب بالقاهرة ٢٠٠٨م).

(٣) درمنغم مستشرق عمل مدير مكتبة الجزائر، أثاره بمعاونة محمد الفاسي قصص من فاس وقصص جديدة من فاس وله حياة محمد وهو خير ما صنفه مستشرق عن النبي ويرجع إليه علماء المسلمين في باريس ونقله إلى العربية عادل زعيتر، وقصص القبيلة وأروع النصوص العربية وتكريم أولياء الإسلام في المغرب ومحمد والسنة الإسلامية وسيرة الأولياء المسلمين انظر: يحيى مراد، معجم أسماء المستشرقين، مرجع سابق، ص: ٥٠٨، المستشرقون، نجيب العقيقي، ص: ٢٩٧، (دار المعارف بمصر).

(٤) حياة محمد، إميل درمنغم، ترجمة عادل زعيتر، ط١، ص: ٣٣٢، (دار الأهلية).

وفي عدم معارضة الزواج للنبوة والرسالة يقول وات مونتجمري[١]: «ولم يكن إذًا في حياة محمد الجنسية على العموم ما يحمل معاصريه على الحكم عليه بأنه لا يتفق مع نبوته»[٢].

ويصف المستشرق إميل درمنغم عفّة محمد ﷺ قبل الزواج وإبطال ما نسب إليه من الشهوانية وملذات الدنيا فيقول: «وكان محمد طاهر الشباب، فمما روي أنه كان يرعى القطاع على التلال بجوار مكة، حاول مرتين أن يبلغ أماكن الضواحي السهلة؛ ليقضي حاجات شبابه، فسار في طريقه إليها كما يسير الفتيان في الأرياف أثناء سفرهم إلى المدن ليمضوا فيها وقتًا حسنًا، ولكن حالةً مفاجئة كانت تثنيه عن ذلك في كلتا المرتين»[٣].

ويضيف المستشرق توماس كارليل فيقول: «وما كان محمد أخ شهوات، برغم ما اتّهم به ظلمًا وعدوانًا، وأشدّ ما نجور ونخطئ إذا حسبناه رجلًا شهوانيًا لا همّ له إلا قضاء مأربه من الملاذّ، كلا فما أبعد ما كان بينه وبين الملاذّ أية كانت، لقد كان زاهدًا متقشفًا في مسكنه ومشربه وملبسه وسائر أموره وأحواله، وكان طعامه عادة الخبز والماء، وربما تتابعت عليه الشهور ولم توقد بداره نار، وإنهم ليذكرون - ونعم ما يذكرون - أنه كان يصلح ويرفو ثوبه... ... ...»[٤].

ويقول بودلي[٥]: «وما كان محمد يحسّ شيئًا من هذا، فقد كان يقوم بما يوكل إليه من أعمال في كفاية، وكان يحصل على مال كاف، وكان يوثق به كل الثقة، وكانت خديجة بالنسبة

---

(١) عمل المستشرق مونتجمري وات عميد قسم الدراسات العربية في جامعة ادنبرا، من أثاره العلمية محمد في مكة، محمد في المدينة، الإسلام والجماعة الموحدة، محمد النبي ورجل الدولة، الفصول الإسلامية. انظر: المستشرقون، مرجع سابق، ص: ٥٤٤.

(٢) نبوة محمد في الفكر الاستشراقي، خضر شايب، ص: ٤٢٣، (مكتبة العبيكان، مكتبة المهتدين).

(٣) حياة محمد، مرجع سابق، ص: ٦٩.

(٤) محمد المثل الأعلى، مرجع سابق، ص ١١٣.

(٥) ر.ف بودلي من أثاره الرسول، حياة محمد، آمن في مقدمته بسلامة العقيدة الإسلامية، ثم ضل بعد ذلك في تفسير الزكاة والجنة والنار والقضاء والقدر. انظر: المستشرقون، مرجع سابق، ص: ٥٢٩.

إليه سيدة فاضلة يكن لها الإعجاب والتقدير والاحترام والتبجيل، وفي الحقيقة ما كان للنساء في حياة محمد إلى الآن أثر أو تأثير»[١].

وأما ما ورد في شأن محبته ﷺ للنساء فإنه لا يتعارض مع العفة، ولا يعد نقصًا أو عيبًا، بل هو موافق للفطرة، لا يخالف العفة والرجولة، وقد أقر بهذا المستشرق آتين دينيه[٢] في كتابه (محمد رسول الله) وذلك بقوله: «كان محمد يحب النساء، وقد عاب عليه الكثير من الأعداء ذلك، وحقًا كان محمد رجلًا بكامل ما في الكلمة من معان خلقية، ومادية، ورجولته امتازت بالعفة، التي لا تتعارض مع أسباب اللذة البريئة المجردة من الدنس»[٣].

ثم إن زواجه ﷺ ومحبته للنساء لم تطغ، ولم تشغله عن إبلاغ الرسالة وتأدية الأمانة، «بل إن رغبته في النساء من قوة رجولته، وصحّة بدنه، وسلامة غريزته، والعقلاء من سائر الأمم يعدون الانصراف عن النساء، وعدم الرغبة فيهن، أو النفور من جنسهن، من ظواهر المرض النفسي والانحراف السلوكي»[٤].

---

(١) الرسول محمد، بودلي، ترجمة محمد فرج وجودة السحار، ص: ٥٩، (الكتاب العربي بمصر، مطبوعات مكتبة مصر).

(٢) المستشرق آتين دينة (ولد ١٨٦١ - توفي ١٩٢٩) تعلم في فرنسا وقصد الجزائر كان يقضي في بلده بوسعادة نصف السنة من كل عام، أشهر إسلامه وتسمى بناصر الدين حج إلى البيت الحرام آثاره: محمد في السيرة النبوية، حياة العرب، الشرق في نظر الغرب، الحج إلى البيت الحرام، أشعة من نور الإسلام انظر: معجم أسماء المستشرقين، مرجع سابق، ص: ٥٧٢.

(٣) محمد رسول الله، آتين دينيه، ترجمة عبد الحليم محمود، ص: ٢٤٨، (مكتبة الإيمان).

(٤) شخصية الرسول في كتابه حياة محمد وعقيدته، مرجع سابق، ص: ٢٧٥٢.

المطلب الثاني

دوافع زواج النبي محمد ﷺ

لقد سعى المستشرقون قديمًا وحديثًا وراء دوافع وأسباب زواج النبي محمد ﷺ، وبحثوا عن الباعث، والمحرك الأساس لهذا الزواج، وحاولوا أن يجعلوا هذه الدوافع منفذًا للطعن والتشكيك بالنبوة والرسالة، فزعموا أن دوافع زيجات النبي ﷺ تتمحور حول ثلاثة أسباب:

– **شهوانية النبي محمد** ﷺ: واستجابته للرغبات الجنسية الجامحة، وهذا ما يميل إليه جمهور المستشرقين، حيث أصرّ جمع من المستشرقين على تصوير محمد ﷺ بالشهوانية، والميل للنساء، والولع بهن.

يقول المستشرق غوستاف لوبون[١]: «وضعف محمد الوحيد هو حبّه الطارئ للنساء، وهو الذي اقتصر على زوجة الأولى، حتى بلغ الخمسين من عمره، ولم يخفِ محمد حبه للنساء فقد قال: «حُبب إليَّ من دنياكم: الطيب، والنساء، وجعلت قرة عيني في الصلاة»[٢] ولم يبال بسن المرأة التي يتزوجها، فتزوج عائشة وهي بنت عشر سنين، وتزوج ميمونة وهي في الحادية والخمسين من عمرها»[٣].

ويضيف المستشرق اندريه فيقول: «مما لا شك فيه، أن رسول الله يعلن أن النساء والأطفال من فتن الحياة الدنيا، ومع ذلك لا يكتفي من الحريم بتسع زوجات، بل يتخذ جواري أيضًا»[٤].

---

(١) جوستاف ليبون ولد (١٨٤١) طبيب ومؤرخ عني بالحضارة الشرقية، أثاره الحضارة المصرية عربه الأستاذ صادق رستم، حضارة العرب باريس (١٨٨٤) ولا قيمة علمية له ترجمه الأستاذ عادل زعيتر، حضارة العرب في الأندلس عربه الأستاذ عبد الرحمن البرقوقي (١٩٢٣). انظر: المستشرقون، مرجع سابق.

(٢) سنن النسائي، ح ٣٩٤٩ / ١، كتاب عشرة النساء، باب حب النساء، ١ / ٧٧٩، من حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه، وصححه الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٣/ ١٥.

(٣) حضارة العرب، غوستاف، ترجمة عادل زعيتر، ط١، ص: ١١٢، (مؤسسة هنداوي، الهيئة المصرية العامة).

(٤) شخصية الرسول في كتابه حياة محمد وعقيدته للمستشرق أندريه، مرجع سابق، ص: ٢٧٤٧.

«ولا شك أن هذا من وجهة النظر الأخلاقية، يعد ظاهرة مشبوهة، ولا يصبح التصور أفضل بذكر حقيقة أن محمد وحتى وفاة خديجة - أي إلى الخمسين من عمره - قد اكتفى بزوجة واحدة؛ لأنه قد أطلق العنان لرغباته الشهوانية في ذروة مسيرة حياته، بعد أن أصبح رجلًا مسنًا[١]. ثم إن النظر إلى خلفية هذا التصور والأخلاقيات وعادات الزواج عند العرب، يظهر شهوانية محمد برؤية أخرى، إنه يبدو من غير المؤكد فيما إذا كان سلوكه في هذه المسألة قد أثار بشكل ما الانتباه، أو كان أقل ملائمة، وتذكر الروايات القديمة - برضى واضح - إشارة عائشة إلى ضعف زوجها أمام الجنس، وتنقل ببراءة قولًا عن النبي يبين فيه أنه حُبب إليه من الدنيا ثلاث النساء والطيب والصلاة»[٢].

وترد كارين[٣] على هذا الادعاء بقولها: «إن هذه الزيجات لم تنشأ عن علاقات حب ورومانسية أو جنسية، لكن كانت تتسم سعيًا وراء نتائجها العملية، وعادة ما تكون لهدف سياسي، رغبة في تأسيس نوع مختلف تمامًا من العشيرة، مستندًا على العقيدة بدلًا من القرابة، ولكن رابطة الدم كانت وما زالت قيمة مقدسة، وساعدت على تدعيم مجتمع المؤمنين التجريبي»[٤].

ولهذا تُرجع كارين: «اتهام الغرب لمحمد ﷺ بالشهوانية إلى الحسد والصفاقة؛ لأن النبي ﷺ كان يعيش حياة مجتمع قبلي مثل أنبياء العهد القديم، ذوي العدد غير المحدود من الزوجات كداود وسليمان»[٥].

- حبًا في الولد وطمعًا في كثرة النسل

---

(١) شخصية الرسول في كتابه حياة محمد وعقيدته، مرجع سابق، ص: ٢٧٤٧.

(٢) شخصية الرسول في كتابه حياة محمد وعقيدته، مرجع سابق، ص: ٢٧٤٩.

(٣) تعدّ المستشرقة كارين أمسترونج واحدة من أهم من حاضروا وكتبوا عن الإسلام والغرب خلال الحقبة الماضية، قررت دراسة الأديان التوحيدية الثلاثة، ترفض أن تلقب بالمستشرقة من أهم كتبها محمد سيرة النبي، تاريخ الله، القدس مدينة واحدة وثلاثة أديان انظر: معجم أسماء المستشرقين، مرجع سابق، ص: ٨٤٨.

(٤) محمد نبي لزماننا،كارين أمسترونج، ترجمة فاتن زلباني، ط١، ص: ٩٤، (مكتبة الشروق).

(٥) الرسول الأعظم في مرآة الغرب ، مرجع سابق، ص: ١٨٠.

يقول ول ديورانت[١]: وربما كان الدافع إلى بعضها، أمله في أن يكون له ولد، وهو أمل حُرم منه زمنًا طويلًا[٢].

ويصرح بودلي في كتابه (الرسول محمد) أن دافع زيجات النبي ﷺ كانت من أجل الولد: «ويرجع تجاوزه هذا الحد إلى رغبته في أن ينجب ولدًا، وإلى دوافع سياسية، وكانت عائشة هي البكر الوحيدة التي تزوجها وكانت الأخريات مطلقات وأرامل[٣].

ويضيف مونتجمري وات بقوله: «ويبدو أن محمد كان مولعًا بالأطفال، ومعاملته كانت حسنة معهم. ربما كان ذلك حنين رجل رأى أولاده يموتون أمام عينه، وهم بعدُ رضّع»[٤].

ويرى إيرفنج[٥] أيضًا مثل سابقيه حيث يقول: «سمح الرسول لنفسه أن يتزوج عددًا أكبر من العدد الذي يسمح به لغيره من المسلمين؛ حتى ينجب لقومه جيلًا من الأنبياء»[٦].

لكن النبي ﷺ لم يكن يتحرّى من زيجاته النسل خاصة، وإنما كان يحب ويحرص على العقب، كحرص كل رجل من رجال القبائل، وكان يحب التكاثر لنفسه وأمته، ويوصي المسلمين بذلك[٧].

---

(١) ويليام جيمس ديورانت (من ١٨٨٥ – إلى ١٩٨١) فيلسوف، مؤرخ وكاتب أمريكي تلقى تعليمًا كاثوليكيًا، نشر كتابه (قصة الفلسفة) فلقي رواجًا كبيرًا مكّنته عوائده المالية من التحرر من رباط الوظيفة، وأصدر كتاب مباهج الفلسفة، ثم كتاب مغامرون في بحار العبقرية وأشهر مؤلفاته كتاب قصة الحضارة. انظر: قصة الحضارة، وِل ديورَانت، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين، (دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م).

(٢) قصة الحضارة ، مرجع سابق، ١٣/ ٤٤.

(٣) الرسول محمد، مرجع سابق، ص ٢٢٣.

(٤) محمد النبي ورجل دولة، مونتجمري وات، ترجمة حمود حمود، ط١، ص: ٣٠٠، (دار التكوين ٢٠١٤).

(٥) واشنطن إيرفنج مستشرق ولد في نيويورك عام ١٧٨٣ رحل إلى أوربا للعلاج وطاف بها وزار متحفها ودور كتبها وأثرت هذه الرحلة في ميوله فأصبح مغرما بدراسة التاريخ، وفي إسبانيا شاهد الآثار العربية واطلع عليها استطاع أن يأخذ تاريخ العرب بالدراسة فترجم لنبي العرب محمد وهو أول مؤرخ أمريكي اهتم بالدراسات العربية انظر: معجم أسماء المستشرقين، مرجع سابق، ص: ١٨٧، حياة محمد، إيرفنج، ترجمة علي حسني، ط١، ص: ١١، (دار الأهلية، ٢٠١٤).

(٦) حياة محمد، مرجع سابق، ص: ٢٧٧.

(٧) موسوعة العقاد الإسلامية، محمود عباس العقاد، ط١، ٢/ ١٣١، (دار الكتاب العربي، بيروت).

- **من أجل أغراض سياسية واجتماعية**

يقول المستشرق دينيه: «وإذا كان محمد قد عقد على ثلاث وعشرين زوجة فإنه لم يتصل إلا باثنتي عشرة منهن، أما الأخريات فتزوجهن لأسباب سياسية محضة، إذ كانت القبائل ترغب في شرف مصاهرته، وقد كثرت عليه الطلبات في شأن ذلك، ويروى أن عزة أخت دحية الكلبي ماتت من شدة الفرح عندما أنبئت أن الرسول قبل بها، وقد كان الرسول يعطف على النساء جميعًا، وحاول في كل مناسبة إنصافهن، وحرَّم أوَّل ما حرَّم وأد البنات، تلك العادة القبيحة القاسية»(١).

ويقول وات مونتجمري: «إن كل زيجات محمد التي أعدها سواء لنفسه أو لأتباعه، لها أهداف سياسية واضحة، مهما تخللها من اعتبارات أخرى»(٢).

وفي عناية واهتمام المستشرقين بالدوافع المحركة لزواج النبي ﷺ بشكل عام زعموا عدة استنباطات كانت معظمها باطلة.

فقد زعموا أن زواج النبي ﷺ بخديجة كان من أجل المال حيث يقول المستشرق إيرفنج في كتابه (حياة محمد): «هل كان محمد ثريًا؟ لا، بل كان فقيرًا، إلا أنه تزوج خديجة فأصبح على جانب من الثراء»(٣).

ويقول مونتجمري وات: «كيف يمكن ليتيم فقير موهوب في عالم كهذا، مليء برجال الأعمال المفتقدين للوازع الخلقي أن يشق طريقه؟ لقد كان هناك احتمال واحد، هو العثور على امرأة غنية تتزوجه، والدخول في شراكة تجارية معها، وبالفعل تمّ له ذلك، فقد تزوّج من خديجة؛ المرأة التي كانت تتمتع بالملكيّة، والاستقلاليّة، ولم يكن هناك من فائدة ترتجى غير هذا»(٤).

---

(١) محمد رسول الله، مرجع سابق، ص: ٢٤٨.

(٢) محمد النبي ورجل دولة، مرجع سابق، ص: ١٢٧.

(٣) حياة محمد، مرجع سابق، ص: ٢٨٠.

(٤) محمد النبي ورجل دولة، مرجع سابق، ص: ٢٣.

ويرى فريق من المستشرقين أن دوافع زواجه ﷺ من خديجة كان عن رغبة منها، فقد أعجبت بصفات محمد ﷺ ودماثة خلقه.

حيث يصرح المستشرقون في موجز دائرة المعارف بقولهم عن زواج خديجة – رضي الله عنها –: «وقد كشفت خديجة في وكيل تجارتها الشاب، ما يتّصف به من محامد، فعرضت عليه الزواج، ولم يكن أبوها على قيد الحياة، في حين تقول روايات أخرى أنه كان على قيد الحياة، وأنه عارض هذا الزواج، ولم تستطع حمله على القبول، إلا بعد أن أسكرته، وهذا دافع مقبول في الروايات، وتذهب أكثر المصادر إلى أن محمد كان وقتئذ في الخامسة والعشرين، أما خديجة فكانت في الأربعين، ولم يتزوج سوى خديجة طوال حياتها، التي عرف عنها علو المكانة في المجتمع»(١).

هذا وقد سطَّر بعض المستشرقين روايات وأحداث زواج النبي ﷺ بخديجة، فصورها بصورة العشق والهيام، كما صورها بودلي، وإيرفنج.

حيث يقول المستشرق إيرفنج: «فبدأ قلبها يميل إلى هذا الشاب المكتمل، لكن التقاليد أبت إلا أن تضيف معجزة لتأكيد أصول وقواعد لقياهم الطبيعية، فقالت: إنها عندما كانت وخادمتها على سطح منزلها ترقب قدوم القافلة مرة وقت الظهيرة، شاهدت ملكين يحفّان محمد ويظلانه بجناحيهما ليحمياه من الشمس المحرقة، فالتفتت إلى خادمتها قائلة: انظري إلى حبيب الله كيف تحميه الملائكة»(٢).

ويروي بودلي فيقول: «وأصبحت خديجة شغوفة بمقابلة محمد والإنصات إليه، وإذا ما خرج في قافلة، راحت تعد الأيام وتنتظر أوبة قافلتها، فإذا ما لاحت القافلة؛ أخذت تنتظر في شغف عودة محمد بعد أن يغتسل ويرجل شعره الجميل ويتدهن ويقبل عليها؛ ليدلي لها بأخباره، بينما خديجة أخذت تزداد شغفًا بمديرها الشاب الممتلئ حيوية وسحرًا، فكانت تعتلي منازلها

(١) موجز دائرة المعارف الإسلامية، إبراهيم زكي، عبدالحميد يونس، أحمد الشنتناوي، ط١، ص: ٤٥٧١، (مركز الشارقة للإبداع الفكري).

(٢) محمد وخلفاؤه، واشنطن ارفنج، ، ترجمة: هاني يحيى، ط١، ص: ١٠٨ ، (الناشر: المكتب الثقافي العربي)، حياة محمد، مرجع سابق، ص: ٤٧.

ترقب الفضاء؛ لتحظى بأول نظرة من الجمال الوافدة مرة في حياتها، لقد أحست خديجة لأول مرة في حياتها أنها أسيرة الحب والهيام؛ لكن كيف تترجم مشاعرها الفوارة لمن حرك عواطفها النائمة؟»[(١)].

ويقول أيضًا: «وبدأ الحفل، وتخيرت خديجة أنسب الأوقات للحديث، فقالت: إن محمدا من عملها هو الرأس والعقل المدبر، وما هذا الثراء إلا بسببه، ونعتته بالأمانة، وذكرت شرف أسرته، وكريم منبته، واختتمت حديثها بأنه مما يشرف أية امرأة أن ترتبط برجل مثله، فصفق الحضور، وصبت الخمور في الكؤوس مرات ومرات، وهب ورقة ابن عمها، ووافق على ما قالته خديجة وأيده، فازداد تصفيق القوم... ... ... »[(٢)]

«وما كانت خديجة بالمندفعة في هذه الفرصة السانحة، فقد كانت تعلم فعل الخمر في النفوس، وحين كان كلٌ يربت على كتف صاحبه، ويتقارعون الكؤوس ويتفاخرون، جاء من يكتب العقد، وفي هذا الجو الذي يغلب عليه الصفاء، اتفق على الصداق، وتم توقيع عقد القرآن، وانتهى الأمر، وصار محمد بعلًا لخديجة بحسب شريعة مكة، وانفض عقد القوم وبقى محمد في دار خديجة حيث قضى ليلته»[(٣)].

والصواب أن خديجة - رضي الله عنها - هي من رغبت في زواج النبي ﷺ منها كما ذكر ابن هشام في السيرة: «وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة، مع ما أراد الله بها من كرامته، فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها به بعثت إلى رسول الله ﷺ، فقالت له - فيما يزعمون - يا بن عم. إني قد رغبت فيك لقرابتك، وسطتك في قومك وأمانتك وحسن خلقك، وصدق حديثك، ثم عرضت عليه نفسها. وكانت خديجة يومئذٍ أوسط نساء قريش نسبًا، وأعظمهن شرفًا، وأكثرهن مالًا، كل قومها كان حريصًا على ذلك منها لو يقدر عليه. فلما قالت ذلك

---

(١) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٤٩، ٤٨، ٥٠، ٥١.

(٢) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٤٩، ٤٨، ٥٠، ٥١.

(٣) الرسول محمد، ص: ٤٩، ٤٨، ٥٠، ٥١.

لرسول الله ﷺ، ذكر ذلك لأعمامه، فخرج معه عمه حمزة بن عبد المطلب، رحمه الله، حتى دخل على خويلد بن أسد، فخطبها إليه، فتزوجها»[١].

أما زواجه ﷺ بسودة فيقول بودلي: «دخلت بيت محمد كمربية أكثر من كل شيء آخر، وقد قالت خولة لابن أختها: إن أقل ما يفعله أن يتزوجها، فإنها لم تعش إلا قليلًا مع زوجها الأول»[٢].

وفي زواج عائشة يزعم المستشرقون أنه كان لهدف سياسي ومادي، وبعرض من أبي بكر حيث يروي بودلي فيقول: «وقرر محمد الزواج بها، – بعد هجرته إلى المدينة – لما اقترح عليه أبو بكر وزوجه، وكان لأبي بكر دافع من هذا الزواج، أحدهما أن يرتبط ارتباطًا سياسيًا دائمًا بقائده، والآخر: أنه قد يكون هناك دافع مادي، لكن هذا الدافع أقل أهمية من الأول[٣].

وتضيف المستشرقة كارين فتقول: «وكان أبو بكر متلهفًا لإقامة علاقة أقرب مع النبي، واقترح عليه أن يتزوج ابنته عائشة، التي كان عمرها ست سنوات، وخطب محمد عائشة في احتفال لم تحضره البنت الصغيرة[٤] وزواجه ﷺ بحفصة كان من أجل أن يكسب محمد ﷺ معونة عمر، ولأسباب سياسية –كما في موجز دائرة المعارف –: «تزوجها النبي بعد يوم أحد؛ رغبة منه في اكتساب معونة عمر»[٥].

---

(١) السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبدالحفيظ الشلبي، ط٢، ١/ ١٩٠، ١٨٩، ١٨٨، ٢/ ٦٤٣، (شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥م).

(٢) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ١٠٣.

(٣) الرسول محمد ، مرجع سابق، ص: ١٤١.

(٤) محمد نبي لزماننا، مرجع سابق، ص: ٩٣، ٩٤.

(٥) موجز دائرة المعارف الإسلامية، مرجع سابق، ١٢/ ٤٠٧٤، ٤٠٧٥.

«... ... ... ومن المرجح أن النبي سعى إلى عقد هذا الزواج لأسباب سياسة، وهي دعم الروابط التي تربطه بشخصية مثل عمر القوي النصير، ومما يؤيد ذلك أن النبي قد طلب من أبي بكر قبل ذلك الزواج من ابنته عائشة»(١).

وتبع زواج محمد ﷺ من حفصة زواج آخر «وكان زواجًا شكليًا أكثر من أي شيء آخر، كانت العروس أرملة عبيدة بن الحارث، وكان اسمها زينب بنت خزيمة، وما ضمها محمد إلى نسائه إلا بدافع من الشفقة»(٢).

ثم أتى زواج يختلف عن كل الزيجات السابقة، فقد كانت الزوجة الجديد جميلة(٣)؛ تزوجها محمد ﷺ من أجل توفير الصحبة التي فقدها بوفاة خديجة(٤).

وفي دافع زواج النبي ﷺ من جويرية تقول المستشرقة كارين: «وحين بدأت المفاوضات، عرض محمد ﷺ الزواج منها لعقد التحالف مع أبيها»(٥).

وتروي أيضًا في زواج أم حبيبة: «وكان ذلك عملًا سياسيًا ذكيًا من محمد ﷺ، فأم حبيبة هي ابنة أبي سفيان»(٦).

ويحيل المستشرق إيرفنج دوافع زواج النبي ﷺ بصفية، وتسريه بريحانه إلى عدم مقاومته ﷺ أمام المظهر الفاتن والجمال الأخّاذ، حيث يقول: «وقد اصطفى الرسول صفية من الأسرى بخيبر بمجرد أن رآها ﷺ فأدخلها بحريمه»(٧).

«كذلك حصل النبي ﷺ على ريحانة بنت عمرو اليهودي الغني، ذي النفوذ والفائقة الجمال بأقرانها، أخذها سرّيّة لنفسه ﷺ بعد أن أسلمت»(١).

---

(١) المرجع السابق، ص: ٤٠٧٥، ٤٠٧٤.

(٢) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ١٩٢.

(٣) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ١٩٣.

(٤) محمد نبي لزماننا، مرجع سابق، ص: ١٣٩.

(٥) محمد نبي لزماننا، مرجع سابق، ص: ١٥٦.

(٦) محمد نبي لزماننا، ص: ١٧٥.

(٧) محمد وخلفاؤه، مرجع سابق، ص: ٣٠٦.

وإلى نفس السبب يرجع بودلي دوافع تسرّيه بمارية فيقول: «وما إن وقعت عين محمد على هذه الفتاة الجعدة الرائعة الحسن حتى مال إليها قلبه»[٢].

ويضيف «لكن لم يتزوج محمد من مارية، ولم يضمها إلى دوره كحظية؛ لسبب من الأسباب، هو أن وفودها سبب استياء عظيمًا بين نساء محمد – من عائشة إلى زينب – وغضبن على مارية»[٣].

ولقد تصدّى المستشرقون لزيجتين من زيجات النبي ﷺ، وأثاروا حولهما أحاديث همز ولمز، واتخذوا منه ذريعة يدلفون بها إلى الطعن في رسول الله ﷺ.

فأوردوا شبهة في:

– زواجه ﷺ من عائشة:

لقد ادعى المستشرقون فريّة على رسول الله ﷺ، مفادها الطعن في زواجه ﷺ من عائشة، بنت أبي بكر الصديق – رضي الله عنهما –، وذلك من جهة صغر سن عائشة وكبر سنه ﷺ، فقالوا: «إن نبيكم تزوج بطفلة عمرها ست سنوات، وهو في سن الشيخوخة، والفارق بينهما أربع وأربعون سنة»[٤].

ويقول المستشرق مونتجمري: «تعتبر مثل هذه العلاقة بين رجل له من العمر ثلاث وخمسون سنة، وبين امرأة في العاشرة، علاقة غريبة جدًا؛ ذلك أنها أقرب إلى علاقة أب بابنته منها إلى علاقة زوج بزوجته»[٥].

=

(١) محمد وخلفاؤه، مرجع سابق، ص: ٢٨٩.

(٢) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٢٥٩.

(٣) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٢٥٩.

(٤) رد علماء المسلمين على شبهات الملحدين والمستشرقين، محمد ياسين، ط١، ص ٢٣٤، (مكتبة الجامعة الأزهرية، مكتبة الإيمان، ١٤٢٩هـ).

(٥) محمد النبي ورجل الدولة، مرجع سابق، ص: ١٣١.

ويضيف بودلي فيقول: «إن هذا الجمع الغريب بين الناضج الكهل وهذه الفتاة الغريرة، كان له أبعد الأثر في الإسلام، وما كانت نتائجه جميعًا في صالح الدين»[١].

ونرد على هذه الشبهة:

فنقول:

– أن النبي ﷺ عقد على عائشة – رضي الله عنها – وهي بنت ست سنين، ولم يبن بها إلا وهي بنت تسع سنين، ومعلوم عند أطباء النساء أن كثيرًا من البنات يبلغن في هذه السن المبكرة، لأسباب وراثية وغذائية، وخصوصًا في البلاد الحارة مثل الجزيرة العربية[٢].

– أن خولة بنت حكيم رضي الله عنها واللتي كانت تحمل هم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أقدمت على عرض عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما للزواج منها برسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وتعلم أنها صالحة لأن تكون زوجة له في ذلك الوقت ، وأن معالم الأنوثة واضحة على الأقل في نظر خولة بنت حكيم رضي الله عنها وهذا أمر تجيد النساء معرفته .

– كما أن الأم هي أعلم بإبنتها من غيرها من ناحية ضجها ومناسبتها للزواج من عدمه ومع هذا فقد فرحت أم رومان (أم عائشة) واستبشرت حينما عرضت عليها خولة بنت حكيم رغبة النبي صلى الله عليه وسلم بعائشة فقالت انتظري أبا بكر فإنه أتي فجاء أبو بكر فذكرت له وهذا دليل على نمائها في ذلك الوقت . [٣]

(١) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ١٠٢.

(٢) رد علماء المسلمين على شبهات الملحدين والمستشرقين، مرجع سابق، ص: ٢٣٣.

(٣) انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة لإبن الأثير ط ١ (١٨٦/٧) دار الكتب العلمية والاصابة في تميز الصحابة لابن حجر مرجع سابق (١٧/٨)

- ثم إن هذا الزواج لم يكن غريبًا وغير معتاد، ولو كان ذلك لكان أوّل من هاجم رسول الله أعداء الله من كفار قريش لكنه كان أمرًا مألوفًا كما ذكر أصحاب السير أن عائشة كانت مخطوبة لجبير بن مطعم بن عدي قبل رسول الله ﷺ .(١)

- انتشار الزواج المبكر للمرأة في البيئة العربية في ذلك الوقت ومنه زواج بنات النبي ﷺ فقد تزوجت زينب بنت رسول الله وهي في العاشرة من عمرها(٢).

- أن النبي ﷺ قد رأى في المنام أنها زوجته، فكان زواجه منها بأمر الله عز وجل، فقد سبق في علمه - سبحانه وتعالى - ما ستكون عليه من الحكمة والفطنة والذكاء، بحيث تعي ما يقوله الرسول ﷺ، وما يفعله في بيته وسائر شؤونه فتنقله للأمة ليقتدوا به، فلم يتزوجها بدافع الشهوة والمتعة الزوجية، بل كان أمرًا من عنده، وإكرامًا لأبي بكر ﷺ وإيثارًا له إدناءه إليه، وإنزال ابنته أكرم المنازل في بيت النبوة».(٣).

لكن نفرًا من المستشرقين أتوا بعد ألف وثلاثمائة عام من ذلك الزواج، وأهدروا فروق العصر والبيئة، وأطالوا القول فيما وصفوه بأنه الجمع الغريب بين الزوج الكهل والطفلة الصغيرة العذراء، ويقيسون بعين الهوى زواجًا عقد في مكة قبل الهجرة بما يحدث اليوم في الغرب المتحضر، حيث لا تتزوج الفتاة عادة قبل سن الخامسة والعشرين، وهي تعتبر حتى وقتنا الحاضر متأخرة في الجزيرة العربية(٤).

وهذا ما أدركه كلًا من المستشرق بودلي والمستشرقة كارين، فقال بودلي: كانت عائشة على صغر سنها نامية، ذلك النمو السريع الذي تنموه نساء العرب، والذي يسبب لهن الهرم في أواخر السنين التي تعقب العشرين.

---

(١) انظر المنتظم في تاريخ الأمم والملوك لابن الجوزي ،ط ١ ، ٣٠٢/٥، دار الكتب العلمية تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير للذهبي ، ط ٢ ، ٢٨٠/١ ، دار الكتاب العربي ، سير أعلام النبلاء (٢٨٩/١) مرجع سابق ، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل ، عبدالملك العصامي، ط١، ٤٣٥/١،دار الكتب العلمية

(٢) السنا الوهاج في سن عائشة عند الزواج، مرجع سابق، ص: ٣٨٦.

(٣) انظر صحيح البخاري ح ٣٨٩٥ باب تزويج النبي عائشة رض الله عنها ٥٦/٥ وصحيح مسلم ح ٢٤٣٨في فضائل الصحابة باب في فضل عائشة رضي الله عنها ١٨٨٩/٤

(٤) تراجم سيدات النبوة، عائشة عبد الرحمن، ط١، ص: ٢٥٨، (دار الريان للتراث، ١٤٠٧ هـ).

وعلى الرغم من أنها طفلة بالنسبة لسنها، لكنها لم تكن طفلة لا حول لها، تركت تحت رحمة شيخ هرم، فلو أن هناك شابة عرفت ما هي مقبلة عليه لكانت عائشة[(١)].

وقال: «شغلت مسألة زواج الرجل الذي كان في الخمسين، من الفتاة التي كانت في العاشرة من عمرها بعض مؤرخي محمد، كما شغلهم الإسراء والمعراج، وحالة الصرع، وكان المؤرخون ينظرون إلى كل حالة من جهة نظرة المجتمع الذي يعيشون فيه، فلم ينظروا إلى هذا الزواج على أنه كان ولا يزال عادة آسيوية، ولم يفكروا في أن هذه العادة لازالت في شرق أوروبا، وكانت طبيعية في إسبانيا والبرتغال إلى سنين قليلة، وأنها ليست غير عادية في بعض المناطق الجبلية في الولايات المتحدة، وبغض النظر عن العادة، فإنهم لم ينظروا نظرة اعتبار إلى ظروف هذه الحالة الخاصة»[(٢)].

ولم تكن خطبة محمد ﷺ عائشة عجيبًا، حيث عقدت زيجات لفتيات أصغر من عائشة، لتوثيق محالفات أو لغير ذلك، ولم يكن هناك شك أن إكمال الزواج لم يتم إلا عندما تخطت عائشة سن البلوغ، عندما كان يمكن أن تتزوج مثل أي بنت أخرى، وكانت زيجات محمد ﷺ عادة لهدف سياسي[(٣)].

– زواجه ﷺ من زينب بنت جحش:

أورد المستشرقون شبهة حول زواجه ﷺ بزينب بنت جحش، وكتبوا ونمقوا عدة روايات باطلة حول هذا الزواج، حيث لا تكاد تجد كتاب مستشرق كتب عن محمد ﷺ إلا وأوردها.

حيث يقول المستشرق غوستاف لوبون: «لقد أطلق محمد العنان لهذا الحب، حتى أنه رأى اتفاقًا زوجة ابنه بالتبني وهي عارية، فوقع في قلبه منها شيء، فسرحها بعلها زيد؛ ليتزوجها

(١) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ١٤٢.

(٢) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ١٤١.

(٣) محمد نبي لزماننا، مرجع سابق، ص: ٩٣، ٩٤.

محمد، فاغتم المسلمون لذلك؛ فأوحي إلى محمد بواسطة جبريل الذي كان يتصل به يوميًا آيات تسوغ ذلك وانقلب الانتقاد إلى سكوت»[١].

ويروي المستشرق إميل درمنغم[٢] قصة زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش فيقول: «ودخل ذات يوم إلى بيت زيد بن حارثة بعد الفراغ من غزوة بني النضير، وكان زيد في ذلك اليوم غائبًا عن بيته، فوجد محمد نفسه تجاه زينب بنت جحش زوجة زيد، التي كانت من أجمل فتيات قومها، وكانت زينب سافرة وشبه عارية، وعاملة على زينتها إدارة بيتها، فأثار هذا الجمال السافر الغض الفياض في نفس النبي فقال: سبحان الله مقلب القلوب. ولم ينطق بغير هذه الكلمة وانصرف حالًا، فلما جاء زيد، قصّت زينب ما رأت فارتبك كثيرًا، وكان زيد المخلص لمحمد المنعم عليه يعلم مزاجه المتقد، وبدأ الوضع محيرًا إلى الغاية»[٣].

ويقول المستشرق مونتجمري وات: «وقد ذهبت – أي زينب – إلى المدينة مع أخواتها وزوجها محمد بالرغم عنها من ربيبه زيد بن حارثة، وقد ذهب محمد فيما بعد حوالي السنة الرابعة للهجرة إلى بيت زيد للتحدث إليه، وكان زيد غائبًا فشاهد زينب وهي عارية، فأحبها – كما يقولون — لتوه، فمضى وهو يقول سبحان مقلب القلوب»[٤].

إن أمثال هذه الصورة التي أبدعها الخيال كثيرة، ومما يدعو إلى أشدّ الأسف، أن هؤلاء جميعًا اعتمدوا في روايتهم على ما ورد في بعض كتب السيرة، والكثير من الحديث، ثم أقاموا على ما صوّروا قصورًا من الخيال في شأن محمد وصلته بالمرأة، واستدلوا على ذلك بكثرة أزواجه حتى بلغن تسعًا في القول الراجح، وحتى بلغن أكثر من ذلك في بعض الروايات»[٥].

---

(١) حضارة العرب، مرجع سابق، ص: ١١٦.

(٢) مستشرق عمل مديرًا في مكتبة الجزائر من آثاره حياة محمد وهو خير ما صنفه مستشرق عن النبي ويرجع إليه علماء المسلمين، محمد والسنة الإسلامية، سيرة الأولياء المسلمين. المستشرقون، مرجع سابق، ص: ٢٩٧.

(٣) حياة محمد، مرجع سابق، ص: ٣٠٢.

(٤) محمد النبي ورجل الدولة، مرجع سابق، ص: ٢٠٠.

(٥) حياة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، محمد حسين هيكل، ط١٤، ص ٢٠٤، (دار المعارف).

فقالوا: لهذا أكثر محمد من الزوجات، وحدد لأمته أربع كحد أعلى، بينما فتح لنفسه الأبواب، وتزوج الكثيرات، بل إنه عمد إلى زوجة ابنه ومولاه زيد بن حارثه، وتزوجها لأنها كانت بيضاء جميله(١).

ونرد على هذه الشبهة:

- بأن النبي ﷺ لم يكن، كما صوّر هؤلاء وأولئك، رجلًا يأخذ بعقله الهوى، وهو لم يتزوج نسائه بدافع من الشهوة أو الغرام، ولم يعرف عنه ﷺ بأنه كان صريع الغواني، وإنما كانت حياة الشرف والكرامة والعفة والترفع عن الدنايا قبل نبوته وبعدها، وما عرفت الدنيا أطهر ذيلًا منه، ولا أعف منه، ولا لمست يده قط يد امرأة لا تحل له، ولو كان رسول الله متيّمًا بالنساء ومغرمًا بمفاتنهن - كما زعموا - لأشبع رغبته بالأزواج الكثيرات وهو في شبابه(٢).

- يعرف زينب بنت جحش وهي ابنة عمته أميمة بنت عبد المطلب، ربيت بعينه وعنايته، وكانت منه بمقام البنت أو الأخت الصغرى، ويعرف أهي ذات مفاتن أم ليست كذلك قبل أن تتزوج زيد، وهو الذي خطبها على زيد مولاه. وإذا عرفت ذلك تداعت أمام نظرك كل تلك الخيالات والأقاويل(٣).

- أراد بهذا الزواج إلغاء الفوارق الطبقية التي كانت موجودة في الجاهلية، ومنها أن الذي جرى عليه الرق يومًا من الأيام لو تحرر بعد ذلك غير مكافئ للحر الذي لم يجر عليه الرق، وهذه ظاهرة متأصلة في العرب، حتى لو كانوا مسلمين، وخير شاهد على هذا ممانعة زينب - رضي الله عنها - في بداية الأمر من زواجها بزيد بن حارثة، والإسلام يريد أن يجعل التقوى ميزان التكافؤ(٤).

---

(١) افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام، عبد المنعم فؤاد، ط١، ص: ٨٤، (١٤٢٢هـ، مكتبة الرياض).

(٢) حياة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، مرجع سابق، ص: ٢٠٤.

(٣) حياة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، مرجع سابق، ص: ٢٠٧.

(٤) مع المفسرين والمستشرقين، زاهر الألمعي، ط٤، ص: ٥٧، (١٤٠٣هـ).

– أنه لو كان ما زعموا صحيحًا، لكان قوله – ﷺ – لزيد كما حكاه القرآن الكريم ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ [الأحزاب: ٣٧] نفاقًا، لأنه أظهر بلسانه خلاف ما يضمره في نفسه! لكن الله – عز وجل – عصم نبيه – ﷺ – من ذلك(١).

وبعد إيراد دوافع زواجه ﷺ في نظر المستشرقين، نورد ونبين الحكمة من دوافع زواجه ﷺ عند السلف الصالح، إذ المتأمل في دوافع زيجاته ﷺ من أمهات المؤمنين يجد لكل زواج دافع، فما تزوج النبي ﷺ زواجًا إلا ولهذا الزواج مصلحة راجحة من مصالح الدعوة والإسلام، أو المرؤة ومكارم الأخلاق، أو جلب منفعة عامة ودرء خطر اجتماعي كبير، فقد كان للأرحام والمصاهرة تأثير كبير في حياة العرب القبلية والاجتماعية.

أولًا:

– دوافع زواجه ﷺ الاجتماعية:

لقد كانت زيجات الرسول ﷺ في الفترة ما بين السنة الثانية للهجرة والسنة الثامنة، والتي توصل فيها الجهاد ضد معسكرات الكفر الثلاثة (المشركين، والمنافقين، واليهود) وأفرزت هذه الفترة كثرة الشهداء، فاختلّ التوازن العددي بين الذكور والإناث في المجتمع الإسلامي أنذاك، وكان من النساء اللواتي أصبحن من غير أزواج ذوات ماضي مشرق في الدعوة والجهاد، وليس من المروءة والوفاء أن يتركن وشأنهن، بل الواجب الاجتماعي والموقف الإنساني يفرضان تكريمهما من قبل القيادة الإسلامية العليا؛ فكان زواج النبي ﷺ منهن، أو من بعضهن أبلغ تكريم، ومن بين أولئك النسوة سودة بنت زمعة – رضي الله عنها – «ويتجلى دافع زواج النبي ﷺ بها ليحافظ عليها وعلى دينها، وليصد عنها أذى قومها وخوفًا من أن يفتنها أهلها المشركون، ويكرهوها على الكفر بعد الإيمان إذا رجعت إليهم بعد تأيمها، فقد توفي زوجها بعد

---

(١) رد شبهات حول عصمة النبي ﷺ في ضوء السنة النبوية الشريفة، عماد السيد محمد إسماعيل الشربيني، ص: ١٨٦، ١٨٧، (رسالة دكتوراه جامعة الأزهر، مطابع دار الصحيفة ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م).

الرجوع من هجرة الحبشة، وحفصة بنت عمر بن الخطاب – رضي الله عنها – فقد تزوجها النبي ﷺ إعزازًا لشأنه وإكرامًا لها ولأبيها بهذه المصاهرة، وزينب بنت خزيمة – أم المساكين – فقد تزوجها النبي ﷺ بعد وفاة زوجها مكافأة لها على فضلها وتصدقها على المساكين حتى لقبت بذلك، وأم سلمة هند بنت أمية تزوجها النبي ﷺ جبرًا لخاطرها، وحماية لها ولأولادها من المهانة، وبرًّا بأصحابه ورجال دعوته الذين يقدمون أنفسهم في سبيل الله، وأم حبيبة رملة بنت أبي سفيان المؤمنة الصابرة فقد ضمّها رسول الله إلى زوجاته إكراما وإعزازًا وحماية لها»(١).

ومما يلحق بهذا الدافع اتجاه النبي إلى مصاهرة أبي بكر وعمر بزواجه من عائشة وحفصة، كذلك تزويجه ابنته فاطمة علي بن أبي طالب ﷺ، وتزويجه ابنتيه رقية وأم كلثوم بعثمان بن عفان ﷺ؛ إذ كان من توثيق الصلات بهؤلاء الرجال الذين عرف بلاؤهم وتضحياتهم للإسلام(٢)، وتوثيق الروابط بين البطون والقبائل بالمصاهرة، وجعل القلوب تلتف حول النبي ﷺ وتتلقى دعوته في إيمان وإكبار وإجلال(٣).

ثانيًا:

– دوافع زواجه ﷺ السياسية:

كان النبي ﷺ حريص على إيصال الدعوة، وتبليغ الرسالة إلى أقصى مدى يمكن الوصول إليه؛ لهذا كوَّن النبي علاقات زوجية مع زعماء القبائل ومراكز القوة المشتركة، وليسلك طريقًا جديدًا لانتشار الإسلام.

وكان من تقاليد العرب احترام المصاهرة، فقد كان الصهر عندهم بابًا من أبواب التقرب بين البطون المختلفة، وكانوا يرون مناوأة ومحاباة الأصهار سبّة وعار على أنفسهم، ومن المعلوم أن الإنسان إذا تزوج من قبيلة بينه وبينهم مصاهره وقرابة، فإنه بطبيعته يدعوهم إلى نصرته وحمايته، فأراد النبي ﷺ بزواجه من أمهات المؤمنين أن يؤلف القلوب، ويطفئ حدة البغضاء، ومن هذا زواجه ﷺ بجويرية بنت الحارث سيد بني المصطلق، وكانت وقعت تحت الأسر مع

---

(١) تعدد الزوجات في الإسلام، عبد التواب هيكل، ص: ١٢٩، ١٣٦، ١٣١، ١٣٧، (دار القلم ١٤٠٢هـ).

(٢) المستشرقون المعاصرون فليب حتى عصر النبوة والخلافة، مرجع سابق، ص: ١٣٤.

(٣) شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول، مرجع سابق، ص: ٢٣.

قومها وعشيرتها، فكان زواجها من النبي ﷺ بركة عليها وعلى قومها وعشيرتها؛ لأنه كان سببًا لإسلامهم وعتقهم، وكانت جويرية أيمن امرأة على قومها[١].

وكذلك زواجه ﷺ من صفية بنت حيي بن أخطب التي أسرت بعد مقتل زوجها في غزوة خيبر ووقعت في سهم دحية الكلبي؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قدم النبي ﷺ خيبر، فلما فتح الله عليه الحصن ذكر له جمال صفية بنت حيي بن أخطب، وقد قتل زوجها، وكانت عروسًا، فاصطفاها رسول الله ﷺ لنفسه، فخرج بها حتى بلغنا سدّ الروحاء حلت فبنى بها، ثم صنع حيسًا في نطع صغير، ثم قال رسول الله ﷺ: «آذن من حولك»، فكانت تلك وليمة رسول الله ﷺ على صفية، ثم خرجنا إلى المدينة قال: فرأيت رسول الله ﷺ يحوي لها وراءه بعباءة، ثم يجلس عند بعيره، فيضع ركبته فتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب[٢].

وأيضًا زواجه من أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان وقيل: أنها نزلت في ذلك هذه الآية لما فيها من تأليف القلوب وتخفيف العداوة قال الله تعالى ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٞۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧ ﴾ [سورة الممتحنة: ٧].

ثالثًا:

- دوافع زواجه ﷺ التشريعية:

كما تزوج رسول الله ﷺ لتحقيق بعض الغايات التشريعية وهي جزء من دوافع زيجاته ﷺ ومنها إبطال بعض العادات التي سادت زمن الجاهلية، مثل التبني والتآخي[٣]، وما كان أحد غير رسول الله ﷺ يقدر أن يطبق الحكم عمليًا، ويحطم الفوارق الطبقية، ويبطل عادات الجاهلية، ولو لم يفعل النبي ﷺ لظلت تقاليد الجاهلية متوارثة إلى زمننا الحاضر، لكن إرادة الله

---

(١) شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول، مرجع سابق، ص: ٢٧، عصر النبوة والخلافة الراشدة، مرجع سابق، ص: ١٣٤.

(٢) صحيح البخاري ح ٢٢٣٥، كتاب البيوع، باب هل يسافر بالجارية قبل أن يستبرئها، ٣/ ٨٤.

(٣) زوجات النبي وحكمة تعددهن، عبد الغني عبد الرحمن، ص: ٣٠، (مكتبة مدبولي، جامعة الأزهر).

ثم فعل رسوله ﷺ حقّقت المساواة الكاملة بين البشر؛ وذلك بتزويج زيد مولى محمد من شريفة قرشية زينب بنت جحش ابنة عمته ﷺ ليسقط الفوارق عمليًا[١].

ثم بعد أن تم الزواج وتحققت به الغاية المقصودة منه، لم يشأ الله أن يتم الوفاق بينهم لحكمة يعلمها الله؛ وهي أن يتزوج محمد ﷺ من زينب بنت جحش بعد طلاقها من زيد؛ لهدم نظام التبني الموروث من الجاهلية، بل جاء هذا الزواج بوحي من عند الله كما قال الله ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٧] وما كان ذلك ليتحقق في تاريخ البشرية لولا أن النبي ﷺ طبّقه على نفسه هو عمليًّا، ثم تلقى المسلمون عن نبيهم من هذا الزواج حكمًا إسلاميًا أجمعت عليه الأمة بأسرها بسبب هذا التطبيق النبوي[٢].

رابعًا:

– دوافع زيجاته ﷺ التعليمية:

إن من الغايات والدوافع الأساسية من تعدد زوجات النبي ﷺ، تخريج عدد من النساء معلّمات يعلمن الأحكام الشرعية، فالنساء نصف المجتمع، وقد فرض عليهنّ من التكاليف ما فرض على الرجال، وقد كان الكثيرات منهنّ يستحيين من سؤال النبي ﷺ عن بعض الأمور الشرعية، وخاصة المتعلقة بهن كأحكام الحيض، والنفاس، والجنابة، والأمور الزوجية وغيرها، وقد كانت المرأة تغالب حياؤها حينما تريد أن تسأل رسول الله ﷺ عن بعض المسائل[٣].

كما أن خلق النبي ﷺ الحياء الكامل، فقد كان أشد حياءً من العذراء في خدرها، فما كان يستطيع أن يجيب على كل سؤال يعرض عليه من جهة النساء بالصراحة الكاملة، بل كان يكني في بعض الأحيان، وربما لم تفهم المرأة عن طريق الكناية مراده عليه الصلاة والسلام[٤].

---

(١) تعدد الزوجات في الإسلام، مرجع سابق، ص: ١٣٤، ١٣٣.

(٢) تعدد الزوجات في الإسلام، ص: ١٣٣، ١٣٤.

(٣) شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول، مرجع سابق، ص: ١٣، ١٤.

(٤) شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول، ص: ١٣، ١٤.

فعن عائشة – رضي الله عنها – أن امرأة من الأنصار قالت للنبي ﷺ: كيف أغتسل من المحيض؟ قال: «خذي فرصة ممسكة فتوضئي ثلاثًا» ثم إن النبي ﷺ استحيا فأعرض بوجهه، أو قال: «توضئي بها» فأخذتها فجذبتها فأخبرتها بما يريد النبي ﷺ[(١)]، وكانت المرأة منهن تأتي إلى عائشة في الظلام لتسألها عن بعض أمور الدين، وعن أحكام الحيض والنفاس والجنابة وغيرها من الأحكام، فكان نساء النبي خير معلّمات وموجّهات لهن، وعن طريقهن تفقّه النساء في دين الله[(٢)].

وقد تجلّى هذا الدافع التعليمي في زواجه من عائشة – رضي الله عنها – — خاصّة، ومن أزواجه أمهات المؤمنين عامّة، فقد كان عاملًا مشتركًا بين أزواجه اللائي أمرهن الله أن ينشرن تعاليم الإسلام وأحكامه على الأمة الإسلامية، وخاصة ما يتعلق بالجانب الأسري فقد قال الله تعـالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٤]

ولقد كان لعائشة – رضي الله عنها – في هذا الميدان النصيب الأكبر والحظ الأوفر، فكانت أكثر أزواجه رواية وإخبارًا عما يجري في بيوت النبي ﷺ؛ لذلك اختارها الله له صغيرة في سنّها، حين عقد عليها، لما امتازت به من ذكاء وفطنة، فحفظت الأحاديث عن رسول الله وكانت من أكثر رواة الأحاديث بعد أبي هريرة ﷺ، وروت عنه كثيرًا من أفعاله وتقريراته التي اهتدى بها المسلمون وعملوا بها، فكان زواجها بالنبي ﷺ من أهم الوسائل في نشر تعاليم الإسلام للأمة[(٣)].

ولهذا فقد كان نشر قواعد الإسلام يقتضي أن يكون لرسول الله ﷺ زوجات كُثر، ينقلن عنه تعاليم رب السماء، وأزواج النبي ﷺ أقرب الناس إليه، وأولى بمعرفة الكثير من الأحكام، وبخاصّة التي لا يستطيع نقلها إلا الزوجات، ولما توفي رسول الله كانت بيوته مراجع يهتدي بها

(١) صحيح البخاري، ح ٥١٣، كتاب الحيض، باب غسل المحيض ١/ ٧٠.

(٢) شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول، مرجع سابق، ص: ١٧.

(٣) تعدد الزوجات في الإسلام ، مرجع سابق، ص: ١٣٠، ١٣١.

المسلمون ليتعلموا أمور دينهم، فكانت أمهات المؤمنين أزواجه الطاهرات يروين كثيرًا من أحاديثه وتربيته وسيرته[١].

وهكذا كان للنبي ﷺ في كل زيجة من زيجاته دافع وهدف، ولم يكن لهذه الزيجات دوافع شهوانية أو دنيوية؛ بل كان الهدف الأصلي من الزواج واختيار الزوجات خدمة الدعوة إلى الله وجذب القلوب إليها، وتأليف القبائل، وحماية للمؤمنات الصادقات من الفتنة والإيذاء، واحترامًا ووفاءً للمرأة المسلمة.

(١) زوجات النبي محمد وأسرار الحكمة في تعددهن، مرجع سابق، ص: ١٦.

المطلب الثالث

تعدد زوجاته ﷺ

لقد تناول المستشرقون مسألة تعدد زوجات النبي ﷺ، ونالت جانبًا مهمًا في كتبهم وكتاباتهم، وحاولوا أن يجدوا مقارنة بين زواج النبي ﷺ، وزواج العرب قبل الإسلام، وطبيعة التعدد في الجاهلية، وأثاروا شبهات كثيرة في زواجه ﷺ بأكثر من أربع زوجات، وذلك من أجل تعكير صفو الفكر الإنساني عامة، والإسلامي خاصة تجاه هذا النبي العظيم.

يقول المستشرق إميل درمنغم: «شعر محمد في العقد الأخير من عمره بميل كبير إلى النساء، فقد أثارت عائشة الفتاة التي تزوجت في السنة التاسعة من عمرها، عوامل الميل إلى النعيم الجنسي في زوج خديجة الطاهرة، بعد أن ظل وفيًا لها عشرين سنة مع زيادة سنها على سنه كثيرًا»(١).

ويزعم جولد تسيهر انشغال النبي ﷺ بتعدد النساء حيث يقول: «روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إنما حبب إلي من دنياكم الطيب والنساء - وأضيف إلى ذلك فيما بعد - وجعلت قرة عيني في الصلاة» وهذه الرواية وأمثالها تجعله بحق موضع اتهام الخصوم، الذين أخذوا عليه أنه لا يشتغل بغير النساء، مما لا يتفق مع وصفه بالنبوة(٢).

وفي قول المستشرق جولد تسيهر افتراء على الحديث، وتشكيك في الرواية، واتهام لحملته حيث إن جملة (وجعلت قرة عيني في الصلاة) ثابتة في أصل الحديث وليست مضافة إلى الرواية فيما بعد، كما يدعي المستشرق جولد، وهذا يدل على تلفيق وجهالة المستشرقين وعدم دقتهم في النقل والبحث والتحري.

---

(١) حياة محمد، مرجع سابق، ص: ٣٠١.

(٢) الاستشراق وموقفه من السنة النبوية، مرجع سابق ، ص ٣٢.

فقد جاء الحديث بأكثر من رواية، وهذه الجملة في أصله، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنما حبب إلى من دنياكم النساء، والطيب. وجعلت قرة عيني في الصلاة»[١].

وأما قوله: (أنه لا يشتغل بغير النساء مما لا يتفق مع وصفه بالنبوة) فهذا باطل، وذلك أن التعدد في الزواج ليس مما يعاب به الأنبياء، فقد عدد الأنبياء قبل محمد ﷺ فإبراهيم عليه السلام تزوج سارة ثم هاجر، ويعقوب عليه السلام تزوج بأربع نسوة وداود تزوج بأكثر.

ثم إن زواجه المتعدد لم يمنعه ﷺ من القيام بجميع حقوق الله تعالى باعتباره نبيًا، كما لم يقف حائلًا بينه وبين قيامه بشؤون الدعوة إلى الله، وأداء جميع الحقوق الاجتماعية التي تفرضها وضعيته باعتباره مؤسسًا وقائدًا الأمة.

وهذا دليل على عدم انشغاله بموضوع النساء في حياته بأكثر مما يستحقه الموضوع بالفعل، وهو قيام الرجل بحفظ حقوق أهله، وقد كان رسول الله ﷺ في ذلك مثالًا يحتذى[٢].

ويجيب المستشرق ول ديورانت على هذا فيقول: «لم يكن الاقتصار على زوجة واحدة أمرًا مألوفًا عند أغنياء العرب في ذلك الوقت»[٣] بل إن ديورانت يجعل التعدد واجبًا أخلاقيًا يواجه به البشر نسبة تعدد الوفيات في الذكور حيث يقول: «تزوج النبي ﷺ بعشر نساء وكانت له اثنتان من السراري هن مبعث الدهشة والحسد والتعليق والمدح عند الغربيين، ولكن علينا أن نذكر على الدوام أن نسبة الوفيات العالية من الذكور بين الساميين في العصر القديم، وفي بداية العصور الوسطى، جعلت تعدد الزوجات، في نظر هؤلاء الساميين، ضرورة حيوية تكاد تكون واجبًا أخلاقيًا، وكان تعدد الزوجات في نظر النبي أمرًا عاديًا مسلمًا به لا غبار عليه، ولذلك كان يقبل عليه وهو مرتاح الضمير لا يبغي به إشباع الشهوة الجنسية»[٤].

---

(١) سبق تخريجه ص٤٢.

(٢) نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر ، مرجع سابق، ص ٤٣١، ٤٣٠.

(٣) قصة الحضارة، مرجع سابق، ١٣/ ٢٢.

(٤) المرجع السابق، ١٣/ ٤٣.

ويضيف غوستاف لوبون فيقول: «ولم يكن محمد هو الذي أباح تعدد الزوجات بين العرب، فتعدد الزوجات مما عرفته أمم آسية على اختلاف مللها ونحلها قبل النبي، ولا يزال تعدد الزوجات شائعًا بين هذه الأمم»(١).

طبيعة الزواج والتعدد عند العرب وموقف المستشرقين منه:

لقد كان تعدد النساء عند العرب أمرًا شائعًا، فالعربي بطبعه مولع بالمرأة، ولذا نرى هذا الولع ظاهرًا في أشعار الجاهليين وأخبارهم، فالعربي يستهل قصيدته بحب المرأة والتشبيب بها ووصف محاسنها، وقد دعاهم هذا الولع إلى تعدد الزوجات دون حد لإشباع نهمهم والإكثار من الأولاد(٢)، ثم جاء الإسلام وقيّده بأربع زوجات، عن عبد الله بن عمر ﷺ: «أن غيلان بن سلمة أسلم وله عشر نسوة في الجاهلية فأسلمن معه، فأمره النبي ﷺ أن يتخير أربعًا منهن»(٣).

وفي تعدد زوجاته ﷺ عند العرب، وموقف المستشرقين منه؛ يقول المستشرق إيرفنج: «أشتهر النبي ﷺ بعذريته، وتعففه التي ذكرها المؤرخون وأكدوها في صباه؛ ومن الملاحظ أنه رغم تعدد الزوجات إلا أنه كان أمرًا طبيعيًا وشائعًا عند العرب، وأنه ﷺ لم يغيره بل ضبطه، وسمح لنفسه به في سنين متأخرة من عمره ﷺ، ورغم فحولته إلا أنه ظل مكرسًا نفسه لخديجة رضي الله عنها طوال فترة حياتها»(٤).

«وبالرغم أن خديجة كانت أكبر بكثير من الرسول ﷺ بالعمر، وقد اجتازت مرحلة الغضاضة المرغوبة في الشرق من المرأة، ورغم أن الرسول ﷺ قد صرّح برغبته في النساء والطيب، ظل مخلصًا لها إلى النهاية، فلم يسمح لنفسه عبر قوانين العرب التي تتيح تعدد الزوجات بأن

(١) حضارة العرب، مرجع سابق، ص ١١٧.

(٢) الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام، عبدالسلام الترمانيني، ص ١٨٠-١٨١، عالم المعرفة سلسة كتب ثقافية، يصدرها المجلس الوطني للثقافة بالكويت.

(٣) سنن الترمذي، ح ١١٢٨، أبواب النكاح، باب الرجل يسلم وعنده عشر نسوة، ٤٢٧/٣، سنن ابن ماجه، ح ١٩٥٣، كتاب النكاح، باب الرجل يسلم وعنده أكثر من أربع نسوة، ٢٦٨/١، وقال الألباني في إرواء الغليل: (٦/ ٢٩١ - ٢٩٥): صحيح.

(٤) محمد وخلفاؤه، مرجع سابق، ص: ٢٠٧.

يأتي بضرّة له، في بيته، لكنها بعد أن توفيت، وهوّن عليه جبريل آلامه بفقدها، عوّض عنها بزواج آخر أتبعه بزيجات متعددة»(١).

وتقول أمسترونج كارين: «وأحب محمد خديجة، ولم يتخذ زوجة أخرى شابة معها، مع أن ذلك مقبولًا في أعراف العرب»(٢).

ويضيف بودلي: «ولم تشاطر قلبه امرأة أخرى، مع أنه كان من المألوف في بلاده تعدد الزوجات»(٣).

فقد ترك محمد مسألة تعدد الزوجات، وإنه لمن الثابت في العهد القديم أنها عادة متأصلة في العرب تعود إلى أزمنة متناهية في القدم، وقد كانت بذلك من العوائد القديمة التي تغلغلت فيهم، وما كان محمد ليقرّها، ولكن لم يكن ليملك منعها، فقد كان تحريمها يُفقده كثيرًا من أتباعه دون أن يؤدي خدمة ظاهرة للإسلام، فترك لهم ما ألفوه ولكنه قيد تعدد الزوجات(٤).

ويقول غوستاف: «تزوج محمد أربع نسوة في سنة واحدة، وبلغ عدد من تزوجهن خمس عشرة امرأة، واجتمع منهن إحدى عشرة في وقت واحد، وقد يرى الأوربي هذا العدد كبير، ولكن الشرقيين لا يرون فيه إفراطًا، وأنه يمكن للنبي أن يتزوج أكثر من أولئك لو سمح لنفسه على غرار الملك سليمان العظيم الذي هو أكثر ملوك التوراة حكمة»(٥).

وفي طبيعة التعدد عند الغرب تعبر أمسترونج كارين بقولها: «ولقد أثار تعدد زوجات محمد مقدارًا كبيرًا من التخمين الشهواني المريض في الغرب، لكن في بلاد العرب كان تعدد الزوجات أكثر شيوعًا من الزواج الأحادي، مثل ذلك الزواج الذي تمتع به محمد ﷺ مع خديجة»(٦).

---

(١) محمد وخلفاؤه، مرجع سابق، ص: ١٥٧، ١٥٨.

(٢) محمد نبي لزماننا، مرجع سابق، ص: ٣٧.

(٣) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٦٣.

(٤) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٨٩.

(٥) حضارة العرب، مرجع سابق، ص: ١١٦.

(٦) محمد نبي لزماننا، مرجع سابق، ص: ٩٤.

وترجع المستشرقة هونكة [١] سبب تعدد الزوجات عند العرب إلى الرغبة في كثرة النسل فتقول: «وكان تعدد الزوجات في الجاهلية ضرورة اقتضتها ظروف المعيشة، والرغبة في العدد الكبير من الأولاد؛ لتقوية مركز القبيلة، ولتوطيد العلاقات بين مختلف القبائل بالمصاهرة، وبظهور الإسلام استمرت تلك الضرورة نتيجة لبدء الفتوح» [٢].

فقد كان تعدد الزوجات إلى غير حدّ هو النظام السائد في الجزيرة العربية، وعلى قاعدته تزوج النبي نساءه، ولكل زوجة ما يبرر زواجه بها [٣].

شبهة زواجه ﷺ بأكثر من أربع زوجات:

أثار المستشرقون شبهة فحواها أنه ﷺ تزوج بأكثر من أربع، وسمح لأمته بأربع فقط، فقالوا: لقد كان محمد رجلًا شهوانيًا يسير وراء شهوته وملذاته ويمشي مع هواه، ولم يكتف بزوجة واحدة أو بأربع كما أوجب على أتباعه، بل عدد الزوجات فتزوج عشرة نسوة أو يزيد سيرًا مع الشهوة وميلًا مع الهوى [٤].

وقالوا: «إنه أول من خالف أحكام القرآن في الزواج، فقد أباح القرآن للمسلم أن يتزوج أربعًا، ولكن محمد كان شهوانيًا محبًّا للنساء، فكسر القاعدة وتزوّج تسع نسوة، والغريب أن القرآن يصفه بالقدوة الحسنة» [٥].

ولقد افترق المستشرقون تجاه هذه الشبهة إلى فريقين:

١() هونكة مستشرقة ألمانية معاصرة أقامت بمراكش من أثارها: أثر الأدب العربي في الآداب الأوربية، الرجل والمرأة، وشمس الله تسطع على الغرب وترجم بعنوان شمس العرب تسطع على الغرب. معجم أسماء المستشرقين، مرجع سابق، ص: ١١٣٣.

(٢) شمس العرب تسطع على الغرب، زيغريد هونكه، ترجمة فاروق بيضون كمال الدسوقي، ص: ١٧١، (دار الجيل، بيروت، ١٤١٣هـ).

(٣) السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون، المستشرق سفاري، ترجمة: محمد عبد العظيم علي، نقد عبد المتعال الجبري، ط١، ص: ٢٤٦، (دار الدعوة، ١٤١٤هـ).

(٤) شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول، مرجع سابق.

(٥) رد علماء المسلمين على شبهات الملحدين والمستشرقين، مرجع سابق، ص: ٢٩٩.

الأول: قالوا بأنه ﷺ سمح لنفسه أن يتزوج بأكثر من أربع زوجات ولم يخضع لقيد الشريعة الإسلامية.

يقول المستشرق إيرفنج: «وبرغم أن الدين الإسلامي لا يبيح للمسلم الزواج بأكثر من أربع زوجات، إلا أن محمدًا لم يتقيّد هو بهذا العدد؛ لصفات النبوة التي تصطفيه عن امتيازات الآخرين»(١).

ويضيف سفاري(٢): «وبناء على القانون الإسلامي الذي أملاه على نفسه؛ فإنه لا يباح الزواج بأكثر من أربع نساء في وقت واحد، ولقد تزوج هو خمسة عشرة امرأة، وبنى على اثنتي عشرة منهن، وكان يعتقد أن من شرف النبوة، أن لا يقيد عدد زوجاته شأنه شأن سائر الناس؛ ولهذا جعل السماء تنطق بهذه الكلمات ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ٱلَّـٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥٠](٣)

الثاني: قالوا: إن قانون التقيد بأربع لم يأت إلا بعد زواجه ﷺ بأكثر من أربع.

يقول المستشرق غوستاف لوبون: «ويظهر أن محمد لاقى من المكاره الزوجية ما يندر وجوده عند الشرقيين، ويكثر وقوعه عند الأوربيين، وعرف آخر الأمر أن ما ينجم عن زيادة عدد الزيجات من المفاسد والشرور، فحرم على المسلم أن يجمع أكثر من أربع زوجات»(٤)

(١) محمد وخلفاؤه، مرجع سابق، ص: ١٥٧، ١٥٨.

(٢) مستشرق فرنسي ولد بفرنسا عام ١٧٥٠ وتوفي فيباريس عام ١٧٨٨. له: ترجمة للقرآن الكريم، وغراميات أنس الوجود، وكتاب قواعد اللغة العربية والفصحى. انظر: السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون، مرجع سابق، ص: ٧.

(٣) السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون، مرجع سابق، ص: ٢٤٦.

(٤) حضارة العرب، مرجع سابق، ص: ١١٧، ١١٦.

حيث يرى المستشرق غوستاف أن الشرع جاء بالتقييد بأربع زوجات بعد أن ظهر للنبي ﷺ مساوئ الزواج بأكثر من أربع فقيد أمته بأربع زوجات.

ونرد على هذه الشبهة

فنقول:

أولًا:

- إن فعل النبي ﷺ في التعدد لم يكن بدعًا، لا في شرعه، ولا بين قومه، فشرعه هو شرع الأنبياء من قبله، والأنبياء قبله كانوا يتزوجون ويعددون، وقد ثبت ذلك عن سليمان ويعقوب وغيرهما في الكتاب المقدس، ولم ينكر أحدٌ على هؤلاء، فلماذا الإنكار على النبي ﷺ؟[١]

- أن العرب قبل مجيئ محمد ﷺ كانوا يعددون الزوجات، فقد جاء النبي ﷺ وهم يعددون، وكان هذا النظام قائمًا على كل الناس وقت نبوته عليه الصلاة والسلام، وعلى ذلك فلا غرابة في تعدد زوجاته[٢].

- أن سيرته تثبت أنه تزوج وهو في الخامسة والعشرين من خديجة وهي في الأربعين من عمرها، وعاش معها ولم يتزوج غيرها حتى توفيت - رضي الله عنها -، ولم يثبت في التاريخ أن أحدًا من خصومه جرؤ أن ينسب إليه دنسًا أو يتهمه بريبة أثناء تلك الفترة[٣].

- أن تعدد زوجاته ﷺ لأسباب شرعية، فلم يكن شهوانيًا ولو كان كذلك لعدد في صباه، إذا أنه من المعلوم أنه لم يعدّد إلا بعد أن بلغ ثلاث وخمسين عامًا، وبعد هذا السن لا يكون للرجل رغبة في النساء، وهذا لا يعني أنه ينطبق على رسول الله ﷺ مثل ما ينطبق على

---

(١) افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام، مرجع سابق، ص: ٢١٤.

(٢) افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام، مرجع سابق، ص: ٢١٤.

(٣) افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام، مرجع سابق،ص: ٢١٤.

غيره، وذلك لأن رصيد النبي ﷺ من القوة الجسدية كان وفيرا بجوار القوة الروحية. لكنه لم يكن كما زعم المستشرقون(١).

ثانيًا:

- أن النبي ﷺ سمح لنفسه أن يتزوج بأكثر من أربع ولم يخضع لقيد الشريعة، يرجع هذا إلى أمرين:

الأمر الأول: أن التعدد الذي وقع فيه النبي ﷺ كان مباحًا له ولأصحابه ولسائر العرب في ذلك الوقت، وللرجل أن يعدد ما شاء من العدد متى ما شاء دون شرط أو قيد(٢).

الأمر الثاني: أن حكم الزواج بأكثر من أربع زوجات حكم خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم ،إذ له من الخصائص والأحكام مايختص به عن سائر أمته .

- ومن هذا نزول آيات وتشريع من عند الله عزوجل خاصة برسول الله ﷺ حيث أمر أن لا يتزوج مرة أخرى ويمسك ما عنده من أزواج قال الله تعالى ﴿ **لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ٥٢** ﴾ [الأحزاب: ٥٢] فهذه الآية الخاصة بالنبي ﷺ وقد قيّدته بقيدين: أحدهما: عدم الإضافة إلى مَن عنده من الأزواج، وثانيهما: عدم السماح باستبدالهنَّ بغيرهن من النساء(٣).

أما بقية الصحابة والأمة فقد تم تحديد العدد فلا يمسك الواحد أكثر من أربع نسوة إن استطاع أن يعدد وإلا فواحدة قال الله تعالى: ﴿ **وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا**

---

(١) رد علماء المسلمين على شبهات الملحدين والمستشرقين، مرجع سابق، ص: ٢٢٩، افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام، مرجع سابق، ص: ٢١٦.

(٢) افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام، مرجع سابق، ص: ٢١٦.

(٣) افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام، مرجع سابق، ص: ٢١٦ – ٢١٥.

طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴿٣﴾ ﴾ [النساء: ٣] وفي هذا تضيق على النبي ﷺ وتوسيع على غيره(١).

- إذ إن النبي ﷺ يقف عند المعدود؛ أي ما معه من النساء، وليس له عدد بعدهن، فلو أن جميع نساءه متن قبله ما استطاع أن يتزوج بعدهن لأن الله قال: ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ ﴾.[الأحزاب:٥٢](٢).

- أما الصحابة - رضي الله عنهم - وبقية أمته ﷺ فالواحد منهم يستطيع أن يطلّق ثم يتزوج، ويدور هذا الأمر إلى أربعين امرأة أو أكثر - إن شاء - فالأمر مفتوح أمامه؛ لكن إن أراد أن يمسك فله أربع زوجات فقط، ومتى ما طلق يأتي بأخرى ويدور معه العدد، لكن رسول الله ﷺ لا يدور معه العدد بل يقف عند المعدود له، فلو لم يكن النبي ﷺ أمينًا، وكان صاحب شهوة ما ضيق على نفسه ولا وقف على من عنده من النسوة، ولا بلّغ أمته بذلك(٣).

شبهة أخرى:

- أن النبي ﷺ تزوج بأكثر من أربع زوجات قبل التشريع، ثم جاء التشريع وقيده بأربع فلماذا لم يُطلق هذه الزيادة بعد نزول التشريع مثل بقية أمته؟

ونرد على هذه الشبهة

فنقول:

- أن هذه الشبة غير صحيحة لأن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج بعد نزول التشريع والتقييد با أربع كما في زواجه صلى الله عليه وسلم من أم المؤمنين ميمونة -رضي الله عنها - بعد عمرة القضاء وكان ذلك بعد نزول سورة النساء ، ولاعلاقة بين قوله تعالى ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴿٣﴾ ﴾ [النساء: ٣] وبين زواج النبي صلى

(١) افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام، مرجع سابق، ص: ٢١٦ — ٢١٥.

(٢) افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام، مرجع سابق، ص: ٢١٦ — ٢١٥.

(٣) افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام، مرجع سابق، ص: ٢١٦ — ٢١٥.

الله عليه وسلم بأكثر من أربع لأن حكم الآية خاص بالأمة ،أما النبي صلى الله عليه وسلم فقد أبيح له أن يتزوج بأكثر من أربع للحكم الشرعية العظيمة .

– لأن الله حرم زوجاته على المؤمنين فهن أمهاتهم قال الله تعالى ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ ﴾ [الأحزاب: ٦] فإذا طلقهن أين يذهبن فهن أمهات المؤمنين لا يستطيع أحدًا الزواج بهن(١).

– أن النبي ﷺ لو طلقهن كان سببًا في حزنهن وإشعال الغيظ في صدور أهلهن، بل قبائلهن وهذا ينطبق على أي مسلم إذا طلّق زوجته(٢).

شبهة أخرى:

– أن النبي ﷺ قيّد الزواج بأربع لما لقي من المكاره الزوجية.

فهذا كلام باطل ولا أصل له، فلم يكن النبي ﷺ هو المشرع لهذا الحكم، وإنما الحكم من عند الله وبه أنزلت الآيات التي تقتضي هذا التقييد، فالنبي ﷺ رسول مبلغ عن ربه وأكرمه ربه بعدة خصائص منها الزواج بأكثر من أربع .

وفي شهادة المستشرقين ببطلان هذه الشبهة:

يجمع عدد من المستشرقين على أن التعدد كان موجودًا عند العرب، وأصلٌ بين القبائل العربية، لم يأت به محمد ﷺ من تلقاء نفسه؛ وإنما أقرّ بهذا التعدد الذي كان موجودًا ثم نظمه وجعل له حدًا وشرطًا.

يقول المستشرق إميل درمنغم عن النبي ﷺ: «وأباح محمد تعدد الزوجات، وما كان ليستطيع أن يفعل غير ذلك في بلاد إبراهيم، ولم يوص الناس به، ولم يأذن فيه إلا بشرط العدل بين الزوجات، فلا يهب لإحداهن إبرةً دون الأخرى، وحظر جمع أكثر من أربع زوجات في آن واحد، وإن زاد عدد من تزوجهن على ذلك امتيازًا له»(٣).

---

(١) رد علماء المسلمين على شبهات الملحدين والمستشرقين، مرجع سابق، ص: ٢٢٩.

(٢) رد علماء المسلمين على شبهات الملحدين والمستشرقين، مرجع سابق، ص: ٢٢٩.

(٣) حياة محمد، مرجع سابق، ص: ٣٣٢.

ويضيف المستشرق آتين دينيه فيقول: «إن محمدًا وضع حدًّا لتعدّد الزوجات، فجعل العدد الأقصى منهن أربع، وزاد على ذلك أن نصح المؤمنين بالتفكر في الآية ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾﴾ [النساء: ٣][1].

(١) محمد رسول الله، مرجع سابق، ص: ٢٤٨.

المبحث الثاني
مواردهم في دراسة أمهات المؤمنين

المطلب الأول: القرآن الكريم والسنة النبوية.

المطلب الثاني: كتب التاريخ والسير والتراجم.

المطلب الثالث: كتب العقائد والأديان.

المطلب الأول

القرآن الكريم والسنة النبوية

أولا: القرآن الكريم.

من أهم الموارد التي يستقي منها الإسلام منبعه ومصدره هو كتاب الله العزيز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

ولهذا اعتنى المستشرقون بدراسة القرآن الكريم والتفسير، واعتنوا به عناية بالغةً، وشكّل عندهم مجالًا خصبًا تواردت عليه أقلام كثير منهم، سواء بالدراسة والبحث، أو بالتحليل والنقد، أو بمجال الترجمة، وبالنقل والاقتباس والاستشهاد على كلامهم، وأقرّ كثير منهم بالقرآن باعتباره مصدرًا للتعرف على الإسلام وعلى حياة وسيرة محمد ﷺ؛ لكن الغالبية العظمى منهم ينكرون ألوهية مصدر القرآن وأنه كلام الله، بل نسبوه إلى مصادر أخرى بشرية، ثم اختلفوا في أصله ومصدره واستمداده، فمنهم من نسبه إلى الأحبار والرهبان الذين كان النبي ﷺ يلقاهم أو يتّصل بهم في مكة، ومنهم من نسبه إلى أديان اليهودية والمسيحية.

كما يقول المستشرق توراندريه[(١)]: «لا شك أن الأصول الكبرى للإسلام مستقاة من الديانتين اليهودية والمسيحية، وهذه حقيقة لا يحتاج إثباتها إلى جهد كبير»[(٢)].

وغيره من المستشرقين أمثال المستشرق جولد تسيهر[(٣)] حين أقر بالقرآن كمصدر للإسلام، لكنه نسبه إلى أديان اليهودية والمسيحية حيث يقول: «القرآن هو الأساس الأول للدين الإسلامي، وهو كتابه المقدس، ودستوره الموحى به، وهو في مجموعه مزيج من الطوابع المختلفة اختلافًا جوهريًا، والتي طبعت كلًا من العصرين الأولين من عهد طفولة الإسلام...

... ...

---

(١) سبق ترجمته

(٢) المستشرقون والقرآن الكريم، محمد أمين حسن، ط١، ص: ٢١١، ٢٠٨، ٢١٠، (دار الأمل الأردن ٢٠٠٤م).

(٣) سبق ترجمته .

ويقول: «وكذلك بعض عناصر القرآن المسيحية نعرفها أنها وصلت إلى محمد عن طريق التقاليد أو الروايات المتواترة المحرفة، وعن ابتداعات المسيحية الشرقية القديمة، كما ينضم إلى هذا وذاك شيء من الغنوصية الشرقية»[١].

والمستشرق بروكلمان[٢] في كتابه تاريخ الشعوب الإسلامية ينسب إلى النبي ﷺ اتصاله باليهود والنصارى والتأثر بهم: «وتذهب الروايات إلى أنه اتصل في رحلاته ببعض اليهود والنصارى، أما في مكة نفسها فلعله اتصل بجماعات من النصارى كانت معرفتهم بالتوراة والإنجيل هزيلة إلى حد بعيد»[٣].

وأيضًا المستشرق مونتجمري[٤] حيث يقول: «تؤكد النصوص الباكرة من القرآن أنها تقف وتتقاطع مع التراث اليهودي – المسيحي بمفاهيمه عن الله، الخالق، القيامة، والحكم، والوحي، أما في النصوص اللاحقة من القرآن فيظهر الاعتماد فيها على تراث الكتاب المقدس بشكل أكثر وضوحًا ودلالة، ذلك أنها تتضمن الكثير من العهدين القديم والجديد»[٥].

ومنهم من نسبه للشعر وأنه من قبيل قريحة الشعراء.

ومنهم من نسبه إلى الخيالات والهلوسة والصرع، ومن هؤلاء غوستاف لوبون[٦]. ودرمنجهم[١] والمستشرق فلهازون[٢].

---

(١) المصادر الخيالية في دراسات المستشرقين، محمد بهاء، ص: ٣١، (مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد السادس ١٤٢٦هـ).

(٢) كارل بروكلمان (١٨٦٨ – ١٨٩٧) بدأت تظهر ميوله إلى الدراسات الشرقية في المرحلة الثانوية في المدرسة الثانوية في رستوك التحق بجامعة روستوك، ودرس الفيلولوجيا الكلاسيكية والتاريخ إلى جانب الشرقيات، عين مدرس في المدرسة البروتستنتية، وواصل دراساته العربية في نفس الوقت، ألف معجم سرياني وصدر لبروكلمان تاريخ الآداب المسيحية في الشرق، فهرس مجموعة صغيرة من المخطوطات الشرقية، وألف تاريخ الأدب العربي المشهور انظر: موسوعة المستشرقين، مرجع سابق، ص: ٩٨ — ٩٩.

(٣) تاريخ الشعوب الإسلامية، كارل بروكلمان، ترجمة نبيه أمين ومنير البعلبكي، ط٥، ص: ٣٤، (دار العلم للملايين).

(٤) سبق ترجمته

(٥) محمد النبي ورجل دولة، مرجع سابق، ص: ٥٦.

(٦) سبق ترجمته

ومنهم من ادعى التحريف في القرآن بعد وفاة النبي ﷺ[٣].

فالقرآن عند المستشرقين مزيج من الديانات اليهودية والنصرانية وأديان الشرق، جاء به محمد ﷺ من تلقاء نفسه، اخترعه وألّفه من أساطير الأحبار والرهبان.

حيث يقول المستشرق جورج سيل[٤] في مقدمة ترجمته للقرآن: «إن محمد كان في الحقيقة مؤلف القرآن والمخترع الرئيسي له، فأمر لا يقبل الجدل وإن كان من المرجح أن المعاونة التي حصل عليها من غيره في خطته هذه لم تكن يسيرة»[٥].

ويضيف المستشرق مونتجمري وات في كتابه محمد النبي فيقول: «لذا فمن المنطقي التحدث عن هذه الأفكار (القرآنية الوحيية) بأنها أفكار محمد والإقرار بنفس الوقت أنه كان صادقًا في اعتبار تلك الأفكار متلقاة من خارج نفسه»[٦].

وفي المقابل أثبت فريق من المستشرقين أن نصوص القرآن الكريم ثبتت كما هي عليه الآن منذ زمن الرسول ﷺ بعكس التوراة والإنجيل، وأن مصدره من عند الله وقالوا: «إن القرآن الكريم أقرب إلى التوافق مع العلم الحديث منه إلى الاختلاف، وبيّن أن القرآن الكريم حثّ على العلم وتطويره حتى أن العلم كان توأم الدين لا ينفصلان، وأن القرآن الكريم حوى العديد من

---

(١) سبق ترجمته ص ٣٦

(٢) فلهازون مستشرق مؤرخ لليهودية ولصدر الإسلام ناقد للكتاب المقدس العهد القديم (١٨٤٤ - ١٩١٨) درس اللغات الشرقية، ألف تاريخ اليهود ونقد الكتاب المقدس العهد القديم له دراسات في العهد القديم، نقد الأناجيل وألف الفريسيون والصدوقيون، إنجيل لوقا وفي العرب ألف تاريخ الإسلام والعرب، ألف أحزاب المعرضة السياسة الدينية في صدر الإسلام، الدولة العربية وسقوطها. انظر:موسوعة المستشرقين، مرجع سابق، ص: ٤٠٨.

(٣) المستشرقون والقرآن الكريم، مرجع سابق، ص: ٢١١، ٢٠٨، ٢١٠.

(٤) جورج سيل مستشرق إنجليزي (١٦٩٧ - ١٧٣٦) اشتهر بترجمة القرآن إلى الإنجليزية، أتقن العربية في لندن وإلى جانبها أتقن اللغة العبرية، انتشرت ترجمته للقرآن قبل وفاته بعامين، قدم سيل بين يدي ترجمته مقال تمهيدي تحدث فيه عن تاريخ العرب قبل الإسلام وعن القرآن وأهم الفرق . انظر:موسوعة المستشرقين، مرجع سابق، ص: ٣٥٨.

(٥) رؤية إسلامية للاستشراق، أحمد عبد الحميد غراب، ص: ٣٤، (مؤسسة دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام، الرياض ١٤٠٨هـ).

(٦) محمد النبي ورجل دولة، مرجع سابق، ص: ٣٤.

النظرات عن أحداث طبيعية تبدو شديدة الاتفاق مع معطيات العلم الحديث وحقائقه، وليست موجودة في التوراة والإنجيل؛ مما يؤكد أن القرآن ليس له مصدر إلا مصدرًا واحدًا هو الله – سبحانه وتعالى –، وأنه وحي مكتوب لا شك فيه معصوم من كل خطأ، وأن هذا القرآن الكريم والحديث النبوي مصدرين أساسين للشريعة والعقيدة الإسلامية(١).

وأن القرآن نزل على محمد من الملأ الأعلى، حيث يقول المستشرق سنكس: «وقد كان محمد نبي الإسلام يؤكد بأنه تلقى معارفه من الملأ الأعلى، وقد أجمع معاصروه على الاعتراف بأن معارفه الخاصة أصغر من أن تجعله يدرك ويكتب هذه التعاليم المشحون بها القرآن، تلك التعاليم التي رقت عقول الملايين من الناس ولا تزال ترقي شعوبًا متأخرة وذلك بإشرابها الحقائق الكبرى الضرورية للذات البشرية من الوجهة الاجتماعية والدينية والخلقية»(٢).

وأما عن إقرار المستشرقين بالقرآن واعتباره مصدرًا للتعرف على الإسلام بشكل عام وعلى حياة النبي ﷺ بشكل خاص، وأن القرآن من أهم المصادر التي يمكن الاعتماد عليها في أيضًا ح حياة محمد ﷺ وسيرته. فيقول المستشرق إميل درمنغم في مقدمة كتابه حياة محمد: «وأول المصادر لتبيان حياة محمد هو القرآن وكتب الحديث والسيرة، والقرآن وهو الأساس والمنبع الجوهري، أصح هذه المصادر ولكنه أوجزها»(٣).

ويضيف المستشرق مونتجمري وات حيث يقول: «القرآن هو بمعنى من المعاني المصدر الأساس والرئيس في تناول حياة محمد، ذلك أنه معاصر له وموثوق، ولسوء الحظ نجده متشظيًا كسجل تاريخي، وغالبًا ما نجد صعوبة في تفسير الجزء الأكبر منه، أوحي به إلى محمد بشكل نصوص قصيرة نسبيًا، جمعت هذه النصوص فيما بعد في إطار من فصول متفاوتة الطول ودعيت بالسور... ... ... وفي حين أننا نجد بعض الأحيان أن تلك الروايات صحيحة، نجد أيضًا في حالات أخرى أن الرواية الواحدة منها تناقض الأخرى، أو في أحسن حالاتها

---

(١) آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، دراسة نقدية، عمر إبراهيم رضوان، ص ١٥٧، ١٥٨، (رسالة جامعية من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، دار طيبة).

(٢) المستشرقون والقرآن الكريم، مرجع سابق، ص: ٢٠٥.

(٣) حياة محمد، مرجع سابق، ص: ١١.

غير ممكنة، وهكذا فإن استخدام القرآن كمصدر تاريخي، يستلزم معرفة بالخطوط العامة لحياة محمد»[١].

وأيضًا في مقدمة كتابه محمد في مكة يتحدث عن المصادر التي يمكن الاعتماد عليها في الكتابة عن حياة محمد ﷺ فيقول: «ولقد كان من المعتاد لفترة من الوقت التأكيد على أن القرآن الكريم هو المصدر الأساسي للحقبة المكية، فلا شك أن القرآن معاصر لهذه الفترة، لكن القرآن – إذا استبعدنا صعوبة تحديد الترتيب الزمني للأجزاء المختلفة (ترتيبه حسب تاريخ النزول) وعدم وضوح كثير من النتائج المتعلقة بذلك لأن القرآن نزل مفرقًا ومنجمًا – لا يعطي لنا الصورة الكاملة لحياة محمد ﷺ والمسلمين في الفترة المكية)[٢].

وتقول المستشرقة لورا فيشيا فاغليري[٣] في حفظ القرآن واعتماده كمصدر: «إلى الكتاب العزيز الذي لم يحرفه قط لا أصدقاؤه ولا أعداؤه لا المثقفون ولا الأميون ذلك الكتاب الذي يلبيه الزمان، والذي لا يزال إلى اليوم كعهده يوم أوحى الله به الرسول الأمي البسيط آخر الأنبياء حملة الشرائع، إلى هذا المصدر الصافي دون غيره سوف يرجع المسلمون، حتى إذا نهلوا مباشرة من معين هذا الكتاب المقدس، فعندئذ يستعيدون قوتهم السابقة من غير ريب»[٤].

وفي مقدمة المستشرق بودلي في كتابه حياة الرسول يقول: «فبين أيدينا كتاب معاصر فريد في أصالته وفي سلامته، ولم يستطع أن يشك في صحته كما أنزل ويعرف هذا الكتاب بالقرآن الكريم، وهو اليوم كتب لأول مرة تحت إشراف محمد» ثم ذكر المصدر الذي اعتمد عليه في القرآن فقال:

---

(١) محمد النبي ورجل الدولة، مرجع سابق، ص: ٣١٣.

(٢) محمد في مكة، مونتجمري وات، ترجمة: عبد الرحمن الشيخ، ط١، ص: ١١، (الناشر: الهيئة المصرية العامة).

(٣) لورافيشيا باحثة إيطالية معاصرة انصرفت إلى التاريخ الإسلامي قديمًا وحديثًا إلى فقه العرب وآدابها ومن آثارها قواعد العربية في جزيئين، والإسلام ودفاع عن الإسلام، والعديد من الدراسات في المجالات الاستشراقية المعروفة انظر: معجم أسماء المستشرقين، مرجع سابق، ص: ١١٣٤.

(٤) محمد عبقري مصلح أم نبي مرسل، محمد شيخاني، ط١، ص: ٢٢٣، ٢٢٤، (دار قتيبة، ١٣٩٢).

«واعتمدت في الآيات القرآنية على ترجمات مارمادوك[١] ورودويل[٢] »

وقال: «إن دراسة القرآن ضرورية لتحليل شخصية محمد، ولتقدير مدى عمله الباهر ولقياس قوة حسّه[٣]، فالقرآن كتاب جليل يعكس صورة محمد، بل إنه محمد في الواقع»[٤]، واستشهد بودلي بآيات القرآن وأعجب بأسلوبه وترتيبه وموضوعاته.

ولكن معظم هذه الكتابات عن القرآن والاستشهاد به، لم تتحرّ الصحة والدقة في النقل والرواية السليمة سواءً من أثبت أن القرآن نزل من عند الله أو من لم يثبت ذلك، فقد اقتصروا على دراسة تفاسير محدودة، ويكاد يتفق المستشرقون على انتقاء الأخبار الضعيفة والروايات المنقطعة؛ وذلك لأن المصادر القرآنية الموثوقة ليس فيها ما يوافق آراءهم ويسوغ ما يصبون إلى تأكيده من آراء وأحكام.

فقد استمدوا من القرآن الكريم وكتب التفسير دراسة وإيراد أخبار أمهات المؤمنين في عدة آيات وسور، فهم يقرون بأن هذا القرآن هو أساس ومصدر المسلمين لذلك اعتمد عليه بعضهم في كتاباته ومؤلفاته، واستشهد به آخرون في معرض كلامهم عن سيرة النبي ﷺ وأزواجه أمهات المؤمنين.

هذا وقد نقل كثير منهم من كتب التفاسير؛ إلا أن رواياتهم لم تسلم من الزيادة والنقصان والتأويلات الباطلة، فعلى سبيل المثال حينما استدل المستشرق ول ديورانت[٥] بقوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ﴾ على الحجاب فهو يحاول أن يشكك في وجوب الحجاب على أمهات المؤمنين وأما بقية النساء فلا جناح عليهن في وضعه؛

(١) مارمادوك وليم بكثول (١٨٧٥ – ١٩٣٦) تعلم العربية ودرس عادات أهلها وأخلاقهم، صنف أبناء النيل، النساء المحجبات، نشر مقالات في الدفاع عن الإسلام وتوثيق صلاته بالنصرانية، سافر إلى تركيا وعند عودته أشهر إسلامه، قضى ثلاث سنوات في ترجمة معاني القرآن وتعد ترجمته من خير التراجم انظر: المستشرقون، مرجع سابق، ص: ٥١٢.

(٢) أثاره ترجمة القرآن وفقًا لترتيب نزول الآيات تاريخيًا، (طبع حجر على هامش القرآن ١٨٣٣) والطبعة الثانية المنقحة والمعدلة في (٥٦٢ صفحة)، لندن ١٨٧٦، معجم أسماء المستشرقين، مرجع سابق، ص: ٧١٠.

(٣) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٢٩٣.

(٤) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٢٧٩.

(٥) سبق ترجمته

لأن النبي أجاز الخروج لهن لحاجاتهن فقال: وفي القرآن آية يأخذها بعضهم حجة على حجب النساء وهي ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٣] لكن الآية إنما تؤكد النهي عن التبرج، ويرى أن النبي أجاز للنساء أن يخرجن لقضاء حوائجهن، أما زوجاته أمهات المؤمنين هو فقد طلب من أتباعه أن لا يكلموهن إلا من وراء حجاب[١].

وعن آيات الحجاب في سورة الأحزاب تحصر المستشرقة أرمسترونج[٢] الحجاب على أمهات المؤمنين أزواج النبي ﷺ فتقول: «أصبحت آيات الحجاب مثار خلاف شديد وتستخدم بعد ثلاثة أجيال من بعد وفاة الرسول ﷺ لتبرير تحجب النساء وفصلهن في أجزاء خاصة من المنزل. ولكن يجب رؤية الآيات في سياقها، نزلت الآيات في سورة الأحزاب والتي تتكلم عن أحداث الأحزاب، وما يمثله رعبها من خلفية السورة ولم توجه تلك الأوامر لكل النساء المسلمات؛ ولكن لزوجات محمد. لقد جلبتها تهديدات أعداء محمد الضمنية لحياته وتجاوزاتهم وتعدياتهم شبه اليومية على زوجاته وعلى سكنه، لقد أجبر المناخ المسموم في المدينة محمدًا ﷺ على تغيير ترتيباته الشخصية لم يعد سكنه مجالًا عامًا وعلى من يريد التحدث إلى زوجاته أن يخاطبهن من وراء حجاب، وكان نزول الحجاب نصرًا لعمر الذي كان يحث النبي ﷺ على حجب زوجاته لفترة ما، وكان ذلك حلًا سطحيًا لحد ما لمشكلة معقدة»[٣].

ويزعم المستشرق بودلي[٤] أن الحجاب عادة معروفة من قبل، وأن تشريع النبي ﷺ للحجاب مقتبس من اليهودية، وبسبب جمال وصغر سن أزواجه فرض عليهن الحجاب «وفي هذا الوقت قرر محمد نظامًا معتدلًا لحجاب المرأة، فصار حجاب المرأة المتزوجة أو التي على وشك الزواج عادة شرقية لمدة طويلة، وكان الحجاب معروفًا في اليونان، ولكن بينما كانت المرأة

(١) قصة الحضارة، مرجع سابق، ص: ٦٠، ٦١.

(٢) سبق ترجمتها

(٣) محمد نبي لزماننا، مرجع سابق، ص: ١٥٥، ١٥٦.

(٤) ر.ف بودلي من آثاره: الرسول، حياة محمد، آمن في مقدمته بسلامة العقيدة الإسلامية، ثم ضل بعد ذلك في تفسير الزكاة والجنة والنار والقضاء والقدر. انظر: نجيب العقيقي،مرجع سابق، ص: ٥٢٩.

اليهودية متحجبة كانت المرأة العربية سافرة، وكان تشريع محمد للحجاب أو اقتباسه لأسباب شخصية، فقد كان مقبلًا على سن الشيخوخة، وكانت سن معظم أزواجه أصغر من نصف سنه، وقد كن جذابات جميلات تتدفق الدماء الحارة فيهن، لهن غرائز النساء الناميات، وكان كثير من الزوار يفدون عليه باستمرار لزيارة محمد، فكان بعضهم يفد للاستفسار عن بعض المشاكل الدينية أو الدنيوية، ويفد الكثيرون لتقديم فروض الاحترام لسيدهم، وكان هناك من يتعللون بأسباب تافهة ليلقوا نظرة على زوجات الرسول الشابات، فلم يغب عن نظر محمد شيء من هذا، ولكن كان من الصعب إبعاد هؤلاء الزوار عن دور النبي ﷺ دون تعاليم مانعة، فالتجأ كما اعتاد أن يلتجئ في لحظات الضرورة إلى ربه؛ فأوحى عليه بما ورد في سورة الأحزاب، آية ٣٣، ٥٣ ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٣] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وعلى ذلك كان الحجاب أول حاجز بين الرجال والنساء، وقرر محمد بعد ذلك أنه على جميع المسلمات أن يبدين من أنفسهن أقل ما يمكن إذا ما غادرن بيوتهن، وقد جاء في سورة الأحزاب آية ٣٣، و٥٩ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

فصارت الجلابيب الدثار الذي تلتف فيه نساء المسلمين عند خروجهن، ولكن كان هذا بعد أيام الإسلام الأولى بمدة طويلة، وإن عزل النساء التام في حريم أمر حديث نسبيًا، وما كانت هذه العادة عادة عربية في الأصل أبدًا»(١).

ففي رأى المستشرق بودلي أن الحجاب فرض أولًا على أمهات المؤمنين لأسباب شخصية، ونهى نساء المسلمين عن التبرج ولم يأمرهن بالحجاب، ثم شمل نساء المسلمين؛ ولكن بعد مدة من الزمن.

ونفى أن يكون الحجاب عادة عربية أصلية، وعلى هذا الرأي فإن نساء الصحابة والسلف لم يفرض عليهن الحجاب ولم يحتجبن، وإنما هو أمر محدث.

ويناقض المستشرقون أنفسهم في مسألة الحجاب ففي دائرة المعارف الحجاب: هو ما يحجب بين الشيئين، أما في القرآن فقد جاء لفظ الحجاب بمعنى الستر قال الله تعالى في سورة الأحزاب: آية ٥٣ ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ ولا نكاد نعلم شيئًا عن الاستعمال الجاهلي لهذا اللفظ، على أن القرآن وإن ورد فيه هذا اللفظ سبع مرات يزودنا بمعلومات قيمة عن معناها الأصلي والمجازي، كما يزودنا بمعلومات قيمة عن تطوره، والحجاب في القرآن يدل على الاعتزال فهو الستر والستارة التي اعتزلت وراءها مريم أسرتها (سورة مريم آية ١٧) ثم هو أيضًا السكن المستقل (السكن الداخلي من بعد) الذي فرض على أزواج النبي ﷺ في سورة الأحزاب آية ٥٣ وانظر السورة نفسها الآية ٣٢، ٣٣ وقد تم هذا فيما يظهر بناء على مشورة عمر(٢).

ثم إن الحجاب الذي فرض أولًا على زوجات الرسول عليه السلام، ثم توسع فيه من بعد حتى شمل جميع النساء المسلمات الأحرار.

ويدل الشعر الجاهلي العربي على أن سنة الحجاب كانت مرعية من قبل مجيء النبي ﷺ، ذلك أن الحجاب كان ميزة النساء من درجة خاصة، وكان يشار إليه بأسماء: نصيف وستر

(١) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٢٣٥، ٢٣٦.

(٢) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، مادة حجاب، ص: ٣٤٣١، ٣٤٢٩.

وسجف وغير ذلك في الشعر الجاهلي، ولعل آيتي القرآن اللتين أمرتا زوجات النبي ﷺ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩﴾ [الأحزاب: ٥٩] وأيضًا ﴿وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١﴾ [النور: ٣١] ترجع هاتان الآيتان إلى السنة الخامسة للهجرة، ومع ذلك فإن عائشة يقال إنها لبست الحجاب من وقت زواجها بالنبي، وحدث هذا الزواج في شوال من السنة الأولى من الهجرة – أي أنها لبست الحجاب قبل فرض الحجاب على أمهات المؤمنين – ومن المحقق أن سنّة الحجاب لم تكن مرعية في المدينة إلا في القليل النادر، ويبرر القرآن ذلك في الواقع على أساس أن ذلك – أي بسب الأذية – ﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ﴾ [الأحزاب: ٥٩][1].

ويقال إن آيات الحجاب في سورة الأحزاب آية ٥٣ نزلت في مناسبة عرس زينب[2]، والظاهر أن هذا اللفظ (الحجاب) مرادف للأعراف، ولذلك فسر من قديم بأنه سور[3].

ويفسر ول ديورانت هذه الآية بكثرة مطالب أزواجه ومضايقتهن للنبي محمد ﷺ ونيل عائشة حظًا أكبر من العناية والتفضيل، قال تعالى: ﴿تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ مِمَّنۡ عَزَلۡتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ وَلَا يَحۡزَنَّ وَيَرۡضَيۡنَ بِمَآ ءَاتَيۡتَهُنَّ كُلُّهُنَّۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمٗا ٥١﴾ [الأحزاب: ٥١].

---

(١) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، مادة حجاب، ص: ٣٤٣٢، ٣٤٣٣.

(٢) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ٥٤١٥.

(٣) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ٣٤٣١، نقلًا عن تفسير البيضاوي ٢ /٣٢٦.

وكثيرًا ما ضايقه نساؤه بمنازعتهن، وغيرتهن، ومطالبهن، ولكنه أبى أن يجيبهن إلى مطالبهن الكثيرة، ووعدهن بالجنة، وقضى بعض الوقت يعدل بينهم فيقضي ليلة عند كل واحدة منهن، ذلك أن سيد بلاد العرب كلها لم يكن يملك بيتا خاصا له، غير أن عائشة قد استأثرت بأكبر من حقها من عنايته، فغضبت لذلك زوجاته الأخريات حتى نزلت الآية»[(١)].

وفي دائرة المعارف استقى المستشرقون من هذه الآية أن للنبي محمد ﷺ حقًا في تقديم وتأخير ما يشاء من أزواجه، فعن حفصة وهي واحدة من زوجات النبي ﷺ الأربع اللاتي كن أحب نسائه إليه يقول القرآن في سورة الأحزاب آية ٥١ ﴿ تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ ﴾ تبين هذه الآية أن الله رخص للنبي ﷺ أن يؤخر أو يقدم ما يشاء من زوجاته ولا حرج عليه في ذلك[(٢)].

والمقصود بيان أن المستشرقين اعتمدوا على القرآن الكريم في دراسة سيرة أمهات المؤمنين وأيضا بيان الطريقة التي تعاملوا بها في تلقي المعلومات من القرآن الكريم عن أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن .

– السنة النبوية:

إن من أهم الموارد الأساسية لمعرفة الإسلام وسيرة النبي ﷺ وآل بيته وأزواجه الأطهار السنة النبوية المطهرة، المنبع الثاني بعد كتاب الله قال الله ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤ ﴾ [النجم: آية ٣، ٤] والناظر في كتابات المستشرقين يجدهم اعتمدوا أيضًا على السنة النبوية في دراسة سيرة أمهات المؤمنين، وقد نالت السنة من أقلام المستشرقين نصيبًا وافرًا من التشكيك والطعن متنًا وسندًا، وفرق بعضهم بين الأحاديث التي في الفترة المكية وبين الأحاديث في الفترة المدنية من ناحية دراسة الأسانيد حيث يقول المستشرق مونتجمري: «ولقد تناولنا الأحاديث النبوية في المرحلة المكية من ناحية المتن أو المحتوى، ولم نعر الإسناد أو سلسلة الرواة اهتماما كبيرا. أما في المرحلة المدنية؛ فإن دراسة الإسناد تساعد على تقييم الحديث ومدى

---

(١) قصة الحضارة، مرجع سابق، ١٣/ ٤٤.

(٢) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ٤٠٧٧.

ثقته، كما تساعد على تقدير اتجاهاته، أما في فترة ما قبل الهجرة، فإن دراسة الإسناد لا يبدو أنها تؤدى إلى نتائج ذات قيمة»[١].

وشكك في الأحاديث المستشرق جولد تسيهر وزعم أنه ألف في زمن الدولة العباسية فقال: «إن تكوين الحديث في زمن نموه الهائل تحت الحكم العباسي لعب دورًا في توسع الأحاديث القولية التي نصرت المبادئ التي استند عليها العباسيون[٢].

ومثله المستشرق كارل بروكلمان حين قال في تدوين السنة: «والواقع أن القرآن بوصفه قانون الحياة ومحكمها، إنما أكمل للمسلمين بسنة النبي أي بأقواله وأفعاله كما وصلتنا في الحديث عن طرق الصحابة؛ ولكن القسم الأعظم من الحديث المتصل إلى الرسول لم ينشأ إلا بعد قرنين من ظهور الإسلام، ومن هنا تعين اصطناعه كمصدر لعقيدة النبي نفسه في كثير من الاحتياط والحذر»[٣].

ويخالف الرؤية الشكية في الأحاديث النبوية المستشرق مونتجمري فيقول: «ثم إن هناك مجموعة ضخمة من الأحاديث التي هي عبارة عن روايات عن أقوال أو أفعال محمد، والهدف الأساسي الذي عنيت به هذه الأحاديث هو قانوني (فقهي) أو (عقدي) وقد أخضع علماء الغرب كل هذه المواد للنقد من جهة الموثوقية، وقد اتخذ البعض نظرة تشكيك غير مبررة، بأنه لا يمكن الوثوق بذلك التراث، باستثناء القرآن رغم أنهم يدعون ضمنيًا ويقرون بحقيقة الخطوط العامة، وهذا ما سيؤدي إلى استنتاج مفاده أنه ليس ثمة حياة لمحمد يمكن الكتابة عنها، لقد قمت بهذه الدراسة التي بين أيدينا طبقًا للنظرة المعاكسة لأولئك»[٤].

وطعن المستشرق بودلي في السنّة حيث يقول: «وبعض سيرة محمد قطع رائعة من الأدب؛ ولكن الغالبية العظمى ليست كذلك»[٥].

---

(١) محمد النبي ورجل دولة، مرجع سابق، ص: ٤٨.

(٢) موقف المستشرقين من الصحابة، سعد الماجد، ط١، ص: ٦٨، (دار الفضيلة، ١٤٢٥هـ).

(٣) تاريخ الشعوب الإسلامية، مرجع سابق، ص: ١٧.

(٤) محمد النبي ورجل دولة، مرجع سابق، ص: ٣١٤.

(٥) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٦.

وفي دائرة المعارف البريطانية قلل المستشرقون من قيمة الأحاديث النبوية وشككوا في ما يروى عنه ﷺ وذلك حينما قالوا: «المجموعات الكبيرة للأحاديث، أو ما يروى حول ما قاله محمد وما فعله، يثار حولها جدل تاريخي وخلافًا، لهذا فهي نادرًا ما تعطي شيئًا ذا بال عن حياة محمد»[١].

فهم يناضلون وينقبون من أجل التحريف بالسنة والسيرة، فقد ألفوا في سيرة المصطفى ﷺ وحياته حسب ما يوافق أهوائهم وأفكارهم، ورأى بعضهم أنه لا بد من صياغة سيرة النبي محمد ﷺ وأزواجه وآل بيته، وكتابتها للمهتمين بتاريخ محمد ﷺ حسب اهتمامات المؤرخين، وكأنما السيرة أسطورة تنسج لاتجاهات المغرضين، ومن أولئك المستشرق مونتجمري وات فيقول: «شعر الدارسون للإسلام منذ فترة، وبخاصة المهتمون بالتاريخ، بالحاجة إلى صياغة جديدة لحياة محمد ﷺ، ولم يكن ذلك لاكتشافهم مادة جديدة، وإنما لتغيير اهتمامات واتجاهات المؤرخين خلال نصف القرن الماضي، فقد أصبحوا أكثر وعيًا خاصة بالعوامل المادية التي يقوم عليها التاريخ، وهذا يعنى أن المؤرخ من منتصف القرن العشرين، يريد أن يسأل أسئلة كثيرة عن الخلفية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وحتى أولئك الذين ينكرون (وأنا منهم) أن هذه العوامل هي وحدها التي تحدد مجريات الأحداث يعترفون بأهميتها.

لهذا؛ فإن السمة الخاصة لهذه السيرة لمحمد (عليه الصلاة والسلام) هي أنها لا تنقب في المصادر المتاحة بدقة أكثر فحسب، بل إنها تعطى اهتمامًا أكثر لهذه العوامل المادية وتحاول الإجابة عن أسئلة لم تثر من قبل[٢].

وقد اختلف المستشرقون في نقلهم وطعنهم واعتمادهم على الأحاديث والسنة النبوية فمنهم من اعتمد على الأحاديث بشكل عام وجعلها مصدرًا أساسيًا لبيان حياة محمد ﷺ، ومنهم من اعتمد على كتب الصحاح فقط (صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن الترمذي، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجة، وسنن أبو داود) أمثال مونتجمري فيقول في نقله

(١) السيرة النبوية في دائرة المعارف البريطانية، وليد بن بليهش العمرى، ص: ١٢، (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة).

(٢) محمد النبي ورجل دولة، مرجع سابق، ص: ٤١.

واعتماده على كتب الحديث حين ألف كتاب محمد في مكة: «فقد اعتمدت على أحاديث الرسول ﷺ واخترت صحيح البخاري مرجعًا ومصدرًا في كتابة السيرة»[١].

ومنهم من اعتمد على كتب الحديث بوجه عام وجعلها مصدرًا لبيان حياة محمد ﷺ؛ لكن خالط هذا الاعتماد رؤية شك في الأحاديث كقول المستشرق إميل درمنغم: «وأول المصادر لتبيان حياة محمد هو القرآن وكتب الحديث والسيرة، وكتب الحديث وهي ما احتوت على ما جمعه المحدثون، ولا سيما البخاري، ومن أدق أقوال النبي وأدق أعماله بعد تمحيص ظاهر أسانيدها، دون حقيقة أمرها، لا تخلو من ميل وشبهة أحيانًا، ولا ريب في أن كثيرا من الأحاديث التي هي أساس تناجز مختلف المذاهب موضوع ولم يبال في عزو رأي مبارك أو حكمة صائبة إلى النبي، واقتطفت أقوال سلبية أو إيجابية من الكتاب المقدس فأسند إليه هذا النص من التوراة أو ذلك النص من الإنجيل، ووضع على لسانه ما يدحض به هذا المذهب أو ذلك المذهب النصراني، ونسب إليه ما يشك فيه من المعجزات، وهو الذي لم يقل أنه جاء به.

وليس من السهل في كل وقت أن تستنبط الحقيقة من الأحاديث التي لا يكاد عددها يحصى وإن لم يكن ذلك مستحيلًا إذا استطاع الباحث أن يقف على أسباب الوضع فيها، فإذا حذفت من الحديث ما يأباه العقل وما هو منتحل وما أملاه الغرض بقي عدد كبير منها جديرًا بالتقدير راجحًا قريبًا من الصدق عند مقارنته بمصادر أخرى كطبائع البلد، وإن لم يكن صحيحًا صحة الحقائق الرياضية التي لا عهد للتاريخ بمثلها إلا قليلًا خلا خطوطه الأساسية، قال سنوك هورغرنجة: «إن مما يناقض كل نهج قويم دحض الحديث الذي لم يقم دليل على أنه وليد الغرض والذي لم يوجد سبب تاريخ ينقضه»[٢].

ومنهم من لفق أحاديث، وزاد فيها ما شاء وأنقص وقطع نص الحديث، أمثال المستشرق مرجليوث[٣] فقد ذكر حديث النبي ﷺ: «إنما حبب إلي من دنياكم الطيب والنساء» وأخفى

---

(١) محمد النبي ورجل دولة، مرجع سابق، ص: ١٣.

(٢) حياة محمد، مرجع سابق، ص: ١٢.

(٣) مرجليوث ديفد صمويل توافر المستشرق مرجليوث أثناء دراسته في أكسفورد على الآداب الكلاسيكية اليونانية، ثم انتقل إلى دراسة اللغات السامية، عين أستاذًا في جامعة أكسفورد (١٨٨٩)، كتب بحثًا عن أوراق البردي العربية في =⇦

باقي الحديث وبتره ولم يكمل عبارة «وجعلت قرة عيني في الصلاة»، ليكون هذا الحديث صالحًا للاستشهاد والاحتجاج بما يريد، وهدفه في ذلك إشاعة القول بأن النبي ﷺ شهواني يميل لأمور الدنيا: النساء والطيب فقط، وأغفل الآخرة والعمل لها[١].

وآخرون عزلوا الأحاديث الموضوعة وتعاملوا مع الأحاديث بحذر على حد قول أحد المستشرقين حيث يقول: «عند التعامل مع الحديث، يجب على المرء أن يكون على حذر دائما عندما يكون هناك احتمال تحيز حزبي واضح، ولا يسمح أن يضلله المظهر الذي يبدو أحيانا بريئا»[٢].

وغيرهم ممن نسب الأقوال والأحاديث عند الاستدلال إلى غير أصحابها بقصد التمويه.

وقليل منهم من نقل بأمانة وإنصاف، واستشهد بالأحاديث على بدء الوحي كما جاءت في كتب الصحاح فقد روت المستشرقة أرمسترونج واقتبست من البخاري حديث بدء الوحي «هبط محمد ﷺ من الجبل مرتاعًا محتارًا، متعثرًا في طريقه لخديجة، وعلى عتبة المنزل، كان يقول مرتجفًا: زملوني زملوني. وألقى بنفسه في حضنها، ولفته خديجة بالثياب... ... ... جاء في صحيح البخاري «يا بن عم، أثبت وأبشر فوالله إنه لملك، وما هذا شيطان، فوالله لا يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم وتصدق الحدي وتؤدي الأمانة وتحمل الكلّ، وتقرى الضيف وتعين على النوائب»[٣].

ونقل بودلي حديث «استوصوا بالنساء خيرًا فإن المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت وبها عوج، وإن ذهبت تقيمها كسرتها»[٤] وحديث «لا يفرك مؤمن

=

مكتبة بودلي، ترجم قسمًا من تفسير البيضاوي إلى الإنجليزية، وفي (١٩٠٥) بدأ نشر دراساته عن الإسلام وذلك بكتاب محمد ونشأة الإسلام، ألقى محاضرات عن تطور الإسلام في بدايته، لكن هذه الدراسات تسري فيها روح غير علمية ومتعصبة. انظر:موسوعة المستشرقين، مرجع سابق، ص: ٥٤٦.

(١) آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره دراسة نقدية ، مرجع سابق، ص: ٨١.

(٢) محمد النبي ورجل دولة، مرجع سابق، ص: ٤٥.

(٣) محمد نبي لزماننا، مرجع سابق، ص: ٤٥، ٤٦، نقلًا من صحيح البخاري باب بدء الوحي حديث رقم (٣).

(٤) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٣٢١.

مؤمنة إن كره منها خلقًا رضي منها آخر»[١].

(١) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٢٦١.

المطلب الثاني

كتب التاريخ والسير والتراجم

إن من أهم الموارد الأساسية لدراسة سيرة النبي ﷺ وأزواجه أمهات المؤمنين كتب التاريخ والسير والتراجم، حيث صورت لنا حياة أمهات المؤمنين، ومواقفهن مع النبي ﷺ، وسطرت لنا أخلاق وصفات أزواجه عليه الصلاة والسلام.

لهذا كان للمستشرقين من كتب التاريخ والسير والتراجم نصيب يربو على غيره من نتاجهم الفكري، فقد نقلوا عن أشهر وأكبر كتب التاريخ والسير والتراجم، واهتموا بالمصادر الرئيسة؛ ولا ريب أن معظم دراساتهم ونقلهم عن سيرته ﷺ وأزواجه مليئة بالزيف والتشويه والتلفيق.

أولًا: كتب التاريخ:

اهتمت كثير من المصادر التاريخية بالسيرة النبوية، ويظهر ذلك في استفادة هذه المصنفات في مادتها الأساسية والأولية من مصادر السيرة النبوية المعتمدة، وتعتبر هذه المصادر التاريخية بالنسبة للمستشرقين مصادر أصلية موثوق بها في الإحالة، وموارد لدراسة المجتمعات الإسلامية، وبناء النتائج عليها(١).

فقد ذكروا أشهر المؤرخين المسلمين وأول من ألف في تاريخ الإسلام فقالوا: «أما أول من ألف في التاريخ العام فهو اليعقوبي(٢) في منتصف القرن الثالث ثم ابن جرير الطبري المتوفى ٣١٠ هـ(١).

---

(١) مناهج المستشرقين ومواقفهم من النبي ﷺ رياض العمري، ط١، ص: ٤٥٥، (مركز التأصيل للدراسات والبحوث).

(٢) أحمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر اليعقوبي، صنف كتبًا جيدة منها تاريخ اليعقوبي والبلدان وأخبار الأمم السالفة صغير، ومشاكلة الناس لزمانهم. اختلف في سنة وفاته قيل: (سنة ٢٨٤) وقيل: ٢٨٢ وقيل: (٢٧٨) أو بعدها، أوسنة (٢٩٢ هـ) انظر: الأعلام، مرجع سابق، ١/ ٩٥.

وابن الأثير الجزري[٢] وأبو الفداء[٣] وابن خلدون[٤] وعبد اللطيف البغدادي»[٥].

ومن المصادر والموارد التاريخية التي اعتنى بها المستشرقون واقتبسوا ونقلوا عنها:

- تاريخ الأمم والملوك.

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، وهو من أهم الموارد التي استفاد منها المستشرقون، واعتمدوا عليها في نقلهم عن حياة محمد ﷺ وأزواجه أمهات المؤمنين.

وعن رأيهم في مكانة المؤرخ أبي جعفر الطبري يقول ول ديورانت: «وشبيه بليفي في الغرب أبو جعفر محمد الطبري (٨٣٨ — ٩٢٣م) عند المسلمين وكان أبو جعفر من أصل فارسي كما كان كثيرون من المؤلفين المسلمين، ولد في طبارستان الواقعة في جنوب بحر قزوين، وبعد أن ظل لمدة سنتين يطوف في بلاد العرب والشام ومصر كما يطوف الفقراء من العلماء

=

(١) ابن جرير الطبري (ولد ٢٢٤ - توفي ٣١٠ هـ = ٨٣٩ - ٩٢٣ م) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر:، له أخبار الرسل والملوك، وجامع البيان في تفسير القرآن، وجزء في الاعتقاد والقرآءت وغير ذلك. قال ابن الأثير: أبو جعفر أوثق من نقل التاريخ، وفي تفسيره ما يدل على علم غزير وتحقيق. انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، ٢٧/ ٢٩٨، (دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ)، الأعلام، مرجع سابق، ٦/ ٦٩.

(٢) ابن الأثير (ولد ٥٥٥ - توفي ٦٣٠ هـ = ١١٦٠ - ١٢٣٣م) علي بن محمد الجزري، أبو الحسن عز الدين ابن الأثير، من تصانيفه الكامل اثنا عشر مجلدًا، مرتب على السنين، وأسد الغابة في معرفة الصحابة خمس مجلدات كبيرة، مرتب على الحروف، واللباب اختصر به أنساب السمعاني وزاد فيه، وتاريخ الدولة الأتابكية انظر: سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ٤٢/ ٣٨٧، الأعلام، مرجع سابق، ٤/ ٣٣١.

(٣) ابن كثير (ولد ٧٠١ — توفي ٧٧٤ هـ = ١٣٠٢ - ١٣٧٣ م) إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، أبو الفداء، تناقل الناس تصانيفه في حياته. من كتبه البداية والنهاية (١٤) مجلدًا في التاريخ على نسق الكامل لابن الأثير وشرح صحيح البخاري لم يكمله، وطبقات الفقهاء الشافعيين وتفسير القرآن الكريم انظر: الأعلام، مرجع سابق، ١/ ٣٢٠.

(٤) ابن خلدون (ولد ٧٣٢ - توفي ٨٠٨ هـ = ١٣٣٢ - ١٤٠٦ م) عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون، من كتبه مقدمة ابن خلدون وكتاب المبتدأ والخبر وكتاب في الحساب ورسالة في المنطق وشفاء السائل لتهذيب المسائل انظر: الأعلام، مرجع سابق، ٣/ ٣٣٠.

(٥) دائرة المعارف في القرن العشرين، محمد فريد وجدي، ص: ١٥٥، (دار المعرفة، ١٩٧١).

من أهل زمانه، استقر في بغداد واشتغل بالقضاء، ووهب أربعين عامًا من حياته لكتابة تاريخ عام أسماه كتاب (أخبار الأمم والملوك)، وقص فيه تاريخ العالم من بدء الخليقة ويشتمل الآن هذا الكتاب على خمسة عشر مجلدًا كبيرًا.

ونهج الطبري نهج التوراة فيما كتبه عن تاريخ اليهود في الجزء الأول من كتابه، أما الجزء الثاني فهو أقرب إلى العقل وفيه يقص تاريخ فارس قصصًا مقبولًا حيًا ذا روعة في بعض المواقع، ويتبع فيه طريقة إيراد الحوادث مرتبة حسب تواريخ وقوعها عامًا بعد عام وهي في العادة منصفة منقولة من راوٍ قبله حتى يصل بها إلى من شاهدها بعينه أو وقعت في أيامه، وفضل هذه الطريقة أنها تعتني بذكر المصادر، ولكن الطبري لا يحاول تنسيق الروايات المختلفة ليكون منها قصة واحدة متصلة؛ ولهذا فإن تاريخه يبقى أكداسًا من ثمار الجهد المضنى لا عملًا من أعمال الفن»[(١)].

وأما عن نقلهم واقتباسهم من كتب الطبري في حياة النبي ﷺ وأزواجه أمهات المؤمنين فكثير، فمن المستشرقين من أظهر ذلك صريحًا في مقدمة كتابه، واعتمد على هذه المصادر، ومنهم من نقل ولم يصرح بالمصدر الذي رجع إليه.

ومن المستشرقين الذين أظهروا ذلك المستشرقة كارين حيث تقول في مقدمة كتابها محمد نبي لزماننا: «بدأت كتابة التاريخ الإسلامي على أيدي كل من: ... أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠/ ٩٢٣م)».

واقتبست منه في قولها: «قد تكون عائشة قد انتقلت لبيت الزوجية في ذلك الوقت، برغم أن الطبري قال أنها ظلت في بيت أبويها لصغر سنها»[(٢)].

وروى المستشرق مونتجمري عن الطبري في أول من أسلم فقال: «هناك اتفاق عام على أن خديجة كانت هي أول من آمن بزوجها (محمد ﷺ) ورسالته، لكن هناك خلافات حادة

(١) قصة الحضارة، مرجع سابق، ص: ١٧٣.

(٢) محمد نبي لزماننا، مرجع سابق، ص: ١٢٩.

بشأن أول من أسلم من الرجال. وقد أورد الطبري مقتطفات كثيرة من المصادر، وترك القارئ يقرر بنفسه مختارًا بين ثلاثة مسلمين: علي، وأبي بكر، وزيد بن حارثة(١).

– مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي(٢).

يعتبر المستشرقون علي بن حسن المسعودي أفضل المؤرخين بعد الطبري حيث يقول المستشرق ول ديورانت: «ويرى المسعودي وهو أعظم من جاء بعد الطبري من المؤرخين، أن الطبري أعظم من سبقه منهم.

كان أبو الحسن علي المسعودي من أصل عربي في بغداد، وجاب بلاد سوريا وفلسطين وبلاد العرب وزنجبار وفارس وأواسط آسية والهند وسرنديب سيلان، بل يقول هو أنه وصل إلى بحر الصين.

وقد جمع ثمار رحلاته هذه في موسوعة تشتمل على ثلاثين مجلدًا؛ شَعَر علماء الإسلام أنفسهم –وهم المعروفون بغزارة مادتهم– أنه أطول مما يطيقون، ثم نشرًا موجزًا لها كان هو الآخر أطول مما يجب، ولعله رأى في نهاية الأمر أن قُراءه لا يجدون من الوقت الذي يصرفونه في القراءة مثل ما يجد هو منه ليصرفه في الكتابة، فاختصر كتابه مرة أخرى إلى الحدّ الذي تعرفه الآن وسماه بذلك الاسم الغريب مروج الذهب ومعادن الجوهر»(٣).

ويناقض المستشرقون أنفسهم بتعارض أقوالهم واضطرابها في رأيهم عن المؤرخين، فيقول ول ديورانت: «وخير ما يقال عن المؤرخين أنهم يفوقون غيرهم في اتساع جهودهم ونواحي نشاطهم واهتمامهم، وأنهم لا يفوتهم شيء مما يتصل ببني الإنسان، وأنهم يعلون علوًا كبيرًا على معاصريهم من المؤرخين في العالم المسيحي؛ ولكنهم مع هذا كله كثيرًا ما يضلون في دياجير

---

(١) محمد النبي ورجل دولة، مرجع سابق، ص: ١٧٢.

(٢) المسعودي: علي بن الحسين، أبو الحسن المسعودي، مؤرخ، رحالة، من أهل بغداد أقام بمصر وتوفي فيها. سنه (٣٤٦ هـ – ٩٥٧ م) من تصانيفه مروج الذهب وأخبار الزمان ومن أباده الحدثان، والتنبيه والإشراف، وأخبار الخوارج وذخائر العلوم وما كان في سالف الدهور، والمقالات في أصول الديانات. انظر: سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ٣٠/ ٦٩، الأعلام، مرجع سابق، ٤/ ٢٧٧.

(٣) قصة الحضارة، مرجع سابق، ص: ١٧٣، ١٧٤ جزء: ١٣، ١٤.

السياسة والحرب والبلاغة اللفظية، وقلّما يعنون ببحث العلل الاقتصادية والاجتماعية التي تتحكم في الحوادث وإن مجلداتهم الضخمة لتعوزها الطريقة البنائية المنتظمة قلنا نجد إلا أكداسًا من حقائق غير مرتبطة ولا متناسقة عن الأمم الحادثات والشخصيات، هم لا يرقون إلى مستوى بحث المصادر بحثًا دقيقًا نزيهًا ويعتمدون اعتمادًا كبيرًا مصدره شدة تقواهم واستمساكهم بالدين على الإجماع وتسلسل الروايات تسلسلًا قد تكون حلقة من حلقاته خاطئة أو مخادعة، ومن أجل هذا تهبط قصتهم في بعض الأحيان إلى مستوى أقاصيص الأطفال وتمتلئ بالنذور وأخبار المعجزات والأساطير»[(١)].

وتقول المستشرقة أمسترونج: «لم يعتمد هؤلاء المؤرخون على ذاكرتهم وانطباعاتهم فقط ولكنهم حاولوا بجدية هيكلة بناء تاريخي، ورجعوا إلى وثائق وكتابات سابقة في رواياتهم، وأسندوا الروايات الشفهية إلى مصادرها الأصلية، وبرغم توقيرهم لمحمد ﷺ كرجل الله، إلا أنهم لم يتجنبوا النقد والتمحيص في عملهم، ولحد كبير كنتيجة لمجهوداتهم، أصبحنا نعرف عن محمد ﷺ أكثر مما نعرف عن مؤسسي الديانات الرئيسية، وأصبحت هذه المصادر لا غنى عنها لأي كاتب لسيرة النبي ﷺ»[(٢)].

ثانيا: كتب السير

لقد نالت كتب السير حظوة وسيادة في دراسات المستشرقين وكتاباتهم، ونهلوا من معينها في الكتابة عن حياة محمد ﷺ وأزواجه أمهات المؤمنين، ومن أهم المصادر والموارد عند المستشرقين في كتب السيرة:

- كتاب السيرة النبوية لابن إسحاق[(٣)].

---

(١) قصة الحضارة، مرجع سابق، ص: ١٧٣، ١٧٤ جزء: ١٣، ١٤.

(٢) محمد نبي لزماننا، مرجع سابق، ص: ٢٢.

(٣) ابن إسحاق: محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني من أقدم مؤرخي العرب. من أهل المدينة. له السيرة النبوية - هذبها ابن هشام. ومن الأصل أجزاء مخطوطة كتبت سنة (٥٠٦ هـ) في خزانة القرويين بفاس، وكتاب الخلفاء، وكتاب المبتدأ توفي سنة (١٥١ هـ = ٧٦٨ م)، انظر: سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ١٣/ ٤٤، الأعلام، مرجع سابق، ٦/ ٢٨.

ويعتبر من أهم وأشهر المصادر عند جمهور المستشرقين، حيث يقول المستشرق مونتجمري وات: «كما أن هناك من سبق ابن إسحاق، إلا أن إسهامه في كتابة سيرة محمد عليه الصلاة والسلام هو الأكثر أهمية وتأثيرًا.

وقد جمع ابن إسحاق كل المعلومات التي كانت متاحة تقريبًا بما فيها الشعر القديم، ثم رتب مادته واختار منها ما جعله يكتب قصة مترابطة، وكثيرًا ما كان يشير إلى مصادره بالطريقة الإسلامية المعتادة»[١].

ويرى المستشرقون سيرة ابن إسحاق من أقدم مصادر السيرة النبوية وخاصة في الكتابة عن حياة محمد ﷺ، إذ يصف ول ديورانت سيرة ابن إسحاق بذلك فيقول: «محمد بن إسحاق (المتوفى في عام ٧٦٧م)كاتب سيرة النبي، وقد راجعها وزاد عليها ابن هشام فكانت أقدم كتاب عربي منثور ذا شأن عظيم وصل إلى أيدينا إذا استثنينا من ذلك القرآن نفسه»[٢].

وفي موجز دائرة المعارف «دوّن ابن إسحاق سيرة الرسول في كتابين؛ كتاب المبتدأ: مبتدأ الخلق، وقصص الأنبياء، وهو تاريخ النبي حتى الهجرة، وكتاب المغازي»[٣].

ومن المستشرقين الذين ارتكزوا على سيرة ابن إسحاق في الكتابة عن محمد ﷺ وأزواجه أمهات المؤمنين المستشرقة كارين، فقد نقلت عن ابن إسحاق فقالت: «نجح محمد ﷺ في تجارته بطريقة أعجبت خديجة، لدرجة أنها طلبت الزواج منه، لقد أرادت زواجًا جديدًا، وكان محمد ﷺ اختيارًا مناسبًا: قال ابن إسحاق: فقالت له – فيما يزعمون – يا ابن عم، إني قد رغبت فيك لقرابتك مني، وشرفك في قومك، وسطتك فيهم، وأمانتك عندهم، وحسن خلقك، وصدق حديثك»[٤].

---

(١) محمد النبي ورجل الدولة، مرجع سابق، ص: ٤٢.

(٢) قصة الحضارة، مرجع سابق، ١٣/ ١٧٢.

(٣) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ١٢٩.

(٤) السيرة النبوية، محمد بن إسحاق، تحقيق أحمد فريد، ص: ١٤٩، (دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م).

ثم نقلت عنه أيضًا قال ابن إسحاق: «وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة، مع ما أراد الله بها من كرامته»[(١)(٢)].

وكذلك المستشرق ول ديورانت حينما تحدث في الوحي: «ويقول محمد بن إسحاق أشهر كتّاب سيرة النبي أنه هو قد وصف هذا الحادث الجليل بقوله: فجاءني جبريل وأنا نائم بنمط ديباج فيه كتاب فقال اقرأ. قلت: ما اقرأ؟ فغتني به حتى ظننت أنه الموت... ... ... ولما عاد إلى خديجة حدّثها بما رأى، وتقول الرواية أنها آمنت بأن ما رآه وحي صادق من السماء، وشجّعته على أن يعلن للناس رسالته وتكرر الوحي بعد ذلك»[(٣)].

- كتاب السيرة النبوية لابن هشام[(٤)].

ويأتي في المرتبة الثانية بعد سيرة ابن إسحاق في السيرة النبوية، حيث اعتبره فريق من المستشرقين أحد موارد ومصادر السيرة.

وفي شأن سيرة ابن هشام يذكر المستشرق إميل درمنغم في مقدمة كتابة حياة محمد أهم وأقدم المصادر فيقول: «وقد أردت بهذا الكتاب أن أؤلف سيرة ناطقة للنبي مستندًا إلى أقدم المصادر العربية غير غافل عما جاء في مؤلفات المتخصصين الحديثة فعد مكتسبًا، وقد شئت أن أرسم لمحمد صورة مطابقة لما وصف به في كتب السيرة ولما يجول بين أتباعه ما استطعت إلى ذلك سبيلًا... ... ... وفي كتب السير ومنها سيرة ابن هشام القديمة المقتبسة من ابن إسحاق والتي أهمها في نظري»[(٥)].

---

(١) السيرة النبوية لابن إسحاق، مرجع سابق، ص: ١٤٩.

(٢) محمد نبي لزماننا، مرجع سابق، ص ٢٢.

(٣) قصة الحضارة، مرجع سابق، ١٣/ ٢٥.

(٤) ابن هشام - عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين: مؤرخ، كان عالما بالأنساب واللغة وأخبار العرب. ولد ونشأ في البصرة، وتوفي بمصر سنة (٢١٣ هـ = - ٨٢٨ م)، أشهر كتبه السيرة النبوية المعروف بسيرة ابن هشام، رواه عن ابن إسحاق. وله القصائد الحميرية في أخبار اليمن وملوكها في الجاهلية، والتيجان في ملوك حمير انظر: وفيات الأعيان، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان، ٣/ ١٧٧، (دار صادر، بيروت)، الأعلام، مرجع سابق، ٤/ ١٦٦.

(٥) حياة محمد، مرجع سابق، ص: ١١، ١٢.

ويصف المستشرق مونتجمري سيرة ابن هشام بأنها منقحة فيقول: «وأحسن وصف يمكن أن توصف به السيرة النبوية لابن هشام أنها رواية منقحة»[١].

فقد جمع ابن هشام كتابي ابن إسحاق المغازي وكتاب المبتدأ مبتدأ الخلق، واختصرهما كثيرًا في مواضع معينة واستخلص منها كتاب سيرة الرسول ﷺ وأخرج الكتاب في صورته الحالية في القرن الرابع الهجري»[٢].

– كتاب المغازي الواقدي[٣].

لقد اعتنى المستشرقون بكتاب مغازي الواقدي واستفادوا منه في كتاباتهم ونقلهم؛ وذلك لاهتمام الواقدي بالأزمنة، ويمتدح مونتجمري مغازي الواقدي حين قال: «وتعتبر مغازي الواقدي مجالًا قيمًا للمقارنة مع ابن إسحاق، لأن كلا منهما اعتمد على سلاسل إسناد مستقلة عن تلك التي اعتمد عليها الأخر، كما أن سلاسل إسناد الواقدي أتم وإن كانت تتناول الفترة المدنية فقط»[٤].

– كتاب الفصول في سيرة الرسول ﷺ للإمام ابن كثير.

اعتمد عليه كثير من المستشرقين في كتابة سيرة النبي محمد ﷺ ومن المستشرقين الذين اعتمدوا على كتاب ابن كثير المستشرق إيرفنج، وذلك حينما أفصح في مقدمته أنه أعتمد على ابن كثير في السيرة فقال: «وعلى هذا اعتمدت في معظم مراجعي على المراجع الإسبانية، وعلى

---

(١) محمد النبي ورجل الدولة، مرجع سابق، ص: ٤٢.

(٢) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ١٢٩.

(٣) الواقدي (ولد ١٣٠ – توفي ٢٠٧ هـ = ٧٤٧ – ٨٢٣ م) محمد بن عمر بن واقد السهمي أبو عبد الله، من كتبه المغازي النبوية وفتح إفريقية جازان، وفتح مصر والإسكندرية، وتفسير القرآن، وأخبار مكة، والطبقات وفتوح العراق وسيرة أبي بكر ووفاته، كتاب صفين، مقتل الحسين انظر: وفيات الأعيان، مرجع سابق، ٤/ ٣٤٨، الأعلام، مرجع سابق، ٦/ ٣١١.

(٤) محمد النبي ورجل دولة، مرجع سابق، ص: ٤٣.

ما ترجم للمؤرخ العربي أبي الفداء ابن كثير، وذلك في النسخة التي وجدتها في المكتبة اليسوعية في مدريد»(١).

ونقل المستشرق غوستاف عن ابن كثير فقال: «روى أبو الفداء أن محمدًا ذكر أنه كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء سوى أربع: امرأة فرعون آسية، وأم عيسى مريم، وزوجة النبي ﷺ خديجة، وبنت النبي ﷺ فاطمة»(٢).

وفي بدء الوحي اقتبس أيضًا من ابن كثير فقال: «جاء خديجة ممتقعًا وأخبرها، كما روى مؤرخو العرب بأنه بينما كان تائها في الجبل إذ سمع جبريل يقرع أذنيه بقول: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ [العلق: ١ — ٥] يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل، كما أخبرها بأن هذا كلام إلهي، وبأنه يشعر في نفسه بقوة نبوية، ولم تتردد المرأة المطيعة خديجة في تصديق بعثة زوجها النبوية، وانطلقت إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، وكان على جانب من العلم وقصت عليه ما سمعت فقال: «قدوس، والذي نفس ورقة بيده لئن صدقتي يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى بن عمران، وإنه لنبي هذه الأمة» ورجعت خديجة إلى محمد وأخبرته بقول ورقة واطمأنت نفسه، فطاف بالكعبة سبع مرات ثم انصرف إلى منزله، ثم تواتر الوحي عليه كما ذكر أبو الفداء»(٣).

---

(١) محمد وخلفاؤه، مرجع سابق، ص: ٥٩.

(٢) حضارة العرب، مرجع سابق، ص: ١١٧.

(٣) حضارة العرب، مرجع سابق، ص: ١٠٩.

ثالثًا: كتب التراجم

- كتاب الطبقات الكبرى ابن سعد[١].

وهو من المصادر والموارد المهمة عند المستشرقين في الكتابة عن حياة النبي ﷺ وأزواجه أمهات المؤمنين؛ لهذا يقول المستشرق مونتجمري: «طبقات ابن سعد (ت ٨٤٥ م/ ٢٣٠ هـ)، كاتب الواقدي، وهى مجموعة كبيرة تحوي - إلى جانب مادة كثيرة عن محمد (عليه الصلاة والسلام) - ترجمات كبار الصحابة والتابعين»[٢].

وفي موضع أخر يقول: «ويمدنا ابن سعد بروايات مختلفة في عناصر كثيرة، وإن كانت مادته - رغم كثرتها - ذات قيمة تاريخية قليلة، ونادرًا ما يكون ابن سعد هو المصدر الوحيد في موضوع ذي أهمية، ومع هذا، تعتبر سير الصحابة التي كتبها ثروة من المعلومات النافعة عن خلفية حياة محمد عليه الصلاة والسلام»[٣].

وفي دائرة المعارف الإسلامية يرى المستشرقون سبق المسلمين في تأليف كتب التراجم «وننبه إلى أن المسلمين سبقوا الأوربيين في وضع كتب التراجم التي أشهرها: وفيات الأعيان للقاضي بن خلكان، وطبقات الأطباء للعلامة بن أبي أصيبعة»[٤].

وأيضًا في دائرة المعارف البريطانية حينما تحدثوا عن أهم المصادر الرئيسة في التاريخ والسير والتراجم «والمصادر الرئيسة ذات القيمة التاريخية هي السير المبكرة (من القرنين الثامن والتاسع) وبخاصة سيرة ابن هشام، كما صاغها ابن إسحاق، ومغازي الواقدي، مع المواد المكملة التي سجلها زميله ابن سعد، وهذا يحتوي على مواد عن الصحابة وعن علاقة الرسول بهم وعمله معهم. وحفظت بعض الوثائق مع عهد محمد في السير المبكرة، وأهمها ما يطلق عليه ميثاق

---

(١) ابن سعد (ولد ١٦٨ - توفي ٢٣٠ هـ = ٧٨٤ - ٨٤٥ م) محمد بن سعد بن منيع الزهري. أشهر كتبه طبقات الصحابة اثنا عشر جزءا، يعرف بطبقات ابن سعد انظر: وفيات الأعيان، مرجع سابق، ٤/ ٣٥١، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ٢٠/ ١٧٩، الأعلام، مرجع سابق، ٦/ ١٣٧.

(٢) محمد النبي ورجل الدولة، مرجع سابق، ص: ٤٢.

(٣) محمد النبي ورجل الدولة، مرجع سابق، ص: ٤٣.

(٤) دائرة المعارف في القرن العشرين، مرجع سابق، ص: ١٥٥.

المدينة. وهو مدون»[1].

(١) السيرة النبوية في دائرة المعارف البريطانية، مرجع سابق، ص: ١٢.

المطلب الثالث

العقائد والأديان

تنوعت كتابات المستشرقين وتعددت مصادرهم في دراسة أمهات المؤمنين وأخذوا من كل علم ونهلوا من كل فن، واستندوا على المصادر الأساسية القرآن، والسنة، وكتب التاريخ، والتراجم والسير، وكتب العقائد والأديان والفرق، فزيفوا ونمقوا في نقلهم وتأليفهم، واستقوا واقتبسوا من العقائد والأديان والفرق ما يوافق أهوائهم، واقتبسوا من كتب سابقيهم.

ومن أهم العقائد والأديان التي استقوا منها:

عقائد الشيعة: اهتم المستشرقون بعقائد الشيعة[١] وقراءة كتبهم ومعتقداتهم، وكتبوا عنهم، وعن أهم فرقهم ومعتقداتهم الإمامية[٢]، والزيدية[٣]، والكيسانية[٤]، والإسماعيلية[٥]،

---

(١) الشيعة: هم الذين شايعوا عليًا رضي الله عنه على الخصوص وقالوا بإمامته وخلافته نصًا ووصية، إما جليًا، وإما خفيًا واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده. الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، ١/ ١٤٦، (مؤسسة الحلبي).

(٢) الإمامية: هم القائلون بإمامة علي رضي الله عنه بعد النبي عليه السلام؛ نصًا ظاهرًا، وتعيينًا صادقًا، من غير تعريض بالوصف بل إشارة إليه بالعين وهم الذين يقولون بإمامه الاثنى عشرإماماً انظر: الملل والنحل، مرجع سابق، ١/ ١٦٢.

(٣) الزيدية: إحدى فرق الشيعة أتباع زيد بن علي بن الحسين ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة – رضي الله عنها –، ولم يجوزوا ثبوت الإمامة في غيرهم، إلا أنهم جوزوا أن يكون كل فاطمي عالم شجاع سخي خرج بالإمامة، أن يكون إمامًا واجب الطاعة. انظر: الملل والنحل، مرجع سابق، ١/ ١٥٤، الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب المعاصرة، مرجع سابق، ١/ ٧٦.

(٤) أصحاب كيسان، مولى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وقيل تلمذ للسيد محمد بن الحنفية رضي الله عنه. يعتقدون فيه اعتقادا فوق حده ودرجته، من إحاطته بالعلوم كلها، واقتباسه من السيدين الأسرار بجملتها من علم التأويل والباطن، وعلم الآفاق والأنفس. انظر: الملل والنحل، مرجع سابق، ١/ ١٤٧، الفرق بين الفرق، عبد القاهر بن طاهر البغدادي، ط٢، ص: ٢٧، (دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٧).

(٥) الإسماعيلية فرقة باطنية انتسبت إلى الإمام إسماعيل بن جعفر وإثبات الإمامة له وهي إحدى فرق الشيعة . انظر: الملل والنحل، مرجع سابق، ١/ ١٩١.

وتأثروا بهم ونقلوا عنهم حيث ظهر جليًا في كتاباتهم التي توافق ما كتبه الشيعة في أمهات المؤمنين، فنقلوا عنهم في:

– زيادة القرآن ونقصانه واتفقوا معهم في قضية تحريف القرآن الكريم

يقول الشيخ المفيد[١] في كتاب أوائل المقالات: «أن الأخبار قد جاءت مستفيضة عن أئمة الهدى من آل محمد ﷺ باختلاف القرآن، وما أحدثه الظالمون فيه من الحذف والنقصان»[٢].

وروى الطبرسي[٣] في الاحتجاج عن أبي ذر الغفاري ﵁ أنه قال: «لما توفي رسول الله ﷺ جمع علي – عليه السلام – القرآن، وجاء به إلى المهاجرين والأنصار وعرضه عليهم لما قد أوصاه بذلك رسول الله ﷺ، فلما فتحه أبو بكر خرج في أول صفحة فتحها فضائح القوم، فوثب عمر وقال: يا علي اردده فلا حاجة لنا فيه، فأخذه – عليه السلام – وانصرف، ثم أحضروا زيد بن ثابت – وكان قارئًا للقرآن – فقال له عمر: إن عليًا جاء بالقرآن وفيه فضائح المهاجرين والأنصار، وقد رأينا أن نؤلف القرآن، ونسقط منه ما كان فضيحة وهتكًا للمهاجرين والأنصار، فأجابه زيد إلى ذلك... ... ... فلما استخلف عمر سأل عليًا أن يدفع إليهم القرآن فيحرفوه فيما بينهم»[٤].

---

(١) المفيد (ولد ٣٣٦ هـ توفي ٤١٣ هـ = ٩٤٧ – ١٠٢٢ م) محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام العكبري، أبو عبد الله، المفيد، ويعرف بابن المعلم عالم الرافضة، صاحب التصانيف محقق إمامي، انتهت إليه رئاسة الشيعة في وقته، له عدة مؤلفات، الإعلام فيما اتفقت الإمامية عليه من الأحكام، الإرشاد في تاريخ النبي ﷺ، أوائل المقالات في المذاهب والمختارات. انظر: سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ١٣/ ٩٦، الأعلام، مرجع سابق، ٧/ ٢١.

(٢) أوائل المقالات في المذاهب المختارات، المفيد محمد بن محمد بن النعمان، ص: ٩١، (دار الكتاب الإسلامي، بيروت لبنان، ١٤٠٣هـ).

(٣) الطبرسي (ولد ٠٠٠ – توفي ٥٦٠ هـ = ٠٠٠ – ١١٦٥ م) أحمد بن علي بن أبي طالب، أبو منصور الطبرسي: فقيه إمامي. كان من مشايخ ابن شهر آشوب. له كتب، منها الاحتجاج على أهل اللجاج، وتاريخ الأئمة وفضائل فاطمة الزهراء. انظر: الأعلام، مرجع سابق، ١/ ١٧٣.

(٤) الاحتجاج، أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، تعليق السيد محمد باقر الموسوي، ١/ ١٥٥، (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام، ١٩٨١م.

وهذه النصوص وغيرها في كتب الرافضة اعتمدها المستشرقون وجعلوها عمدة في حديثهم عن القرآن الكريم، وبالتالي نقلهم عنها في سير أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن –، بالإضافة إلى بعض الشبهات التي أوردوها في قضية جمع القرآن وحفظه.

حيث يقول المستشرق جولد تسيهر عن القرآن: «فلا يوجد كتاب تشريعي اعترفت به طائفة دينية اعترافًا عقديًا على أنه نص منزل أو موحى به، يقدم نصه في أقدم عصور تداوله مثل هذه الصورة من الاضطراب وعدم الثبات كما نجد في نص القرآن»[١].

– افتراءات الشيعة على أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن – وأم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – على وجه الخصوص.

فقد نقل المستشرقون من كتب الشيعة الافتراءات التي ألصقها الشيعة على أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها –؛ وذلك حينما زعموا أن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – كانت تؤذي النبي ﷺ فقالوا: «وإذا كانت قد آذت نبيهم بإفشاء سره والتظاهر عليه فكيف يكون حالها مع ما تضمنه كتابهم»[٢].

وكتب المستشرق بودلي نظير هذا فقال: «فإن عائشة إذا ما شاءت فعل شيء، فإنها تفعله دون اعتبار لفلسفة السلوك والآداب»[٣]. ويقول: «ولقد فعلت أشياء في دور النبي ﷺ تخالف مبادئ الإسلام جميعًا»[٤].

ومن الافتراءات التي نقلوها افتراؤهم على الصديقة عائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها – بأنها أثارت فتنة بين المسلمين بعد وفاة النبي ﷺ، فقد زعم الشيعة أن عائشة – رضي الله عنها – هي مصدر الفتنة وسببها.

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي، أجناس جولد تسيهر، ترجمة عبد الحليم النجار، (مكتبة الخانجي بمصر، مكتبة المثنى ببغداد، ١٣٧٤هـ).

(٢) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، علي بن موسى بن طاووس الحسيني، ص: ٢٩٢، (الخيام، ١٤٠٠هـ).

(٣) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٤٢١.

(٤) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ١٧٥.

حيث استدلوا على زعمهم هذا بقول النبي ﷺ وهو على المنبر: «ألا إن الفتنة هاهنا – يشير إلى المشرق – من حيث يطلع قرن الشيطان – أو قال – قرن الشمس» قال الشيعة: وكان يشير إلى مسكن عائشة وقال هاهنا الفتنة ثلاثًا(١).

وحذا المستشرقون حذوهم بهذا الافتراء فقالوا: «وقد أثارت بعد موت النبي ﷺ فتنة بين المسلمين عجز عن إثارة مثلها أي قرشي مكي، فقد كانت ذات طبيعة نارية لا تتحمل مسؤولية»(٢).

عقائد الصوفية

لقد اعتنى المستشرقون بالتصوف(٣) عناية بالغة، وأبرزوا دوره، وادّعوا موافقة التصوف الغالي للرهبانية النصرانية، واعتبروه امتدادًا لها فقالوا: «وهكذا استطاع الباحثون المحدثون أن يلمسوا في التصوف الإسلامي كثيرًا من خصائص العكوف عند رهبان النصارى، ومن هؤلاء الباحثين: آسين بلاثيوس(٤) وفنسنك(٥) وتوراندريه»(١).

---

(١) ١٣١. الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، مرجع سابق، ص: ٢٩٧، الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم، علي بن يونس العاملي البياضي، ٣/ ١٤٢، ١٦٤، (الحيدرية، مكتبة المرتضوية).

(٢) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ١٧٥، ١٧٦.

(٣) التصوف: حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري كنزعات فردية تدعو إلى الزهد وشدة العبادة كرد فعل مضاد للانغماس في الترف الحضاري. ثم تطورت تلك النزعات بعد ذلك حتى صارت طرق مميزة معروفة باسم الصوفية، ويتوخى المتصوفة تربية النفس والسمو بها بغية الوصول إلى معرفة الله تعالى بالكشف والمشاهدة لا عن طريق اتباع الوسائل الشرعية. انظر: الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب المعاصرة، مرجع سابق، ١/ ٢٤٩.

(٤) الأب آسين (ولد ١٨٧١م- توفي ١٩٤٤م) تعلم وتلقى العربية، نال الدكتوراه من جامعة مدريد، نشر رسالته في العقيدة والأخلاق والتصوف لدى الغزالي، أشتهر بدراسة حركة التفاعل الثقافي بين الإسلام والمسيحية، تخصص بالتصوف والفلسفة أثاره: العقيدة والأخلاق والتصوف لدى الغزالي، عني بمحي الدين ابن عربي، صنف كتاب المتصوف ابن عربي. انظر: معجم أسماء المستشرقين، مرجع سابق، ص: ١٣٦.

(٥) فنسنك (ولد ١١٨٢م- توفي ١٩٣٩م) أتقن اللغات السامية تخصص في أديان الشرق وعني بالحديث وسعى إلى وضع المعجم المفهرس لألفاظه من أمهات مصنفاته فانضم إليه لفيف من المستشرقين العالميين، فلما قضى نحبه كان قد صدر منه إحدى عشر ملزمة أثاره موقف الرسول من يهود المدينة، محمد واليهود، الإسرائيليات في الإسلام، محمد والنبوة، مفتاح كنوز السنة. انظر: المستشرقون، مرجع سابق، ص: ٦٦٨.

بينما رأى آخرون أن التصوف مأخوذ من فيدا الهنود «ونجد أن بحث المراحل التي أدت إلى إدخال الذكر في الطرق الصوفية المحدثة تدلنا على تسرب بعض طرائق الهنود إلى التصوف الإسلامي»[٢].

ويرى ول ديورانت أن التصوف يرجع إلى عدة أصول فيقول: «ويرجع التصوف الإسلامي إلى أصول كثيرة: منها نزعة الزهد عند الفقراء الهندوس، وغنوصية، ومصر، والشام، والبحوث الأفلاطونية الجديدة عند اليونان المتأخرين، وتأثير الرهبان المسيحيين الزاهدين المنتشرين في جميع بلاد المسلمين»[٣].

ويدعي أشهر المستشرقين الذين ألفوا في التصوف المستشرق نيكلولسن بأن الإسلام مصدر التصوف فيقول: «إن إطلاق الحكم بأن التصوف دخيل في الإسلام غير مقبول، فالحق أننا نلاحظ منذ ظهور الإسلام أن الأنظار التي اختص بها متصوفة المسلمين نشأت في قلب الجماعة الإسلامية نفسها، أثناء عكوف المسلمين على تلاوة القرآن والحديث وقراءتهما، وتأثرت بما أصاب هذه الجماعة من أحداث وما حل بالأفراد من نوازل، على أنه إذا كانت مادة التصوف إسلامية عربية خالصة فمما لا يخلو من فائدة أن نتعرف على المحسنات الأجنبية التي أدخلت عليه ونمت في كنفه»[٤].

ويظهر من كتابات المستشرقين نقلهم وتأثرهم بكتب الصوفية وأعلام التصوف في الكتابة عن الإسلام وحياة محمد ﷺ، ومما يسفر عن ذلك نقلهم وشرحهم لمصطلحات الصوفية بكثرة وخاصة في دائرة المعارف الإسلامية، مثل لفظ الولي، والأوتاد، والحضرة وغيرها.

ففي دائرة المعارف أفردوا هذه المصطلحات وبينوها فقالوا في لفظ الولي: هو القريب من الله، ثم أخذوا بتعريف الجرجاني للولي بأنه «هو العارف بالله أي الذي يمتلك حسًا صوفيًا

=

(١) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ٢٢٢٥.

(٢) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ٢٢٢٥.

(٣) قصة الحضارة، مرجع سابق، ١٣/ ٢١٤.

(٤) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ٢٢٢٥.

ووجدًا دينيًا لدرجة أنه يعرف الله سبحانه بهذا الحس وذلك الوجد؛ لكن الولي الحقيقي الجدير بهذه الكلمة يعتقد أنه يمتلك ميزات عدة فهو ليس عبدًا عاديًا لله فمع أنه قد يكون أعمى وواهنًا إلا أنه يكون قادرًا على الإتيان بالكرامات، ثم فصلوا في بيان طبقات الأولياء ومراتبهم(١).

وفي أعلام التصوف يحاول فريق من المستشرقين أن يبرزوا دورهم، ويسبغوا على رؤوس التصوف عبارات المدح والتمجيد كابن عربي(٢) والحلاج(٣) وغيرهم، فقد اهتموا بابن عربي محمد بن علي الحاتمي الأندلسي، أشهر علماء التصوف وترجموا أشعاره إلى اللغة الإنجليزية وكتبوا عن عقائده فقالوا: «أما ما يختص بالعقائد الدينية فقد كان باطنًا وابن عربي مع قيامه بفرائض الإسلام وتمسكه بعقائده، كان رائده الوحيد هو ذلك النور الباطني الذي أفاضه الله عليه على ما كان يعتقد، وذهب ابن عربي إلى أن الوجود كله واحد، وأنه ليس إلا مظهرًا للذات الإلهية، وعلى ذلك فالأديان المختلفة في نظره متكافئة، رغم أنه رأى النبي الأكرم، وعرف اسم الله الأعظم»(٤).

ونشروا كتب حسين بن منصور الحلاج، حيث نشر المستشرق ماسنيون لأول مرة كتاب الطواسين للحلاج وترجمه، ونشر أيضًا ديوان الحلاج وترجمه في المجلة الآسيوية(٥)، ووصفه المستشرق ول ديورانت بالمغالين في عقيدة التصوف(١).

---

(١) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ١٠١٦٨.

(٢) ابن عربي (ولد ٥٦٠ - توفي ٦٣٨ هـ = ١١٦٥ - ١٢٤٠ م) محمد بن علي بن محمد ابن العربي، الأندلسي، المعروف بمحيي الدين بن عربي، من أئمة المتكلمين. له نحو أربعمائة كتاب ورسالة، منها الفتوحات المكية عشر مجلدات، في التصوف وعلم النفس، وديوان شعر أكثره في التصوف، وفصوص الحكم ومفاتيح الغيب انظر: سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ١٦/ ٣١٠، الأعلام، مرجع سابق، ٦/ ٢٨١.

(٣) الحلاج (٠٠٠ - ٣٠٩ توفي هـ = ٠٠٠ - ٩٢٢ م) الحسين بن منصور الحلاج، الفارسي، البيضاوي، الصوفي فيلسوف، له ستة وأربعين كتابًا غريبة الأسماء والأوضاع، منها طاسين الأزل والجوهر الأكبر وألف المستشرق جولدتسيهر رسالة في الحلاج وأخباره وتعاليمه، وكذلك صنف المستشرق لويس مسينيون، كتابًا في الحلاج وطريقته ومذهبه. انظر: سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ١١/ ١٩٤، الأعلام، مرجع سابق، ٢/ ٢٦٠.

(٤) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ٢٥٠.

(٥) تاريخ الأدب العربي، بروكلمان، تحقيق عبد الحليم النجار، ط٥، ٤/ ٦٨، (دار المعارف).

ومن أهم المصادر والموارد التي اعتنى بها المستشرقون في العقائد والأديان:

- **كتاب الملل والنحل**: لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني[٢] ويعتبر من المصادر المهمة عند المستشرقين، فقد أفاد عدد منهم من كتابات الشهرستاني - رحمه الله - حول الملل والنحل وكان كتابه مصدرًا للكتابة عن العقائد والأديان، حيث صرّح جمع منهم بالرجوع إليه واستقاء معلومات منه في الفرق، حيث يقول أحدهم: «والشهرستاني من أهم المصادر التي نرجع إليها عن المعتزلة، ذلك الفقيه الذي لا يترك شاردة ولا واردة من مسائل الفقه إلا وتناولها، والفلسفي المتوقد الذهن، أجل الفقهاء والفلاسفة»[٣].

ويقول المستشرق ول ديورانت في كتاب الملل والنحل: «وحلل الشهرستاني في كتاب الملل والنحل المشهورة من أديان العالم وفلسفاته، ولخص تواريخها، ولم يكن في مقدور أحد من المسيحيين في ذلك العصر أن يكتب كتابًا يماثله في غزارة مادته ونزاهته»[٤].

- **كتاب إحياء علوم الدين**: لأبي حامد محمد الغزالي الطوسي[٥] أحد أعلام عصره وأحد أشهر علماء المسلمين، وهو من أهم مصادر المستشرقين في التصوف، كان له أثر على المستشرقين في التصوف؛ فقد نقلوا عنه معنى الإيمان، ففي موجز دائرة المعارف «الإيمان هو

=

(١) قصة الحضارة، مرجع سابق، ١٣/ ٢١٦.

(٢) محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني، أبو الفتح، له عدة مؤلفات منها كتاب «نهاية الإقدام»، وكتاب «الملل والنحل» ولد سنة (٤٦٧) ومات في شعبان سنة (٥٤٨) انظر: سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ١٥/ ٩٢، والأعلام، مرجع سابق، ٦/ ٢١٥.

(٣) موجز دائرة المعرف، مرجع سابق، ص: ٦٣٣٤.

(٤) قصة الحضارة، مرجع سابق، ١٣/ ٣٤٠.

(٥) الغزالي: أبو حامد محمد بن أحمد الطوسي، الشافعي، الغزالي، ولد سنة (٤٥٠) من آثاره العلمية، المعتقد، وإلجام العوام، والرد على الباطنية، ومعتقد الأوائل، وغير ذلك. توفي سنة (٥٠٥)، وله خمس وخمسون سنة انظر: سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ١٤/ ٢٧٨، والأعلام، مرجع سابق، ٧/ ٢٢.

التصديق والاعتقاد في الله والنبي ﷺ ورسالته، تصديق ما اشتملت عليه الرسالة» ثم أحالوا القارئ إلى كتاب إحياء علوم الدين «انظر الغزالي: الإحياء الكتاب الثاني الفصل الرابع»[١].

وفي منزلته يقول ول ديورانت: «... أبي حامد الغزالي أعظم علماء الدين المسلمين، الذي جمع بين الفلسفة والدين، فكان بذلك عند المسلمين، كما كان أوغسطين عند الأوربيين»[٢].

ويعد ول ديورانت تصوف الغزالي نصرًا للصوفية حيث يقول: «كان اعتناق الغزالي لمذهب التصوف نصرًا باهرًا للصوفية، فأخذ أهل السنة من بعده بالتصوف حتى طغت عقائد المتصوفة وقتًا ما على قواعد الدين[٣].

- **كتاب بحار الأنوار**: لمحمد باقر المجلسي[٤]، وهو من أشهر وأهم كتب الشيعة الاثني عشرية، اتخذه المستشرقين مصدرًا وموردًا في الكتابة عن الإسلام.

وفي شأن المجلسي لدى المستشرقين قالوا: «ومن بين أهل البلاد كانت الرئاسة في أيام الحر لأسرة المجلسي، وكان أهم من يمثلها هو محمد تقي فقد كان شديد الاجتهاد في إرضاء جمهور الناس، فكتب نصف مصنفاته باللغة الفارسية، وأما في كتابه بحار الأنوار فهو موسوعة كبيرة في العقائد والفقه من خمسة وعشرين مجلدًا، وقد طبع في طهران وتبريز وكثيرًا منه ما ترجم إلى الفارسية، مثل المجلد الثالث عشر.

والخلاصة في هذا أن المستشرقين كانوا يعتمدون على كتب الشيعة والصوفية في دراسة الإسلام وأهله بشكل عام ومما يدخل في ذلك كتب السيرة وسيرة أمهات المؤمنين -رضي الله

---

(١) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ١٤٣٤.

(٢) قصة الحضارة، مرجع سابق، ١٣/ ٣٦٢.

(٣) قصة الحضارة، مرجع سابق، ١٣/ ٣٦٥.

(٤) المجلسي (ولد ١٠٣٧هـ - توفي ١١١١ هـ = ١٦٢٧ - ١٧٠٠ م) محمد باقر بن محمد تقي بن مقصود علي الأصفهاني: ولي مشيخة الإسلام في أصفهان. له بحار الأنوار، وكتاب العقل والعلم والجهل وكتاب التوحيد ومرآة العقول وجوامع العلوم والسيرة النبوية والإمامة والفتن والمحن وأمير المؤمنين، علي ابن أبي طالب وفضائله وأحواله. انظر: الأعلام، مرجع سابق، ٦/ ٤٨.

عنهن – حيث نجد توافقاً وتشابهاً بين الشيعة والمستشرقين فكلاهما يرمون إلى هدف واحد ، وهو التحقير والتقليل والإنقاص من قدر أمهات المؤمنين –رضي الله عنهن – ،وسب وقدح لأم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها – وأم المؤمنين حفصة – رضي الله عنها – على سبيل الخصوص وأمهات المؤمنين على وجه العموم .

الفصل الثاني
مواقف المستشرقين من الصفات والطبائع البشرية لأمهات المؤمنين

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: موقفهم من الصفات الخُلقية.

المبحث الثاني: موقفهم من الصفات الخَلقية.

المبحث الأول

موقفهم من الصفات الخُلقية

لقد شرف الله عز وجل أزواج النبي ﷺ واصطفاهن لصحبة رسوله، وأكرمهن بمنزلة الأمومة للمؤمنين، حيث جعلهن أمهات في التحريم والاحترام والتبجيل، فلهن الفضل والسبق وعلو المقام، فقد تربين في بيت النبوة على مكارم الأخلاق وجميل الصفات ونهلن من معينها أروع الدروس والآداب.

فمن نال منهن بوصف لا يليق بهن فقد تجرأ على رسوله وأذاه؛ لأنهن أهل بيته وأزواجه المطهرات وكل ما يؤذي أزواجه ﷺ من قول أو فعل يؤذيه.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٥٧ ﴾ [الأحزاب: ٥٧].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ٥٣ ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

هذا وقد اهتم المستشرقون بالكتابة عن صفات أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن –، وأفاضوا في الحديث عما يصدر في بيت النبوة من أقوال وأفعال، وما تحلت به أزواج النبي ﷺ من كريم الأخلاق وجميل الصفات.

ورغم ذكر وبيان صفات أمهات المؤمنين في كتب السيرة النبوية، إلا أن طائفة من المستشرقين غالوا في بعض الصفات الخُلقية والخَلقية. فوصفوهن بغير ما جاءت به كتب السيرة النبوية.

كما ينبغي أن لا ننكر أن هناك من أنصف في ذكر صفات أمهات المؤمنين بتجرد، حيث يتجه المستشرقون نحو الصفات الخُلقية إلى موقفين:

الأول: موقف يحمل النظرة الإيجابية.

ويتصدر هذا الموقف الصفات التعبدية كالتقوى، والزهد والورع، والصدقة والإنفاق، وحسن الخُلق، إذا يصف المستشرق آتين دينيه أم المؤمنين زينب بنت خزيمة – رضي الله عنها – بهذه الصفات فيقول: «ولم يمكث النبي ﷺ طويلًا على ذلك حتى بنى بأرملة عبيدة، الذي مات شهيدًا يوم بدر، وكانت تقيّة رحيمة بالفقراء والضعفاء كثيرة الصدقات، ولقد لقبت من أجل هذا بأم المساكين»[١].

ويمتدح المستشرقون عبادة أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب – رضي الله عنهما – فقالوا: لقد هاجرت حفصة مع أبيها إلى المدينة وتحلت بفضائل الإسلام، وكانت منصرفة إلى الصلاة والصوم[٢].

ويتبع إيرفنج في وصفها فيقول: «واشتهرت بحفظها المصحف الشريف»[٣].

وفي دائرة المعارف يروي المستشرقون موقف أم المؤمنين عائشة بنت الصديق – رضي الله عنهما – من الصدقة فقالوا: «كانت عائشة – رضي الله عنها – مع علمها وتقواها كريمة لا تدخر شيئًا، روي أنه جاءها يومًا عطاؤها من بيت المال، وهو ألوف كثيرة من الدراهم، فبسطتها وسط الدار وجعلت كل عدد منها في صرة، وأخذت توزع على الفقراء، وكانت صائمة، فقالت لها جاريتها: ألا أبقيت درهمين أشتري لك بهما طعامًا لفطورك؟ قالت لا والله لو ذكرتيني لفعلت»[٤].

وعن تقوى أم المؤمنين زينب بنت جحش – رضي الله عنها – وإنفاقها تقول المستشرقة أمسترونج كارين: «وهي امرأة تقية، ماهرة في المشغولات الجلدية، وكانت تعطي ما تحصل عليه من مكسب للفقراء»[٥].

---

(١) محمد رسول الله، مرجع سابق، ص: ٢١٧.

(٢) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ٤٠٧٤، ٤٠٧٥.

(٣) محمد وخلفاؤه، مرجع سابق، ص: ١٥٢.

(٤) دائرة المعارف في القرن العشرين، مرجع سابق، ص: ٧٩٣.

(٥) محمد نبي لزماننا، مرجع سابق، ص: ١٥٣.

وأورد المستشرقون نظير هذا في دائرة المعارف فقالوا: «اشتهرت بجودها، وثمة حديث بأن أكرم زوجات النبي ﷺ هي - زينب بنت جحش - رضي الله عنها - وأسبقهن في اللحاق بالجنة والحديث يشير إلى ذلك»[١].

«وكانت صوامة قوامة تشتغل وتتصدق من شغل يدها، قالت عائشة رضي الله عنها: يرحم الله زينب بنت جحش لقد نالت في هذه الدنيا الشرف الذي لا يبلغه شرف: أن الله عز وجل زوّجها نبيه ونطق به القرآن، وأن الرسول قال لنا ونحن حوله: أسرعكن بي لحوقًا أطولكن يدًا، فبشّرها بسرعة لحوقها به، وهي زوجته في الجنة، وذلك لأنها أول من توفيت بعده من نسائه، وكان يريد بطول اليد كثرة الصدقة، وقال الرسول ﷺ لعمر بن الخطاب: إن زينب أوّاهة، أي خاشعة متضرعة»[٢].

وفي حسن الخُلق يصف المستشرق توماس كارليل أم المؤمنين خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها - بالصلاح في حادثة نزول الوحي على النبي ﷺ فيقول: «ويخيل إلينا أن الصالحة خديجة أصغت إليه في دهشة»[٣].

ويضيف غوستاف لوبون بقوله: «ولم تتردد المرأة المطيعة خديجة في تصديق بعثة زوجها النبوية»[٤].

وكتب ول ديورانت أيضًا عن حسن خلقها فقال: «كانت سيدة طيبة، وزوجة صالحة، وتاجرة بارعة، ظلت وفيّة لمحمد في صروف حياته الروحية، وظل يذكرها بعد وفاتها على أنها خير نسائه كلهن»[٥].

كما نسب المستشرق إيرفنج صفات المرأة الصالحة إلى أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - فقال: «المرأة الصالحة هي كنز الرجل الحقيقي تطيع الله وترضي زوجها، فإذا نظر إليها

(١) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ٥٤١٥.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، بطرس البستاني، ٩/ ٣٥٤، مطبعة الأدبية، بيروت، ١٨٨١م، ١٣٠٤ هـ.

(٣) الأبطال، توماس، ترجمة: محمد السباعي، ط ٣، ص: ٧٥، (الناشر: مكتبة مصر).

(٤) حضارة العرب، مرجع سابق، ص: ١٠٩.

(٥) قصة الحضارة، مرجع سابق، ص: ٢٢ /١٣.

سرته، وإذا طلب منها أمرًا أطاعته، وإذا غاب عنها زوجها حفظته بماله وعرضه. تلك صفات عائشة بنت أبي بكر – رضي الله عنهما –»[١].

وعن خلق أم المؤمنين سوده بنت زمعة – رضي الله عنها – كتب المستشرقون في دائرة المعارف فقالوا: «الزوجة الثانية للنبي ﷺ وهي من السابقات إلى الإسلام، كانت سودة امرأة محسنة دمثة الخُلق، والظاهر أن النبي ﷺ عناها بقوله وهو يخاطب أزواجه: أطولكن يدًا، أي أعظمهن برًا وصدقة، وأنها أسرع لحوقًا به إلى الجنة»[٢].

ومن جليل الصفات الخُلقية التي وصف بها المستشرقون أمهات المؤمنين صاتة الإخلاص، والشرف، والعفة، والحلم، والأناة، والرقة، حيث يصف المستشرق إيرفنج أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها – بالإخلاص فيقول: «وكانت خديجة زوجته المخلصة ترقب محمد في وحدته وتعبّده بعين قلقة»[٣] ويضيف في موضع أخر: «ونقل شكوكه إلى زوجته المخلصة خديجة»[٤].

وفي عظم شرف أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها – وحيازتها على المثل الأعلى للشريفات في قومها تقول المستشرقة زيغريد هونكة[٥]: «لها شخصيتها، ومالها، ومكانتها الرفيعة في مجتمعها، كانت نموذجًا للشريفات عند العرب، أجاز لها رسول الله ﷺ أن تستزيد من العلم والمعرفة»[٦].

ويقول إميل درمنغم: «وكانت خديجة مَثل الزوجات الأعلى، وكان محمد أكمل الأزواج»[٧].

---

(١) محمد وخلفاؤه، مرجع سابق، ص: ٢٠٥.

(٢) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ٥٩٨٢.

(٣) محمد وخلفاؤه، مرجع سابق، ص: ٥٢.

(٤) محمد وخلفاؤه، مرجع سابق، ص: ٢٨١.

(٥) سبق ترجمته .

(٦) شمس العرب تسطع على الغرب، مرجع سابق، ص: ٤٧٠.

(٧) حياة محمد، مرجع سابق، ص: ٦٩.

ويصف بودلي أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – بالعفة فيقول: «فقد بقي حتى السابعة والعشرين – محمد ﷺ – عفيفًا كعائشة»[(١)].

وعن رفيع خلق أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها – وما تحلت به من الحلم والأناة يتحدث بودلي فيقول: «ولما كانت حذرة فإنها تمهلت ولم تسارع بدفع أموالها وقوافلها إلى من قد يختفي بها في سورية أو مصر دون عودة»[(٢)].

وقال في موضع آخر: «وما كانت خديجة بالمندفعة في هذه الفرصة السانحة»[(٣)].

ويقول في رقّة ولين أم سلمة: «ولن تعدم من كانت في مثل رقة أم سلمة من يتقدم لطلبها»[(٤)].

ويواصل المستشرقون في عرض خصال أمهات المؤمنين وكريم أخلاقهن إذ يتحدث المستشرق آتين دينيه عن ذكاء أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – فيقول: «لقد بلغت عائشة حدًا من الظرف والذكاء والثقافة لا يكاد يضارع، ولم يكن الرسول إذا ذاك قد دخل بها»[(٥)].

ويردف بودلي قائلًا: «وكانت – عائشة – حادة الذكاء جدًا ومرحة»[(٦)].

وتقول المستشرقة أمسترونج كارين في حنكة وذكاء أم المؤمنين أم سلمة – رضي الله عنها – «كانت هند أو أم سلمة محنكة فائقة الذكاء، وكانت كفيلة بتوفير الصحبة التي فقدها النبي ﷺ»[(٧)].

---

(١) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ١٧٥.

(٢) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٥٦.

(٣) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٦٢.

(٤) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٢٣٧.

(٥) محمد رسول الله، مرجع سابق، ص: ١٥٤.

(٦) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٢٠٩.

(٧) محمد نبي لزماننا، مرجع سابق، ص: ١٣٩.

ويضيف بودلي: «وكانت صفية ماهرة كما كانت جميلة، فعالجت الأمر في حذق وحزم»[(١)] ولعله يقصد ما ظهر من خُلق أم المؤمنين صفية - رضي الله عنها - حين دخلت بيت النبوة، فقد كانت تحاول أن تأخذ طريقًا وسطًا بين الضرائر في بيت النبي ﷺ، حيث تقربت من حزب عائشة وحفصة من جانب، ومن الحزب الآخر الذي تقوده أم سلمة وزينب والزهراء من جانب آخر»[(٢)].

وفي حكمة أم المؤمنين زينب بنت جحش - رضي الله عنها - يقول المستشرق سفاري: «وكانت تضم إلى الجمال نعمة الحكمة والذكاء»[(٣)].

ويعترف المستشرقون بأن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - كانت تمتلك علمًا وافرًا إذا وصفوها بذلك فقالوا: «وكانت عائشة على بصر بالشعر وقدرة على روايته، كما عرفت بالفصاحة والدراية الواسعة بتاريخ العرب، وغير ذلك من الموضوعات»[(٤)].

وتثني المستشرقة أمسترونج كارين على علم أم المؤمنين حفصة - رضي الله عنها - فتقول: «كانت حفصة - رضي الله عنها - تقرأ وتكتب أريبة»[(٥)].

ولا ريب أن تتمثل أمهات المؤمنين بهذه الصفات الحميدة، إذا اختارهن الله لصحبة نبيه ورسوله محمد ﷺ، ونقل علمه وأخلاقه وسائر سلوكه لأمته، وفضلهن على نساء الأمة يقول الله تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢ ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

الثاني: موقف يحمل النظرة السلبية.

---

(١) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٣٢٨.

(٢) أمهات المؤمنين في مدرسة النبوة، مصطفى الطحان، ص: ٦٧، (١٤٢٦هـ).

(٣) السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون، مرجع سابق، ص: ١٤٤.

(٤) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ٧٠٤٠.

(٥) محمد نبي لزماننا، مرجع سابق، ص: ١٢٩.

ويتضح في هذا الموقف رأي جمع من المستشرقين في صفات وأخلاق أمهات المؤمنين من خلال كتاباتهم، فقد حاولوا أن ينسبوا بعض الصفات الخُلقية التي لا تليق بأمهات المؤمنين، وأن يظهروا مواقف الغيرة والغضب بينهن، وذلك بقصد الإساءة والتشويه في سيرة النبي ﷺ وأزواجه.

فمن الصفات الخُلقية التي وصف بها المستشرقون أمهات المؤمنين وتحمل هذا الموقف:

– **الأمية**: إذا قالوا: «ولم تعرف حفصة القراءة والكتابة، بينما كانت بعض زوجات النبي – عليه السلام – يقرأن ولا يكتبن وبعضهن أميات كل الأمية»[١].

وهذا وصف باطل ومنكر إذا نفى المستشرقون عن أم المؤمنين حفصة – رضي الله عنها – صفة القراءة والكتابة، والصواب أن حفصة – رضي الله عنها – كانت من قلة النساء اللاتي تعلمن الكتابة وقتئذ، وتعلمتها من الصحابية الشفاء بنت عبد الله، فقد ورد في مسند أحمد عن الشفاء بنت عبد الله[٢] قالت: دخل علينا النبي ﷺ وأنا عند حفصة فقال لي: «ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتيها الكتابة؟»[٣].

وورد أيضًا في كتاب فتوح البلدان للبلاذري وهو أحد مصادر المستشرقين في الكتابة عن الإسلام: «أن أم المؤمنين حفصة – رضي الله عنها – تعلمت الكتابة وكانت في أوائل من تعلم الخط، أما أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – فقد كانت تقرأ في المصحف ولا تكتب كما كانت أم سلمة أيضًا فقد كانت تقرأ ولا تكتب»[٤].

---

(١) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ٤٠٨٠.

(٢) الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس أسلمت قبل الهجرة قديما وبايعت النبي ﷺ – وتزوجها أبو حثمة بن حذيفة بن غانم فولدت له سليمان بن أبي حثمة انظر: الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع، ط١، ٨/ ٢١٠، (دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ).

(٣) سنن أبي داود في سننه، ح ٣٨٨٧، كتاب الطب، باب في الرقى، ٤ / ١٣، وقال الشيخ الألباني: صحيح انظر: حديث رقم: ٢٦٥٠ في صحيح الجامع.

(٤) انظر: فتوح البلدان، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري، ١/ ٤٥٤، (دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨م)، التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، محمد طاهر الكردي المكي، ط١، ١/ ١٥، (مكتبة النهضة الحديثة بمكة =⇦

«ويظهر أن الفترة الحقيقية لتعلم أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – ونشأتها التربوية بعد بناء الرسول ﷺ بها، حيث إنها تعلمت في هذه الفترة القراءة والكتابة، وكانت تقرأ القرآن الكريم بالنظر، وفي رواية أنها لم تكن تعرف الكتابة، وورد في الأحاديث أن مولاها ذكوان هو الذي كان يكتب لها المصحف، وهذا يدل على عدم معرفتها بالكتابة، لكن ورد في بعض الروايات أنها كانت ترد على بعض الرسائل التي ترد إليها، ويمكن أن الرواة عبروا بالكتابة والمقصود: أنها أمرت غيرها بالكتابة، كما هو المعتاد في مثل هذه المناسبات.

وعلى كلّ فإن القراءة والكتابة من قبيل التعليم الظاهري، ولا شك أن مكانة التعليم الحقيقي ودرجته أعلى وأرفع منه بكثير، وكمال الإنسانية، وتزكية الأخلاق، والاطلاع على مبادئ الدين، ومعرفة أسرار الشريعة والتعمق في حكمها ومصالحها، وعلم كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، كل هذا من التعليم الحقيقي الذي يطلب من الإنسان أن يبرع فيه ويبذل قصارى جهوده في نيله وابتغائه»(١).

أما بقية أمهات المؤمنين فلم أقف في كتب السيرة النبوية، على علمهن بالقراءة والكتابة من عدمها، وهذا النوع من التعليم لا يعتد به في تلك الأزمنة فقد كانت الأمية هي السائدة، وكان الكُتاب قلة في أوساط الرجال فضلًا عن النساء، بل إن النبي ﷺ كان أميًا لا يقرأ ولا يكتب حيث وصفه القرآن بذلك قال تعالى ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: ١٥٨].

فالأمية ليست مطعنًا يعاب ولا مثلبًا يقلل الشأن، فقد بلغت أمهات المؤمنين الكمال في حسن الأخلاق وجميل الصفات وأصبحن مثالًا يحتذى.

=

المكرمة، ودار خضر للطباعة، بيروت، ١٤٢٠هـ)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، ط٤، ١٥/ ٢٧٣، (دار الساقي، ١٤٢٢هـ).

(١) سيرة السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، السيد سليمان الندوي الحسيني، عربه وحققه وخرج أحاديثه محمد رحمة الله حافظ الندوي، ط١، ص: ٦٠، (دار القلم، ١٤٢٤ هـ).

- **الغلظة والحدّة والأنانية:** حاول بعض المستشرقين التقليل من شأن صفات أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - والطعن في خُلقها، حيث كتبت المستشرقة أمسترونج في صفاتها الخُلقية فقالت: «وكان لعائشة لسان فصيح حاد، ولم تكن بأي شكل من الأشكال زوجة خاضعة مستكينة، ولكنها تحب أن تدلل محمد ﷺ، تبلل شعرها بالعطر الذي يحبه وتشرب من القدح نفسه الذي يشرب منه»(١).

وتضيف بقولها: «وكانت مفعمة بالحيوية والنشاط، فخورة بوضعها، غيورة ومفوهة وليست كاملة من حب الذات، وبلا شك فقد صنعت عداوات كثيرة»(٢).

والمقصود من هذا الوصف القدح في خُلق أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -، كما أن من الملاحظ على كتابة المستشرقة أمسترونج كارين محاولة الدس والافتراء المتعمد على أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - حيث وصفتها بصفات ممزوجة بين الصفات الحسنة والسيئة.

وأضاف بودلي في وصف أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - فقال: «ولقد كونت شخصيتها منذ اليوم الأول الذي دخلت فيه دور النبي اللاحقة بالمسجد وراحت تديرها، فعاملت سودة العجوز كما تعامل خادمًا مكلفة بالقيام بجميع الأعمال، ولما جاءت نساء أخريات إلى دور النبي كانت عائشة هي النافذة في جميع الأعمال المنزلية، ولما هجر النبي نساءه لم تخفف من غلوائها فقد كانت تعلم أنه سيعود إليها دومًا، ولقد فعلت أشياء في دور النبي تخالف مبادئ الإسلام جميعًا، وكان أبوها ينكر ما تفعله إنكارًا شديدًا وقد أثارت بعد موت النبي فتنة بين المسلمين عجز عن إثارة مثلها أي قرشي مكي، فقد كانت ذات طبيعة نارية عنيدة أنانية لا تحمل مسئولية»(٣).

---

(١) محمد نبي لزماننا، مرجع سابق، ص: ١٢٩.

(٢) محمد نبي لزماننا، مرجع سابق، ص: ١٥٦.

(٣) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ١٧٥.

وقال أيضًا: «وكانت عائشة تفعل ما يحلو لها في دور النبي، ففي مرة من المرات فسخت زيجة من زيجات محمد قبل أن يدخل بها»[١].

والمستشرق بودلي في قوله هذا يعمل على إسقاط التهم على خُلق أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – وكلامه هنا عار من الصحة، بل هو من البهتان العظيم الذي اختلقه؛ لأن خُلق وصفات أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – معلومة ومدونة في كتب الحديث والسيرة، إذ لم يرد فيها ما وصف به المستشرق بودلي عائشة – رضي الله عنها – .

ووصفة لأم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– بهذه الصفات يناقض ماتقدم حيث وصفها بالعفة ،ثم وصفها مرة أخرى بالخيانة كما سيأتي في حديث الإفك ، وهذا دليل على تذبذب كتاباته وتناقض أقوله ويرجع ذلك إلى عدم حذق المستشرقون باللغة العربية ، وفقههم في السيرة النبوية وعدم رجوعهم إلى المصادر الأصلية ، ومن ثم غايتهم التي يريدون الوصول إليها وهي تحريف السيرة وتشوية قدوات المسلمين .

ويتحدث المستشرق إميل درمنغم في كتابه حياة محمد عن أخلاق عائشة فيقول: «وكانت الفتاة المدللة الظريفة عائشة، محبة للنفائس والمال، فتاجرت بعد زمن الرقيق، وكانت طموحًا فكادت تهدم الإسلام بمغامراتها، وكانت متحكمة قاسية، فأدت إلى قطع يد رقيق سرق ربع دينار، وكانت عائشة أنيقة لبقة فاتنة»[٢].

ويستدل بهذا الموقف فيقول: «وأبدت عائشة ذات مرة نحو زوجها النبي من مجاوزة الحد ما لطمها معه أبو بكر فقال له النبي: «مهلًا يا أبا بكر، إن الغيرة لا تبصر أسفل الوادي من أعلاه»[٣].

---

(١) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٣١٨.

(٢) حياة محمد، مرجع سابق، ص: ٣٢١.

(٣) حياة محمد، مرجع سابق، ص: ٣٢٢.

ويضيف في موضع أخر «وكانت عائشة بنت أبي بكر تخرج ظافرة من اللجاج بين أمهات المؤمنين على الدوام كما روى المحدثون»[١].

وفي وصف المستشرق إميل درمنغم لخُلق أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – نجد أنه يسلط الضوء على صفات الغلظة والقسوة ويتهمها بذلك، كما أنه من خلال هذا الوصف دمج خصال حميدة في حديثه مما يوهم القارئ بصحة الحديث، واستدل بحديث أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – واستنتج منه ما أكد به فكرته حول خلق أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها –، وهذا لا يمكن أن يكون دليلًا على خلق عائشة بل إن هذا الموقف يمكن أن يستدل به على غيرة أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – إذا صح هذا الحديث.

أورد ابن حجر[٢] – رحمه الله – في فتح الباري باب الغيرة عن أبي يعلى بسند لا بأس به عن عائشة – رضي الله عنها — مرفوعًا: «إن الغيراء لا تبصر أسفل الوادي من أعلاه»[٣].

وعن ابن مسعود رفعه: «إن الله كتب الغيرة على النساء فمن صبر منهن كان لها أجر شهيد»[٤].

وهذه أحاديث ضعيفة لا يعتد بها ولكن قد يؤخذ منها تأثير الغيرة على خُلق المرأة حيث أن جميع من شرح هذا الحديث قال: فيه إشارة إلى عدم مؤاخذة الغيراء بما يصدر منها لأنها في تلك الحالة يكون عقلها محجوبًا بشدة الغضب الذي أثارته الغيرة[٥].

---

(١) حياة محمد، مرجع سابق، ص: ٣٢٥.

(٢) ابن حجر العسقلاني (ولد ٧٧٣ – توفي ٨٥٢ هـ = ١٣٧٢ – ١٤٤٩ م) أحمد بن علي بن محمد من أئمة العلم والتاريخ. ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث، له تصانيف كثيرة جليلة، منها الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة أربعة مجلدات، ولسان الميزان ستة أجزاء، تراجم. انظر: الأعلام، مرجع سابق، ١/ ١٧٨.

(٣) مسند أبي يعلى ح ٤٦٧٠ ، ٨/ ١٢٩، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ٦/ ٥٥٤ رقم الحديث ٢٩٨٥: ضعيف.

(٤) المعجم الكبير الطبراني ،٣ / ٦١ / ٢، قال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ٢/ ٢٢٠: منكر.

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، ٩/ ٣٢٥، ١٣٧٩م، (دار المعرفة، بيروت).

– **التشكيك في صدق التقوى**: شكك المستشرقون في تقوى أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – فقالوا: «وقد وصفت في هذه الأزمنة المتأخرة بأنها كانت مثالًا للتقوى، ولكن ليس من اليسير أن نتبين السند في هذا القول»[١].

والمستشرقون متناقضون متذبذبون في عرض صفات أمهات المؤمنين –رضي الله عنهن – فقد تقدم في دائرة المعارف ثناء المستشرقون على أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– في الصدقة والإنفاق في سبيل الله .

لكن غرضهم من هذا الوصف القدح في تقوى أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – وهذا قول في منتهى الجهل إذ إن تقوى أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – ثابت في كتب السنة والسيرة النبوية بأسانيد صحيحة، بل إن منصفي المستشرقين يشهدون بذلك كما تقدم في وصف المستشرق إيرفنج وما ورد في ذكر صفات أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – في دائرة المعارف في القرن العشرين، والحقيقة التي ذكرها جميع من أرخوا لأم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – أو تعرضوا لحياتها واستقامتها ذكروا بأن عائشة – رضي الله عنها –كانت معروفة مشهورة بالتقوى لا في الأزمنة المتأخرة بل من أول حياتها وكان حديث صلاحها وتقواها وعبادتها يملأ أرجاء المدينة ويسير في جميع البلاد الإسلامية منذ زواجها بالنبي ﷺ حتى أتاها اليقين.

ومما ورد في تقواها وصدقتها بسند صحيح ما جاء في الصحيحين عن أم عطية قالت: «بعث إلي رسول الله ﷺ بشاة من الصدقة فبعثت إلى عائشة منها بشيء، فلما جاء رسول الله ﷺ إلى عائشة قال: هل عندكم شيء قالت: لا، إلا أن نسيبة بعثت إلينا من الشاة التي بعثتم بها إليها. قال: إنها قد بلغت محلها»[٢].

– **اللهو**: يبدع المستشرق بودلي في وصف خُلق أمهات المؤمنين، ووصف أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – على وجه الخصوص إذ يقول: «وما كان محمد فظًا مع النساء على

---

(١) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ٧٠٤٠.

(٢) صحيح البخاري ح ٢٥٧٩ ، باب قبول الهدية ٣/ ١٥٦، صحيح مسلم، ح ١٠٧٦، باب إباحة الهدية للنبي ﷺ ٢/ ٧٥٦.

الرغم من أنهن أضجرنه كثيرًا، لأنه على الرغم من غيرة نسائه، وعلى الرغم من لهو عائشة، ومشاكل الفتيات الأخريات فإن محمد قد تمتع بالنساء من جميع الوجوه»[١].

يرى المستشرق بودلي أن أمهات المؤمنين قد أحزن النبي ﷺ بالمشاكل والغيرة بينهن، ومع ذلك كان حسن المعشر مع أزواجه، ثم خص لهو عائشة – رضي الله عنها – ووصفها باللهو وهذا كله من خيال المستشرق وأوهامه، وذلك من أجل تشويه خلق أمهات المؤمنين، لا ننكر أن أمهات المؤمنين وقع بينهن من الغيرة ما يقع بين الضرائر لكن لم يكن هذا مقصود بودلي، حيث كان مقصده من وراء هذا الطعن في أخلاق أمهات المؤمنين واللمز بهذا الأسلوب الساخر.

وتصف المستشرقة أمسترونج كارين أم المؤمنين عائشة وحفصة – رضي الله عنهن – بالحيلة والخداع فتقول: «وكانتا تتمتعان – عائشة وحفصة رضي الله عنهما– بنسج حيل البنات، وبصفة خاصة على سودة ذات الخيال المحدود والفهم المتأني»[٢].

وهذا وصف باطل إذ لم يرد في كتب السنة والسير والتاريخ هذا الوصف.

– **البلادة والغباء**: كتب المستشرقون عن خُلق أم المؤمنين حفصة – رضي الله عنها – بأسلوب الانتقاص والازدراء فقالوا: «شخصية حفصة لم تكن لحفصة شخصية بارزة ذلك أنها لم تتصف بما اتصفت به عائشة من نشاط وذكاء وجاذبية، ولا اتصفت بالحصافة والرصانة والنجدة مثل أم سلمة، ولم تظهر شخصيتها ظهورًا بينًا من خلال الروايات التي تحدثت عنها بالرغم من أن بعض الأحاديث تؤكد أنها أشبهت أباها، ومن العسير أن نجد أي وجه للتشابه بينهما وربما تشير الأحاديث إلى السهولة التي تستسلم بها إلى عاطفتها أو إلى قدرتها على السير في حياتها على طريقتها الخاصة، ولم تكن أوسم النساء وأكثرهن خضوعًا، وحين هدد رسول الله ﷺ بتطليق زوجاته كلهن قال عمر: لحفصة لا تلحفي في سؤالك ولا تراجعي رسول الله ﷺ ولا

---

(١) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٢٧٤.

(٢) محمد نبي لزماننا، مرجع سابق، ص: ١٢٩.

تسأليه شيئًا وسليني ما بدالك ولا يغرنك إن كانت جارتك هي أوسم وأحب إلى رسول الله ﷺ منك يريد عائشة»[١].

ويتبع بودلي في وصف أم المؤمنين حفصة – رضي الله عنها – فيقول: «وفكر عمر في أن عثمان قد يجد في حفصة عزاء، ولكن عثمان ما كان يظن ذلك فقد سمع بطبعها المستقل وخلقها الحاد فرفض عرض عمر في أدب، فذهب عمر إلى أبي بكر بنفس العرض فرفض الشرف لنفس السبب الذي رفضه عثمان «فتملك عمر الغضب وكان سريع الغضب كابنته»[٢] وفي موضع آخر «كما كانت ذات مزاج حاد»[٣].

ويقول آتين دينيه: «رغبت حفصة بنت عمر وأرملة خنيس في الزواج فلم يتقدم أحد لخطبتها إذ رأى الناس أنفتها وكبرياءها»[٤]

أراد المستشرقون من خلال هذه النصوص أن يصوروا خُلق أم المؤمنين حفصة – رضي الله عنها – بصورة سيئة فوصفوها بصفات لم تتصف بها بل كانت – رضي الله عنها – على نقيض هذه الصفات، فقد كانت أم المؤمنين حفصة – رضي الله عنها – ذات شخصية فذة عظيمة، وكانت من أوائل المتميزات في القراءة والكتابة كما تقدم، روت عن النبي ﷺ، وعن أبيها عمر[٥].

وكانت هي من تسامي عائشة، قالت عائشة – رضي الله عنها –: «وهي التي كانت تساميني من أزواجه»[٦].

---

(١) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ٤٠٨٠.

(٢) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٢٠٩.

(٣) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٢٠٩.

(٤) محمد رسول الله، مرجع سابق، ص: ٢١٦.

(٥) التكميل في الجرح والتعديل ومعرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، ط١، ٤/ ٢٢٧، (مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، اليمن، ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م).

(٦) الوافي بالوفيات، خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ١٣/ ٦٦، (دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ).

ومما يدل على ذكائها وفطنتها سؤالها للنبي ﷺ في حجة الوداع فقد ورد عن عبد الله بن عمر عن حفصة أم المؤمنين: أن النبي ﷺ أمر أزواجه أن يحللن عام حجة الوداع. قالت حفصة: فقلت: ما يمنعك أن تحل؟ قال: «إني لبّدت رأسي، وقلّدت هديي، فلا أحل حتى أنحر هديي»[١].وفي حفظ نسخة المصحف عندها أكبر دليل على حصافة أم المؤمنين حفصة – رضي الله عنها – إذ لم يحفظ عند سواها.

أما في قولهم لم تكن أوسم النساء فهذا حق، ولكن لا إشكال في هذا فإن الوسامة والجمال أمر إلهي ليس للبشر اختيار فيه، حيث إن الجمال ليس هو مقياس الصفات والأخلاق.

فقد ورد في السنة أن عمر بن الخطاب ﵁ قال: كنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا على الأنصار إذا هم قوم تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار، فصحت على امرأتي فراجعتني فأنكرت أن تراجعني، فقالت: ولم تنكر أن أراجعك فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه وإن إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل. فأفزعني فقلت: خابت من فعل منهن بعظيم، ثم جمعت عليّ ثيابي فدخلت على حفصة، فقلت: – أي حفصة – أتغاضب إحداكن رسول الله ﷺ اليوم حتى الليل؟ فقالت: نعم، فقلت: خابت وخسرت، أفتأمنين أن يغضب الله لغضب رسوله ﷺ فتهلكين، لا تستكثري على رسول الله ﷺ ولا تراجعيه في شيء ولا تهجريه، واسأليني ما بدا لك، ولا يغرنك أن كانت جارتك هي أوضأ منك وأحبّ إلى رسول الله ﷺ – يريد عائشة –»[٢].

وقول بودلي أن رفض أبي بكر وعثمان – رضي الله عنهما – الزواج بحفصة – رضي الله عنها – كان من أجل خُلقها الحاد وطبعها المستقل فهذا باطل، إذ لم يرد في كتب السنة والسيرة النبوية هذا السبب، وإنما كان بسبب أن النبي ﷺ ذكرها فقد ورد في السنة عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – يحدث «أن عمر بن الخطاب ﵁ حين تأيّمت حفصة بنت عمر

---

(١) صحيح البخاري، ١٥٦٦، كتاب الحج، باب التمتع والإقران والإفراد، ٢ / ١٤٣، صحيح مسلم، ح ١٢٢٩، كتاب الحج، باب بيان أن القارن لا يتحلل إلا في وقت تحلل الحاج المفرد، ٢/ ٩٠٢.

(٢) صحيح البخاري، ح ٢٤٦٨، كتاب المظالم والغصب، باب الغرفة المشرفة والعلية في السطوح ٢/ ٨٧١.

من خنيس بن حذافة السهمي، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ فتوفي بالمدينة – فقال عمر بن الخطاب: أتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة فقال: سأنظر في أمري، فلبثت ليالي ثم لقيني فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا. قال عمر: فلقيت أبا بكر الصديق فقلت: إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر. فصمت أبو بكر ﷺ فلم يرجع إلي شيئًا وكنت أوجد عليه مني على عثمان، فلبثت ليالي ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه، فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدت عليّ حين عرضت عليّ حفصة فلم أرجع إليك شيئًا. قال عمر: قلت: نعم. قال أبو بكر: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت عليّ إلا أني كنت علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها، فلم أكن لأفشي سرّ رسول الله ﷺ، ولو تركها رسول الله ﷺ قبلتها[١].

وذكر أصحاب السيرة النبوية نحو هذا فقد ورد «أن عثمان ﷺ حينما توفيت رقية – رحمها الله – عرض عليه عمر بن الخطاب حفصة ابنته ليتزوجها، فسكت عثمان ﷺ لأنه قد كان سمع رسول الله ﷺ يذكرها، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال: ألا أدلّ عثمان على من هو خير له منها؟ وأدلّها على من هو خير لها من عثمان؟ فتزوج رسول الله ﷺ حفصة وزوّج عثمان أم كلثوم»[٢].

– **الكذب**: من أبشع أوصاف المستشرقين ما اتهموا به أم المؤمنين زينب بنت جحش – رضي الله عنها – في شأن طلاقها من زيد بن حارثه وزواجها بالنبي ﷺ حيث يقول المستشرق بودلي في روايته: «رأت زينب نظرة محمد في عينها وقد سمعت ما قال، ولاحظت كيف نطق بما قال، فقدّرت ما سيقود إليه هذا القول، فلما عاد زوجها إلى البيت أنبأته بما حدث فما تركت تفصيلًا، وأضافت تفاصيل قليلة من عندها، وإن أول شيء يفكر فيه زيد بعد أن انتهت من سرد القصة سيده الحبيب محمد»[٣].

---

(١) صحيح البخاري، ح ٥١٢٢، كتاب النكاح، باب عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير، ٧/ ١٨.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبد الله النمري القرطبي، تحقيق علي محمد البجاوي، ط١، ٤/ ١٩٥٢، (دار الجيل، بيروت، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م).

(٣) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٢٤٠.

ويقول إميل درمنغم: «فلما انقضت عدة زينب الحسناء أخبرت محمدًا بذلك وأرسلت إليه من يقول له: إن زيد طلّقني من أجلك»(١).

ويدلي مونتجمري بدلوه فيقول: «كانت امرأة طموحة وكانت على أمل للزواج من محمد نفسه»(٢).

وهذا اتهام باطل إذ إن أم المؤمنين زينب - رضي الله عنها - كانت امرأة صالحة تقية، فكيف يمكن أن تروي شيئًا لم يكن، على افتراض صحة هذه الرواية وقد تقدم بيان هذه الفرية في الفصل الأول، وأما قول المستشرق إميل درمنغم (أنها أخبرت النبي ﷺ بطلاقها) وقول مونتجمري (كانت على أمل الزواج بمحمد) فهذا من البهتان العظيم.

إذ نزل القرآن بصريح العبارة أن النبي ﷺ كان يعلم أنه سيطلقها زيد ومن ثم تكون زوجة لرسول الله بوحي من عند الله، فقد روى البخاري عن أنس بن مالك قال: إن هذه الآية: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [الأحزاب: ٣٧] نزلت في شأن زينب بنت جحش، وزيد بن حارثة، رضي الله عنهما(٣).

وعن ابن أبي حاتم قال: حدثنا ابن عيينه، عن علي بن زيد بن جدعان قال: سألني علي بن الحسين ما يقول الحسن في قوله: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴿٣٧﴾﴾ [الأحزاب: ٣٧]؟ فذكرت له فقال: لا ولكن الله أعلم نبيه أنها ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها، فلما أتاه زيد ليشكوها إليه قال: اتق الله، وأمسك عليك زوجك. فقال: قد أخبرتك أني مزوّجكها، وتخفي في نفسك ما الله مبديه(٤).

---

(١) حياة محمد، مرجع سابق، ص: ٣٠٤.

(٢) محمد النبي ورجل الدولة، مرجع سابق، ص: ٢٠٢.

(٣) صحيح البخاري، ح ٤٧٨٧، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه، ١/ ٢٤٤٧.

(٤) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق سامي بن محمد سلامة، ط٢، ٦/ ٤٢٥، (دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م).

وأخرج ابن سعد في «الطبقات»: عن محمد بن يحيى بن حبان قال: «بينما رسول الله ﷺ جالس يتحدث مع عائشة، حتى أخذت رسول الله غشية فسري عنه وهو يتبسم ويقول: «من يذهب إلى زينب يبشرها أن الله قد زوجنيها من السماء»؟ وتلا رسول الله: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ﴾ [الأحزاب: ٣٧](١).

فلم يكن طلاق زينب بنت جحش خفيًا على النبي ﷺ، ولم يكن عليه الصلاة والسلام يكتم شيئًا من الوحي فعن أنس ﷺ قال: «جاء زيد بن حارثة يشكو فجعل النبي ﷺ يقول (اتق الله وأمسك عليك زوجك).قال أنس: لو كان رسول الله ﷺ كاتمًا شيئًا لكتم هذه قال: فكانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول: زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات»(٢).

– **الغيرة**: اهتم المستشرقون بمواقف الغيرة والغضب واستدلوا بها على خُلق أمهات المؤمنين، وضمّنوها شيئًا من القدح والتشنيع، حيث يؤول المستشرق بودلي: غيرة أم المؤمنين عائشة وحفصة – رضي الله عنهن – بالاعتراض على زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش فيقول: «وكانت الشابتان قد نفتا أن للغيرة أي دخل في هذا فراحتا تذيعان فيما حولهما أن هذا الرباط رباط فسق، فإن زيدًا ابن محمد وإن هذا الزواج من زوجته لينافى جميع الشرائع في العالم وإنها لفضيحة، وإن شيئًا هكذا لا يمكن أن يحتمل... ... ... فلما رفعت عائشة وحفصة صوتيهما بالاحتجاج، احتج المجتمعون في المسجد للصلاة فأصبح محمد في مأزق، ولكن الوحي جاءه سريعًا... ... ... واغتاظت الشابتان وقالت عائشة لزوجها: ما أرى ربك إلا يسارع في هواك»(٣).

وتقول المستشرقة أمسترونج كارين: «كان محمد ﷺ لدى عائشة عندما جاءه الوحي بذلك فقالت عائشة الجانحة للغيرة دائمًا بأسلوب لاذع: «ما أسرع ربك في تلبية هواك».

(١) الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ٨/ ٨١.

(٢) صحيح البخاري، ح ٦٩٨٤، كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء، ٦/ ٢٦٩٩.

(٣) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٢٤٠، ٢٤١.

«وسألته عائشة بحده كيف وجدت صاحبتك الجديدة»(١).

وتبع غيرة عائشة توتر باقي أمهات المؤمنين من هذا الزواج «وكالعادة انعكس التوتر بين نساء النبي ﷺ على المجتمع كله»(٢).

وفي هذا التأويل افتراء محض على أمهات المؤمنين، إذ لا يمكن الاحتجاج على فعل النبي ﷺ لأنه معصوم من الخطأ، وله من الخصائص والأحكام ما يميزه عن سائر أمته، وأيضًا لم نجد في كتب السيرة ما يشير إلى هذا الاحتجاج.

أما قول بودلي وأمسترونج: «فقالت عائشة ما أسرع ربك في تلبية هواك» فقد ورد في صحيح البخاري أن خولة بنت حكيم من اللائي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ فقالت عائشة: أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل فلما نزلت ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ ﴿٥١﴾﴾ [الأحزاب: ٥١]. قلت: يا رسول الله ما أرى ربك إلا يسارع في هواك(٣).

وقول المستشرقة أمسترونج: «سألته عائشة بحده كيف وجدت صاحبتك الجديدة» باطل لأن فيه اتهام لأم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – بصفة الغلظة والشدة ولم تكن كذلك، ولمخالفته لما ورد في كتب السنة والسيرة فقد أورد البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه قال: «بُني على النبي ﷺ بزينب بنت جحش بخبز ولحم، فأُرسلت على الطعام داعيًا فيجيء قوم فيأكلون ويخرجون ثم يجيء قوم فيأكلون ويخرجون، فدعوت حتى ما أجد أحدًا أدعو، فقلت: يا نبي الله ما أجد أحدًا أدعوه. قال: ارفعوا طعامكم، وبقي ثلاثة رهط يتحدثون في البيت، فخرج النبي ﷺ فانطلق إلى حجرة عائشة فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله. فقالت: وعليك السلام ورحمة الله كيف وجدت أهلك بارك الله لك. فتحرى حجر نسائه كلهن يقول لهن كما يقول لعائشة، ويقلن له كما قالت عائشة»(٤).

---

(١) محمد نبي لزماننا، مرجع سابق، ص: ١٥٤.

(٢) محمد نبي لزماننا، مرجع سابق، ص: ١٥٤.

(٣) صحيح البخاري، ح ٤٨٢٣، كتاب النكاح، باب هل للمرأة أن تهب نفسها لأحد، ٥/ ١٩٦٦.

(٤) صحيح البخاري، ح ٤٧٩٣، كتاب الجمعة، باب من انتظر حتى تدفن، ٦/ ١١٩، وانظر: جامع البيان، محمد بن جرير أبو جعفر الطبري، تحقيق شاكر، ٢٠/ ٣١٠، (مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م).

ويسترسل المستشرقون في كتابة مواقف الغيرة بين أمهات المؤمنين بأسلوب سافر حيث كتب بودلي في غيرة أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن – من زواج النبي ﷺ بأم سلمة: «وكان لهذا الزواج رد فعل سيء في نفس عائشة وحفصة واستقبلتا الزوجة الجديدة بما هو واجب المجاملة، ولكنهما أظهرتا أنه كان من الأسعد لو أنهما بقيتا بدونهما. وقد أسرّت عائشة لحفصة بأنها قد أحسّت بجرح في نفسها، فقد سمعت بحسن أم سلمة ولكنها وجدتها أجمل مما يقوله الناس، وقد طيّبت حفصة خاطر صديقتها بأن قالت: وإن كان جمال أم سلمة واضحًا فإن كبرها واضح أيضًا، وإن الجمال ليذبل سريعًا في هذه السن ونصحت عائشة أن تبقي غيرتها لمن هو يستحقها»(١).

وتقول أمسترونج: «ظهر الشقاق الداخلي بمجرد دخول أم سلمة، المرأة المتميزة بيت النبوة، استاءت عائشة بشدة ونما الصدع بين نساء النبي ﷺ والذي انعكس على الأمة. مثلت أم سلمة الطبقة العليا من المهاجرين بينما كانت كل من عائشة وحفصة أقرب للطبقة الشعبية، واتخذت كل زوجة للنبي أحد الجانبين المتنافسين، وعادة ما اعتمدت أم سلمة على دعم أهل البيت، كان ذلك الانشقاق في بدايته عند زواج أم سلمة بالنبي ﷺ؛ ولكن سرعان ما ظهر أن الأمة واحدة، وأن الناس دخلوا الإسلام وتوقعوا منه ثمارًا مختلفة. سرعان ما أصبحت أم سلمة المتحدث باسم المدينة»(٢).

وتفسر غيرة أمهات المؤمنين بصفة الانفعال والأنانية فتقول: «كانت كل من عائشة وحفصة مازالت صغيرة، وفي بعض الأحيان سريعة الانفعال وأنانية لحد ما، بينما كانت أم سلمة مختلفة تمامًا»(٣).

ويتبع بودلي وفي وصف غيرة أمهات المؤمنين من تسري النبي ﷺ بمارية القبطية فيقول: «ولم يتزوج محمد من مارية، ولم يضمها إلى دوره كمحظية لسبب من الأسباب، هو أن وفودها سبب استياء عظيمًا فإن نساء النبي من عائشة إلى زينب غضبن، فكوّنّ جبهة متينة، وأصبح

---

(١) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٢٣٧، ص: ٢٣٨.

(٢) محمد نبي لزماننا، مرجع سابق، ص: ١٤٠.

(٣) محمد نبي لزماننا، مرجع سابق، ص: ١٤١.

نساء النبي جميعًا ضد مارية فأصبحت حياتها لا تطاق، فنقلها محمد إلى العالية في المدينة، ولم يرض هذا نساء محمد أيضًا واستمرت نساء النبي في بغض مارية ولم تكن مارية السبب الحقيقي في هذه الأزمة، ولكنها وصلت إلى دور النبي في اللحظة التي بلغت فيها غيرة نساء النبي درجة الغليان»[١].

ويقول في حادثة اعتزال النبي ﷺ نساءه «وكان يبدو أنه ليس هناك من شيء ليهدئ من انفعالهن فقد كن كعصابة مخبولات فأقسم ليعتزلهن شهرًا»[٢].

ويتحدث المستشرق آتين دينيه عن غيرة أم المؤمنين حفصة – رضي الله عنها – فيقول: «وبات محمد مع مارية ليلة كانت لحفصة بنت عمر فغضبت حفصة وراجعته أشد المراجعة حتى وعدها ألا يقرب مارية بعد ذلك أبدًا على أن تكتم حفصة له السر، فأبت غطرسة حفصة إلا أن تفشي الأمر وأن تفضي بالقصة إلى عائشة التي غضبت بدورها غضبًا شديدًا، وأثارت غيظ الزوجات الأخر وحقدهن على مارية، وأضحى البيت يضج بالمشاجرات والمراجعة، حتى ضاق الرسول بهذا فكف عن مجاملة نسائه، وأبى أن يكون لهن عليه الأمر فطلق حفصة بعد أن لامها على فعلها أشد اللوم ثم أخذ على نفسه أن لا يقرب زوجاته شهرًا. وتمادت النساء بعض الشيء في المراجعة فيما بينهن كل واحدة تتهم الأخريات بأنهن كنّ السبب في هجر الرسول لبيته ثم تعاهدن جميعًا على أن لا يعدن بعد ذلك إلى مضايقة النبي ﷺ.»[٣].

وبالاطلاع على سيرة أمهات المؤمنين نجد أن لهذه المواقف أصلٌ في كتب التفاسير والسنة والسيرة النبوية لكنها لم ترد بهذا السياق، فقد ورد في شأن غيرة أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن – مواقف عديدة منها:

---

(١) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٣١٦.

(٢) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٣١٩.

(٣) محمد رسول الله، مرجع سابق، ص: ٢٩٠.

- غيرة أم المؤمنين عائشة وحفصة من زواج أم سلمة بالنبي ﷺ: حيث ذكر ابن سعد[١]. في «**الطبقات**» هذا الموقف: «عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: لما تزوج رسول الله - ﷺ - أم سلمة حزنت حزنًا شديدًا لما ذكروا لنا من جمالها. قالت: فتلطفت لها حتى رأيتها فرأيتها والله أضعاف ما وصفت لي في الحسن والجمال. قالت: فذكرت ذلك لحفصة. وكانتا يدًا واحدة. فقالت: لا والله إن هذه إلا الغيرة. ما هي كما يقولون. فتلطفت لها حفصة حتى رأتها فقالت: قد رأيتها ولا والله ما هي كما تقولين ولا قريب وإنها لجميلة. قالت: فرأيتها بعد فكانت لعمري كما قالت حفصة ولكني كنت غيرى»[٢].

- غيرة أمهات المؤمنين من مارية القبطية: «عن عائشة قالت: ما غرت على امرأة إلا دون ما غرت على مارية. وذلك أنها كانت جميلة من النساء جعدة. وأعجب بها رسول الله - ﷺ - وكان أنزلها أول ما قدم بها في بيت لحارثة بن النعمان فكانت جارتنا فكان رسول الله عامة النهار والليل عندها حتى فرغنا لها فجزعت فحولها إلى العالية فكان يختلف إليها هناك. فكان ذلك أشد علينا. ثم رزق الله منها الولد وحرمنا منه»[٣].

- غيرة أم المؤمنين حفصة - رضي الله عنها -: «عن ابن عباس رضي الله عنه قال في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ [التحريم: ١] إلى قوله ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [التحريم: ٢]. قال: كانت حفصة وعائشة متحابتين وكانتا زوجتي النبي ﷺ، فذهبت حفصة إلى أبيها، فتحدثت عنده، فأرسل النبي ﷺ إلى جاريته، فظلت معه في بيت حفصة،

---

(١) ابن سعد: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد وبـ «كاتب الواقدي» (المتوفى: ٢٣٠هـ) كان محدثًا، حافظًا، مؤرخًا، مشاركًا في الأنساب له الطبقات الكبرى أشهر كتبه، وبها خلد ذكره، والطبقات الصغرى، وأخبار النبي ﷺ، والحيل، انظر: سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ١٠/ ٦٦٤، الأعلام، مرجع سابق، ٦/ ١٣٦.

(٢) الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ٨/ ٧٥ عن طريق الواقدي، وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ٣/ ١٨٤، الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، ط١، ٨/ ٣٤٣، (دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٥ هـ).

(٣) الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ٨/ ١٧١، أنساب الأشراف، البلاذري، تحقيق سهيل زكار ورياض الزركلي، ط١، ١/ ٤٥٠، (دار الفكر، ١٤١٧هـ).

وكان اليوم الذي يأتي فيه عائشة، فرجعت حفصة، فوجدتهما في بيتها، فجعلت تنتظر خروجها، وغارت غيرة شديدة، فأخرج رسول الله ﷺ جاريته، ودخلت حفصة فقالت: قد رأيت من كان عندك، والله لقد سؤتني، فقال النبي ﷺ: «والله لأرضينك فإني مسر إليك سرًا فاحفظيه»؛ قالت: ما هو؟ قال: «إني أشهدك أن سريتي هذه علي حرام رضا لك»، كانت حفصة وعائشة تظاهران على نساء النبي ﷺ، فانطلقت حفصة إلى عائشة، فأسرت إليها أن أبشري إن النبي ﷺ قد حرم عليه فتاته، فلما أخبرت بسر النبي ﷺ أظهر الله عز وجل النبي ﷺ، فأنزل الله على رسوله لما تظاهرتا عليه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١﴾ [التحريم: ١][1].

وهذه المواقف التي وردت في شأن غيرة أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن – لم تكن بدعًا، بل هي خلقة وجبلة فطرت عليها النساء؛ لكن المستشرقين بالغوا في رواية وكتابة هذه المواقف ونسجوها بأسلوب ساخر يحمل الحقد والكراهية لأمهات المؤمنين الطاهرات.

وعلى هذا المنهج كتب المستشرقون في خُلق أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن –، وحاولوا بكل ما يملكون من قوة في الأسلوب وقدرة في البلاغة أن يشوهوا سيرة أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن –، وذلك لما لهن من المكانة العظيمة عند المسلمين.

---

(١) انظر: جامع البيان، مرجع سابق، ٢٣/ ٤٧٧، ٤٧٨، المعجم الكبير للطبراني ح ١٢٦٤٠، ١٢/ ١١٧، ، المعجم الأوسط للطبراني، ح ٢٣١٦، باب من اسمه إبراهيم ٣/ ١٣، سنن الدارقطني، ح ٤٠١٣، كتاب الطلاق والخلع، ٥/ ٧٥، وانظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي ٨/ ٢١٨، (دار الفكر – بيروت)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ح ٨٩١٩، باب الخلفاء الأربعة ٥/ ١٧٨: "فيه عبد الله بن صالح كاتب الليث، قال عبد الملك بن شعيب بن الليث: ثقة مأمون، وضعفه أحمد وغيره".

المبحث الثاني

موقفهم من الصفات الخَلقية

لقد شكلت سيرة أمهات المؤمنين جانبًا مهمًا في كتابات المستشرقين، وكان للطبائع البشرية والصفات الخَلقية نصيب وافر، حيث قدحت طائفة منهم في هذا الشأن وحاولوا أن يقللوا من تلك الصفات وانفردوا بأوصاف مغايرة للسيرة والتاريخ والتراجم، كما أنصفت طائفة أخرى وكتبت عن الصفات الخَلقية لأمهات المؤمنين نقلًا لما جاء في مصادر السيرة النبوية، وعلى هذا فإن آراء المستشرقين في الصفات الخَلقية لأمهات المؤمنين – رضي الله عنهن – يحمل موقفين:

الأول: موقف يحمل النظرة الإيجابية.

ويغلب هذا الموقف على معظم المستشرقين في وصف الصفات الخَلقية لأمهات المؤمنين، حيث كتب أكثرهم عن الصفات الخَلقية نقلًا من مصادر السيرة وغيرها، إلا أنهم قد ضمنوا وصفهم بشيء من الزيادة والنقصان.

يقول المستشرق إميل درمنغم في وصف أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها –: «وكانت خديجة الأسدية القرشية الأيم ذات ثراء بعد أن تزوجت مرتين في بني مخزوم الأغنياء، وكانت تدير شؤونها بنفسها»[١].

ويتحدث إرفنج عن صفاتها فيقول: «كانت خديجة امرأة في الأربعين من عمرها، على جانب كبير من الحكمة والخبرة»[٢].

ويضيف مونتجمري في وصفها فيقول: «كانت تمتلك بعضًا من المعارف والخبرة في الشؤون العامة، وكانت ذات عقل نشط، وتشعر بالاهتمام إزاء المشكلات المعاصرة لمكة»[٣].

---

(١) حياة محمد، مرجع سابق، ص: ٦١.

(٢) حياة محمد، مرجع سابق، ص: ٤٧.

(٣) محمد النبي ورجل الدولة، مرجع سابق، ص: ٥١.

وعن جمال أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها – يقول المستشرق توماس كارليل: «وكان لا يزال عليها مسحة ملاحة»[١].

ويسترسل المستشرق بودلي في وصف جمالها فيقول: «لم تحرم خديجة الجمال، فكانت على الرغم من أن العرب يؤمنون بأن من تبلغ سنها تصبح عجوزًا إلا أنها تشعر بأنها لازالت صغيرة»[٢].

ويتبع بقوله: «وفي الحقيقة كان جسمها يميل إلى السمنة، وكانت بشرتها بيضاء نقية، وشعرها ناعمًا فاحم السواد، وعيناها واسعتين يشع فيهما بريق أخاذ، وكانت ترتدي الثياب الداكنة والعباءات الثمينة التي تتفق مع مظهرها، وكانت تحلي جيدها وأذنيها بحلي من فضة وفيروز تنم عن رقة وجمال وذوق»[٣].

وبهذا الوصف أسهب المستشرق بودلي في وصف جمال أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها – حيث لم يرد هذا في السيرة النبوية بهذه الدقة.

فقد أورد ابن سعد في (الطبقات الكبرى) عن نفيسة بنت منية قالت: كانت خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي امرأة حازمة، جلدة شريفة مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير وهي يومئذٍ أوسط قريش نسبًا، وأعظمهم شرفًا وأكثرهم مالًا وكل قومها كان حريصًا على نكاحها لو قدر على ذلك. قد طلبوها وبذلوا لها الأموال. فأرسلتني دسيسًا إلى محمد بعد أن رجع في عيرها من الشام. فقلت: يا محمد ما يمنعك أن تزوج؟ فقال: ما بيدي ما أتزوج به قلت: فإن كفيت ذلك ودعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة ألا تجيب؟ قال: فمن هي؟ قلت: خديجة[٤].

---

(١) الأبطال، مرجع سابق، ص: ٦٩.

(٢) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٥٦.

(٣) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٥٦.

(٤) الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ١/ ١٠٥.

– وعن صفات أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – كتب المستشرقون فقالوا: وإن الدلالات لتوحي أن عائشة ستكون ذا جمال فاتن، فقبل محمد ذلك وتم الزواج[١]، وسر محمد باتصاله بعذراء لأول مرة[٢] إذ هي الزوجة الوحيدة العذراء التي بنى بها الرسول[٣]. وكانت فائقة الجمال طفلة شابة»[٤].

ويتحدث المستشرق إيرفنج عن جمالها فيقول: «اختار –محمد– فتاة جميلة تسمى عائشة ابنة صديقه المخلص أبي بكر»[٥].

ويقول ول ديورانت: «ثم خطب عائشة بنت أبي بكر، وكانت وقتئذ فتاة حسناء في السابعة من العمر»[٦].

ويصف بودلي ملامحها فيقول: «ولو أن هناك شابة عرفت ما هي مقبلة عليه لكانت عائشة بنت أبي بكر ذات العينين الواسعتين والقدمين الصغيرتين والشعر الجعد»[٧].

ويضيف المستشرق إميل درمنغم فيقول «وهو لم ينسى–النبي ﷺ – ملاحتها وغيرتها وخفتها»[٨].

وكتب بودلي في نموها قائلًا: «وكانت عائشة زوجه الطفلة لا زالت في كنف أمها وأبيها، ولو أنها كانت في العاشرة من عمرها إلا أنها كانت نامية ذلك النمو السريع الذي تنمو نساء العرب والذي يسبب لهن الهرم في أواخر السنين التي تعقب العشرين»[٩].

---

(١) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ١٢٦.

(٢) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ١٧٦.

(٣) محمد وخلفاؤه، مرجع سابق، ص: ٩٣.

(٤) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ٧٠٣٨.

(٥) حياة محمد، مرجع سابق، ص: ٩٢.

(٦) قصة الحضارة، مرجع سابق، ١٣/ ٣٠.

(٧) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ١٧٥.

(٨) حياة محمد، مرجع سابق، ص: ٣١٤.

(٩) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ١٧٤.

ويلقي المستشرق مونتجمري وات باللوم على أصحاب التاريخ والسير والتراجم لعدم ذكرهم الصفات الخَلقية لأم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – إذ يقول: «لا تأتي المصادر الإسلامية بشكل مباشر على ذكر حياة عائشة عندما كانت بعد غضة طرية في سنواتها الأولى رغم وصفهم لها وهي تلعب بألعابها، ويُروى كيف كان محمد يشاركها روح اللعب ذاك «ما هؤلاء يا عائشة؟ يسألها محمد فتجيبه: «إنها خيول سليمان»[١].

أما ما ورد في جمال ونضارة وصغر سن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – عند أصحاب السير والتراجم ما ذكره الذهبي في وصفها فقال: كانت امرأة بيضاء جميلة. يقال لها: الحميراء[٢].

وقال ابن إسحاق: «تزوجها رسول الله ﷺ بعد سودة بنت زمعة وهي بكر، لم يتزوج بكرًا غيرها ولم يصب منها ولدًا حتى مات»[٣].

وكانت – رضي الله عنها – من أولئك السيدات التي تنمو وترعرع بسرعة هائلة من حيث النمو الجسمي، فكانت لما بلغت التاسعة أو العاشرة من عمرها سمنت كأحسن سمنة، أما في باكورة عمرها فكانت نحيفة الجسم خفيفة لم يغشها اللحم، ثم مالت بعد سنوات إلى شيء من السمنة، ولما كبرت بدنت ورهقها اللحم، وجملة ما يفهم من وصفها على التحقيق أن لونها كان أبيض يميل إلى الحمرة، كانت وضيئة بهية المنظر رائعة الجمال[٤].

وعن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: تزوج بي النبي ﷺ وأنا ابنة سبع سنين ودخل بي وأنا ابنة تسع سنين. وكنت ألعب بالبنات مع صواحبي فإذا جاء وهن بين أيدينا يقول لنا النبي. ﷺ: مكانكن[٥].

---

(١) محمد النبي ورجل دولة، مرجع سابق، ص: ١٣١.

(٢) سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ٣/ ٤٢٨.

(٣) السيرة النبوية لابن إسحاق، مرجع سابق، ص: ٢٥٥.

(٤) سليمان الندوي الحسيني، مرجع سابق، ص: ٢٠٧.

(٥) الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ٨/ ٤٨.

أمـا في لـوم المستشـرق مـونتجمري للمصـادر الإسـلامية فيجـاب عليـه: بأن المصـادر الإسـلامية اهتمت بسيرة أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن – بوجه عام وبسيرة أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – بشكل خاص، إذ أن كتب السيرة والتاريخ ثرية بذكر سيرة وحياة أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – وذكر مواقفها في بيت النبوة، بل إنها فاقت أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن – بفضلها ومكانتها وبكثرة روايتها عن النبي ﷺ، وعلمها وفقهها – رضي الله عنها – لهذا احتلت مكانًا في كتب السيرة.

– ووصف المستشرقون أم المؤمنين حفصة – رضي الله عنها – فقالوا: «ولم تكن أوسم النساء، وحين هدد رسول الله ﷺ بتطليق زوجاته كلهن قال عمر: لحفصة لا تلحفي في سؤالك ولا تراجعي رسول الله ﷺ ولا تسأليه شيئًا وسليني ما بدالك ولا يغرنك إن كانت جارتك هي أوسم وأحب إلى رسول الله ﷺ منك يريد عائشة»(١).

وهذا الوصف مطابقًا لما جاء في السنة والسيرة النبوية حيث ورد أن أم المؤمنين حفصة – رضي الله عنها – كانت أقل جمالًا، وورد عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنها – أنه قال هذا لابنته حفصة رضي الله عنهما .

وفي المقابل يصف فريق من المستشرقين جمال أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ويؤكدون على جمالها وحسنها حيث يقول المستشرق إرفنج: «كانت –حفصة – في الثامنة عشر من عمرها على جانب كبير من الجمال»(٢).

ويقول في موضع أخر: «ولكي يعوضه ويواسيه رفيقه عمر ﷺ عرض عليه الزواج من ابنته حفصة – رضي الله عنها – أرملة خنيس الذي مات عنها وهو في الثامنة عشرة، وكانت ذات جمال أخاذ»(٣).

---

(١) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ٤٠٨٠.

(٢) محمد وخلفاؤه، مرجع سابق، ص: ١٥٢.

(٣) محمد وخلفاؤه، مرجع سابق، ص: ٢٤٠.

ويتبع أيضًا بقوله: «وبرغم جمال حفصة فقد ظل لعائشة المكان الأول في قلب الرسول»(١).

وتتحدث أمسترونج فتقول: «حفصة بنت عمر، والتي مات زوجها كانت جميلة وأريبة، كان عمرها ثمانية عشر عامًا»(٢).

ويضيف بودلي بقوله: «كانت حفصة في العشرين من عمرها، وكانت جميلة»(٣).

وفي ذكر زواج النبي ﷺ بحفصة يقول إميل درمنغم: «وأضحى لحفصة الحسناء التي لم يزد عمرها على ثماني عشرة سنة»(٤).

لقد بالغ المستشرقون في وصف جمال أم المؤمنين حفصة – رضي الله عنها – وهذا وصف باطل عاري من الصحة، حيث دلت مصادر السيرة النبوية على خلاف ذلك، وخير شاهد على جمالها أبيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين رآها تقف في صف أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – في حادثة اعتزال النبي ﷺ زوجاته فقال لها: لا تراجعي رسول الله ولا يغرنك إن كانت جارتك هي أوسم وأحب إلى رسول الله ﷺ.

فقد جاء في البخاري «أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: كنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا على الأنصار إذا هم قوم تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار فصحت على امرأتي فراجعتني فأنكرت أن تراجعني فقالت ولم تنكر أن أراجعك فو الله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه وإن إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل. فأفزعني فقلت خابت من فعل منهن بعظيم ثم جمعت علي ثيابي فدخلت على حفصة فقلت أي حفصة أتغاضب إحداكن رسول الله ﷺ اليوم حتى الليل؟ فقالت نعم فقلت خابت وخسرت أفتأمن أن يغضب الله لغضب رسوله ﷺ فتهلكين لا تستكثري على رسول الله ﷺ ولا تراجعيه في شيء ولا

(١) محمد وخلفاؤه، مرجع سابق، ص: ١٥٢.

(٢) محمد نبي لزماننا، مرجع سابق، ص: ١٢٩.

(٣) محمد نبي لزماننا، مرجع سابق ، ص: ١٢٩.

(٤) حياة محمد، مرجع سابق، ص: ٣٠٢.

تهجريه واسأليني ما بدا لك ولا يغرنك أن كانت جارتك هي أوضأ منك وأحب إلى رسول الله ﷺ – يريد عائشة –»[١].

– وعن موقفهم من صفات أم المؤمنين زينب بنت خزيمة وأم سلمة – رضي الله عنهن – كتب المستشرقون نقلًا عن كتب ومصادر السيرة النبوية حيث يقول المستشرق بودلي في وصف أم المؤمنين زينب بنت خزيمة – رضي الله عنها –: «كانت متوسطة العمر، طيبة خيرة، ماتت بعد زواجها بالنبي ﷺ بثمانية أشهر»[٢].

– وتصف المستشرقة أمسترونج أم المؤمنين أم سلمة – رضي الله عنها – فتقول: «كانت في التاسعة والعشرين من عمرها جميلة، لكنها لم تعد صغيرة حين زواجها بمحمد ﷺ»[٣].

ويؤكد المستشرق إرفنج جمال أم المؤمنين أم سلمة – رضي الله عنها – فيقول: «كانت في الثامنة والعشرين من عمرها تكنى بأم سلمة، وكانت على جانب من الجمال»[٤].

ويتحدث بودلي في صفاتها قائلًا: «كانت الزوجة الجديدة جميلة، وكانت أبية النفس، عريقة المنبت»[٥].

ويتبع وصفه بموقف أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – من جمال أم المؤمنين أم سلمة – رضي الله عنها – فيقول: «وقد أسرت عائشة لحفصة بأنها قد أحست بجرح في نفسها، فقد سمعت بحسن أم سلمة، ولكنها وجدتها أجمل مما يقوله الناس، وقد طيبت حفصة خاطر

(١) صحيح البخاري، ح ٢٣٣٦، باب الغرفة المشرفة والعلية في السطوح ٢/ ٨٧١.

(٢) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٢٣٦.

(٣) محمد نبي لزماننا، مرجع سابق، ص: ١٣٩.

(٤) محمد وخلفاؤه، مرجع سابق، ص: ١٥٩.

(٥) بودلي، ص: ٢٣٦.

صديقتها بأن قالت: وإن كان جمال أم سلمة واضحًا فإن كبرها واضح أيضًا؛ وإن الجمال ليذبل سريعًا في هذه السن، ونصحت عائشة بأن تبقي غيرتها لمن تستحقه»[١].

ويقول مونتجمري في صفات أم المؤمنين أم سلمة – رضي الله عنها –: «أرملة مهاجرة لها وزنها»[٢].

وهذا النقل موافق لمصادر السيرة والتاريخ والتراجم فعن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: «لما تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة حزنت حزنًا شديدًا لما ذكروا لنا من جمالها. قالت: فتلطفت لها حتى رأيتها فرأيتها والله أضعاف ما وصفت لي في الحسن والجمال قالت: فذكرت ذلك لحفصة، وكانتا يدًا واحدة فقالت: لا والله إن هذه إلا الغيرة ما هي كما يقولون، فتلطفت لها حفصة حتى رأتها فقالت: قد رأيتها ولا والله ما هي كما تقولين ولا قريب وإنها لجميلة. قالت: فرأيتها بعد فكانت لعمري كما قالت حفصة ولكني كنت غيرى»[٣].

«وكانت أم سلمة – رضي الله عنها – من أجمل النساء وأشرفهن نسبا، لها جملة أحاديث. كانت تعد من فقهاء الصحابيات»[٤].

– ويثني المستشرقون على الصفات الخَلقية لأم المؤمنين زينب بنت جحش – رضي الله عنها – حيث كتب المستشرقون في وصفها فقالوا «كانت زينب قصيرة جميلة صناع اليدين»[٥].

وتصف المستشرقة أمسترونج جمالها فتقول: «زينب الآن في أواخر الثلاثينيات من عمرها، ولكنها ذات جمال أخاذ»[٦].

---

(١) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٢٣٧.

(٢) محمد النبي ورجل الدولة، مرجع سابق، ص: ٢٠٠.

(٣) الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ٨/ ٧٥، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ٣/ ٤٧١.

(٤) سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ٣/ ٤٦٧.

(٥) دائرة المعارف الإسلامية، مرجع سابق، ٩/ ٣٥٤.

(٦) محمد نبي لزماننا، مرجع سابق، ص: ١٥٣.

ويقول إيرفنج: «وهي الأجمل من كل نساء قبيلتها»[١] ويضيف إميل درمنغم بقوله: «هنالك أرسلت زينب الحسناء إليه فقالت بصوت عال: «إن أزواجك يناشدنك العدل في ابنة أبي قحافة»[٢].

وفي إيراد قصة زواج النبي ﷺ بأم المؤمنين زينب بنت جحش – رضي الله عنها – يروي المستشرق إميل درمنغم عن جمالها فيقول: «فوجد محمد نفسه تجاه زوجة زيد زينب بنت جحش التي كانت أجمل فتيات قومها، وكانت زينب هذه سافرة وشبه عارية وعاملة على زينتها وإدارة بيتها فأثر هذا الجمال السافر الغض الفياض في نفس النبي»[٣].

ويقول المستشرق سفاري: «كل هذه المفاتن كانت منذ وقت طويل قد تركت أثرًا عميقًا في قلب محمد... ... ... ولكن في تلك اللحظة بدت زينب رائعة الجمال، وهي ترتدي ملابس خفيفة تكاد لا تخفي بياض جسمها وشكله»[٤].

ويدلي إرفنج بدلوه فيقول: «وقعت أنظار محمد على جمالها الفاتن وبدا عليه علامات إعجابه بجمالها»[٥] ويتبع مونتجمري بقوله: «ربما استفادت زينب من جمالها إلى أقصى حد»[٦].

وينسب المستشرق بودلي أم المؤمنين زينب بنت جحش – رضي الله عنها – إلى الطبقة الاجتماعية العليا فيقول: «وكان زيد قبيح المنظر، وكان قصيرًا أقنى الأنف، غير مثقف، ولو نحينا أمانته للإسلام وسيده وشجاعته الشخصية العظيمة، لما كان له إلا القليل ليقدمه إلى سيدة جذابة أرستقراطية كزينب»[٧].

---

(١) محمد وخلفاؤه، مرجع سابق، ص: ٢٦٥.

(٢) حياة محمد، مرجع سابق، ص: ٣٢٤.

(٣) حياة محمد، مرجع سابق، ص: ٣٠٣.

(٤)السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون، مرجع سابق، ص: ١٤٤.

(٥) محمد وخلفاؤه، مرجع سابق، ص: ١٦٥.

(٦) محمد النبي ورجل الدولة، مرجع سابق، ص: ٢٠٣.

(٧) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٢٤٠.

ويردف بوصفه قائلًا: فلم يكن – زيد بن حارثه – يفهم كيف يعامل زوجه المدللة»[١].

وبعد عرض هذه النصوص نجد أن معظم المستشرقين مجمعون على أن أم المؤمنين زينب بنت جحش – رضي الله عنها – كانت جميلة قصيرة تعمل بيديها وتتصدق وهذا حق، قال ابن سعد في ترجمتها: «وكانت امرأة جميلة فخطبها رسول الله ﷺ على زيد بن حارثة»[٢].

وعن محمد بن يحيى بن حبان قال: «قالت عائشة – رضي الله عنها –: فأخذني ما قرب وما بعد لما يبلغنا من جمالها. وأخرى هي أعظم الأمور وأشرفها ما صنع لها زوجها الله من السماء»[٣].

وفي قصر قامتها وعملها قالت أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها –: قال النبي –ﷺ– لأزواجه: «يتبعني أطولكن يدًا» فكنا إذا اجتمعنا بعده نمد أيدينا في الجدار نتطاول فلم نزل نفعله حتى توفيت زينب وكانت امرأة قصيرة لم تكن رحمها الله أطولنا فعرفنا أنما أراد الصدقة، وكانت صناع اليد فكانت تدبغ وتخرز وتصدق»[٤].

أما ما ذكره المستشرقون في تعري أم المؤمنين زينب بنت جحش – رضي الله عنها – وانكشاف زينتها وجمالها وتأثيره على النبي ﷺ كما يقول المستشرق إميل درمنغم: (وكانت زينب هذه سافرة وشبه عارية وعاملة على زينتها... ... ...) ومثله قول سفاري: (وهي ترتدي ملابس خفيفة تكاد لا تخفي بياض جسمها وشكله... ... ...).

فهذا من التهم التي ألصقت بأم المؤمنين زينب بنت جحش – رضي الله عنها – والافتراء والكذب المختلق، فقد اعتمد هؤلاء المستشرقون في أغلب رواياتهم في هذه القصة – زواج زينب بنت جحش – على روايات لم تثبت صحتها وأفاضوا بتزوير أمور لم ترد أصلًا بغرض الوقيعة، والنيل من أم المؤمنين زينب بنت جحش – رضي الله عنها –.

---

(١) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٢٤٠.

(٢) الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ٨/ ٨٠.

(٣) الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ٨/ ٨١.

(٤) الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ٨/ ٨٥، ٨٦، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ٣/ ٤٧٥، الوافي بالوفيات، مرجع سابق، ١٥/ ٣٩.

– وفي صفات أم المؤمنين جويرية بنت الحارث – رضي الله عنها – كتب المستشرقون نقلًا من مصادر السيرة والتراجم وغيرها، إلا أنهم ضمنوا تلك النقول رأيهم في سن أم المؤمنين جويرية بنت الحارث – رضي الله عنها – حيث يقول المستشرق سفاري في سنها: «وتزوج محمد هذه الأسيرة الشابة»(١).

ويقول إميل درمنغم: «كانت امرأة حلوة مليحة لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه، فأتت النبي لتستعينه على كتابها فكرهت عائشة أن تراها على باب حجرتها»(٢).

وهذا ما ورد في السيرة النبوية فعن عروة بن الزبير، عن عائشة – رضي الله عنها –، قالت: لما قسم رسول الله ﷺ سبايا بني المصطلق، وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن الشماس، أو لابن عم له، فكاتبته على نفسها، وكانت امرأة حلوة ملاحة، لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها، قالت عائشة: فو الله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتي فكرهتها، وعرفت أنه سيرى منها ﷺ ما رأيت، فدخلت عليه، فقالت: يا رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث ابن أبي ضرار، سيد قومه، وقد أصابني من البلاء، ما لم يخف عليك، فوقعت في السهم لثابت بن قيس بن الشماس، أو لابن عم له، فكاتبته على نفسي، فجئتك أستعينك على كتابتي، قال: فهل لك في خير من ذلك؟ قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: أقضي عنك كتابتك وأتزوجك، قالت: نعم يا رسول الله، قال: قد فعلت(٣).

– وأنصف المستشرقون في وصف أم المؤمنين صفية بنت حيي وأم المؤمنين ميمونة بنت الحارث – رضي الله عنهن – حيث جاء وصفهم نقلًا من كتب السنة والسيرة والتراجم.

تقول المستشرقة أمسترونج في وصف أم المؤمنين صفية – رضي الله عنها –: «سعدت صفية الجميلة ذات السبعة عشر عامًا بدخول الإسلام»(٤).

---

(١) السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون، مرجع سابق، ص: ١٤٨.

(٢) حياة محمد، مرجع سابق، ص: ٣١٠.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، ٢/ ٢٩٤، ٢٩٥.

(٤) محمد نبي لزماننا، مرجع سابق، ص: ١٧٤.

ويتحدث إرفنج عن جمال أم المؤمنين صفية – رضي الله عنها – وأثره عليها فيقول: «كانت صفية على جانب كبير من الجمال، لهذا أراد محمد أن يصطفيها لنفسه»(١).

ويؤكد بودلي بقوله: «وقد كانت فتاة رائعة الحسن نهازة الفرص»(٢).

ويضيف المستشرق سفاري بقوله: «وصفية التي يُتهم النبي ﷺ بالوقوع في حبائل جمالها، كانت قصيرة قصرًا بينًا عيرت به فجبر النبي ﷺ خاطرها بالزواج بها»(٣).

وفي هذا الوصف بالغ المستشرق سفاري في قصر أم المؤمنين صفيه بنت حيي – رضي الله عنها –. فقد ورد عن عائشة، قالت: قلت للنبي ﷺ: حسبك من صفية كذا وكذا، قال غير مسدد: تعني قصيرة، فقال: «لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته»(٤) لكن لم يرد في السيرة بهذه المبالغة.

قال ابن حجر رحمه الله: «وكانت أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب – رضي الله عنها – من بني النضير من سبط لاوي بن يعقوب من ذرية هارون بن عمران، تحت سلام بن مكشم، ثم خلف عليها كنانة بن أبي الحقيق فقتل كنانة يوم خيبر، فصارت صفية مع السبي فأخذها دحية ثم استعادها النبي ﷺ فأعتقها وتزوجها»(٥).

وأخرج البخاري بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: «قدم النبي ﷺ خيبر، فلما فتح الله عليه الحصن ذكر له جمال صفية بنت حيي بن أخطب، وقد قتل زوجها، وكانت عروسا، فاصطفاها رسول الله ﷺ لنفسه، فخرج بها حتى بلغنا سد الروحاء حلت فبنى بها، ثم صنع حيسا في نطع صغير، ثم قال رسول الله ﷺ: «آذن من حولك»، فكانت تلك وليمة

---

(١) حياة محمد، مرجع سابق، ص: ١٩٠.

(٢) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٣٢٧.

(٣) السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون، مرجع سابق، ص: ٢٤٨.

(٤) سنن أبي داود، ح ٤٨٧٥، كتاب الأدب، باب الغيبة، ٤/ ٢٦٩، سنن الترمذي، ح٢٥٠٣، ٢٥٠٤، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب...، ٤/٦٦٠، وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٥) الإصابة في تمييز الصحابة، مرجع سابق، ٨/ ٢١٠.

رسول الله ﷺ على صفية، ثم خرجنا إلى المدينة قال: فرأيت رسول الله ﷺ يحوي لها وراءه بعباءة، ثم يجلس عند بعيره، فيضع ركبته فتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب»[١].

- وفي صفات أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث يقول المستشرق إرفنج: «كانت آخر زوجات النبي، وكانت عند زواجها من الرسول متقدمة في السن، وكانت أطول زوجات الرسول عمرًا، وقد ماتت في سرف تحت الشجرة نفسها التي نصبت تحتها الخيمة يوم الزفاف»[٢].

ويضيف بودلي: «وقد كانت الشابة جميلة»[٣].

وفي ترجمتها يقول ابن حجر : كانت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية صالحة فاضلة وهي آخر امرأة تزوجها رسول الله ﷺ وآخر من مات من زوجاته. وكان اسمها برة فسماها ميمونة بايعت بمكة قبل الهجرة. وكانت زوجة أبي رهم بن عبد العزى العامري. ومات عنها. فتزوجها النبي ﷺ سنة ٧ هـ، روت عنه ﷺ ٧٦ حديثًا، وعاشت ٨٠ سنة. وتوفيت في (سرف) وهو الموضع الذي كان فيه زواجها بالنبي ﷺ قرب مكة، ودفنت به[٤].

واختلف المستشرقون في سن أم المؤمنين ميمونة - رضي الله عنها - حيث يقول المستشرق إرفنج: «وكانت عند زواجها من الرسول متقدمة في السن» ويقول بودلي: «كانت الشابة جميلة» وهذا لم يثبت ولا دليل على تحديد سنها حيث لم يرد في مصادر السيرة المعتمدة ما يدل على ذلك.

والذي يظهر والله أعلم أن أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث - رضي الله عنها - كان عمرها ما يقارب الست والثلاثين حين زواجها بالنبي ﷺ[٥].

---

(١) تقدم تخريجه ص ٨٥.

(٢) محمد وخلفاؤه، مرجع سابق، ص: ١٩٨.

(٣) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٣٣٦.

(٤) انظر: الإصابة في معرفة الصحابة لابن حجر ، مرجع سابق ، ١٢٦/٨،و الاستيعاب في أسماء الأصحاب، مرجع سابق، ٤/ ١٩١٤.

(٥) رحمة للعالمين، محمد سليمان المنصور فوري، ترجمه من الأردية إلى العربية: د. سمير عبد الحميد إبراهيم، ط١، ص: ٤٣٠، (دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض).

– ويستعرض المستشرقون الصفات الخَلقية لسراري النبي ﷺ حيث تقول المستشرقة أمسترونج في وصف مارية القبطية: «فقد أهدى المقوقس حاكم الإسكندرية جارية مصرية اسمها مارية، لم ترد الجارية الدخول في الإسلام فظلت سرية لمحمد أي أمة»(١).

ويصف المستشرق بودلي جمالها فيقول: «فما إن وقعت عينا محمد على هذه الفتاة مارية الجعدة الرائعة الحسن حتى مال إليها قلبه»(٢).

ومما يدل على جمالها ما ورد عن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها –، قالت: «ما غرت على امرأة إلا دون ما غرت على مارية، وذلك أنها كانت جميلة جعدة، فأعجب بها رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم، وكان أنزلها أول ما قدم بها في بيت لحارثة بن النّعمان، فكانت جارتنا، فكان عامة الليل والنهار عندها حتى فزعنا لها، فجزعت فحوّلها إلى العالية، وكان يختلف إليها، هناك فكان ذلك أشدّ علينا، وكانت مارية بيضاء جعدة جميلة»(٣).

ويصف المستشرق إرفنج ريحانة فيقول: «كذلك حصل النبي ﷺ على ريحانة بنت عمرو اليهودي ذي الغنى والنفوذ الفائقة في الجمال بين أقرانها»(٤).

ويقول بودلي: «عاد محمد إلى مساكنه وأخذ معه يهودية حسناء تدعى ريحانة»(٥).

وكانت ريحانة أجمل نساء اليهود بنت عمرو بن خفاقة من نصيب محمد وكان الحزن لما أصاب قومها قد ملأ قلبها فكانت تحقد على المدبر ولكن هذا الحقد لم يصمد طويلًا أمام فكرة أن تصبح زوجة للنبي فقد أكل الزهر عقلها وأفسد الطموح قلبها فأسلمت لكي تتزوجه(٦).

---

(١) محمد نبي لزماننا، مرجع سابق، ص: ١٧٧.

(٢) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٣١٦.

(٣) فتح الباري، مرجع سابق، ٨/ ٣١١.

(٤) محمد وخلفاؤه، مرجع سابق، ص: ٢٨٩.

(٥) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٢٥٨.

(٦) السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون، مرجع سابق، ص: ١٤٣.

ويؤكد أصحاب السير والتراجم على جمالها يقول ابن سعد في ترجمتها: «وكانت ذات جمال» وعن محمد بن كعب قال: «كانت ريحانة مما أفاء الله عليه فكانت امرأة جميلة وسيمة»[(١)].

– وكتب المستشرقون عن مُجمل الصفات الخَلقية لأمهات المؤمنين بشكل عام وعن جمال وبهاء طلعتهن بشكل خاص، حيث يقول المستشرق بودلي في وصف ملامح أمهات المؤمنين: «وقد كن جذابات جميلات تتدفق الدماء الحارة فيهن، لهن غرائز النساء الناميات»[(٢)].

ويقول أيضًا: «وعلى ذلك فما كانت هؤلاء الفتيات الجميلات اللائي يكون حريم محمد، ولا هؤلاء الرجال العظام أمثال أبي بكر وعمر، ولا هؤلاء الجنود بمجبرين على أن يحيوا حياة التقشف»[(٣)].

ويتحدث مونتجمري في سن أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن – فيقول: «إن جميع زوجات محمد إذا استثنيا خديجة كانوا أصغر منه عندما تزوجهن، بل إن معظمهن كانوا أصغر منه بكثير»[(٤)].

ويقول بودلي: «وكانت سن معظم أزواجه أصغر من نصف سنه»[(٥)] ويضيف بقوله: «وكان هناك من يتعللون بأسباب تافهة ليلقوا نظرة على زوجات الرسول الشابات»[(٦)].

وفي هذا الوصف بالغ المستشرقون في جمال وسن أمهات المؤمنين حيث نجد من خلال هذا العرض لصفات أمهات المؤمنين الخَلقية أن المستشرقين يكاد يجمعون على صفة الجمال، ويرمون من ذلك تحقيق شبهتهم في شهوانية النبي ﷺ في اتخاذ النساء والجواري الحسان.

---

(١) الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ٨/ ١٠٣، ١٠٢.

(٢) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٢٣٥.

(٣) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٢٧٧.

(٤) محمد النبي ورجل دولة، مرجع سابق، ص: ٢٠٣.

(٥) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٢٣٥.

(٦) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٢٣٥.

الثاني: موقف يحمل النظرة السلبية.

ويتضمن هذا الموقف الكتابات السلبية لأمهات المؤمنين – رضي الله عنهن – المعارضة لمصادر السيرة والتاريخ والتراجم، والتي تحمل في طياتها القدح المغرض في الصفات الخَلقية لأمهات المؤمنين أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن –.

يقول المستشرق ول ديورانت في وصف أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن –: «وكانت زوجاته كلهن ماعدا خديجة عقيمات، وكان هذا موضع السخرية بين أعدائه»[١].

ويتحدث بروكلمان[٢] في كتابه (تاريخ الشعوب الإسلامية) عن أمهات المؤمنين فيقول: «وكم كان سروره عظيمًا عندما وضعت له – مارية القبطية – غلامًا لأن أزواجه جميعًا ما عدا خديجة بقين عواقر»[٣].

وغرضهم من هذا الوصف محاولة الإساءة للنبي ﷺ والطعن فيه، وإلا فإنه من المعلوم أن بعض أزواج النبي ﷺ مطلقات وأرامل وقد أنجبن قبل الزواج بالنبي ﷺ كأم سلمة رضي الله عنها وأم حبيبة رضي الله عنها .

وأما في قول المستشرق ول ديورانت: «وهذا موضع السخرية بين أعدائه» فهذا لا يمكن حدوثه لأن النبي ﷺ لم يحرم الولد.

ويقول المستشرق بودلي: «وكانت عائشة هي البكر الوحيدة التي تزوجها محمد، وكانت الأخريات مطلقات وأرامل، وكان منهن خمس دميمات»[٤].

– وعن صفات أم المؤمنين سودة بنت زمعة – رضي الله عنها – تتحدث المستشرقة أمسترونج فتقول: «يبدو أن سودة كانت امرأة بيتيه مضى شبابها، لكنها يمكن أن تعتني بحاجات محمد ﷺ»[١].

---

(١) قصة الحضارة، مرجع سابق، ١٣/ ٤٣.

(٢) سبق ترجمته .

(٣) تاريخ الشعوب الإسلامية، مرجع سابق، ص ٥٨.

(٤) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٢٧٣.

ويقول بودلي: «وعلى كل حال فما كان يعيش وحيدًا فقد كانت تعيش معه زوجته السمينة سودة التي كانت ترعى البيت وابنتاه فاطمة وأم كلثوم»[٢].

ويتبع بقوله: «فقد كانت امرأة ضخمة ثقيلة»[٣] «وكان على محمد أن يتدخل مرارًا كلما تمادتا – عائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر – رضي الله عنهن – في استغلال شبابهما الدافق للنيل من سودة العجوز الغبية البليدة»[٤].

ودون المستشرقون في دائرة المعارف صفات أم المؤمنين سودة بنت زمعة فقالوا: «كانت سودة عندما تزوجت النبي ﷺ قد ودعت الشباب وأخذت تثقل وتثبط كلما تقدم بها السن حتى أن النبي ﷺ سمح لها بحجة من حجاته أن تدرك صلاة الصبح في منى قبل الزحمة خشية دفع الناس لها»[٥].

ويصفها المستشرق إميل درمنغم في كتابه (حياة محمد) بالعجوز فيقول: «وأرادت سودة بنت زمعة العجوز وصفية الإسرائيلية إلقاء السرور في قلب محمد واتقاء الطلاق فتنزلتا عن نوبتهما لابنة أبي بكر المفضلة»[٦].

ويضيف بودلي قائلًا: «لم تكن جذابة في يوم من الأيام فكانت تحس أنها في مأمن من الطلاق مادامت عائشة ظهيرة لها ولكي تضمن حماية عائشة فقد تنازلت عن ليلتها للزوجة الشابة المفضلة»[٧].

=

(١) محمد نبي لزماننا، مرجع سابق، ص: ٩٤.

(٢) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ١٧٣.

(٣) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ١٢٧.

(٤) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٢١٠.

(٥) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ٥٩٨٢.

(٦) حياة محمد، مرجع سابق، ص: ٣٢٤.

(٧) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٣١٧.

حاول المستشرقون من خلال وصفهم لأم المؤمنين سودة بنت زمعة – رضي الله عنها – أن يصوروا صفاتها بصورة مشوهه ويرسموا في مخيلة كل قارئ للسيرة صفات دميمة.

حيث وصفها المستشرق بودلي بالغبية البليدة الدميمة التي لم يكن لها عند النبي ﷺ أدنى مكانة، وفي هذا الوصف لم يستدل عليه بدليل بل هو من الافتراء على أم المؤمنين سودة بنت زمعة – رضي الله عنها –، وإلا يكفي في الدليل على ذكائها رعايتها بيت رسول الله ﷺ، وهبة ليلتها لأم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – لتبقى أمًا للمؤمنين وتنال شرف ذلك.

أما في صفة كبر سنها وثقلها، وتنازلها عن ليلتها لأم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – فهذا صحيح، فقد ورد عن عبد الرحمن بن القاسم، عن القاسم، عن عائشة، قالت : « وددت أني كنت استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما استأذنته سودة، فأصلي الصبح بمنى، فأرمي الجمرة، قبل أن يأتي الناس، فقيل لعائشة: فكانت سودة استأذنته؟ قالت: نعم، إنها كانت امرأة ثقيلة ثبطة، فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن لها » (١)

وعن هشام بن عروة ، عن أبيه، عن عائشة، أن سودة بنت زمعة وهبت يومها لعائشة «وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقسم لعائشة بيومها ويوم سودة» (٢)

– ويقدح المستشرقون في صفات أم المؤمنين رملة بنت أبي سفيان – رضي الله عنها – حيث يقول المستشرق بودلي في وصفها: «وانتظرت أم حبيبة في دور النبي، ولم تكن شابة ولا جذابة كمارية أو صفية، وعلى ذلك فلم تكن سببًا في متاعب مباشرة، فقد كان كل امرئ يعلم أن اهتمام محمد بها لأسباب سياسية أكثر منه لأسباب جسمانية»(٣).

١() صحيح مسلم ح ١٢٩٠، كتاب الحج ،باب استحباب تقديم ودفع الضعفة ٢/ ٩٣٩

(٢) صحيح البخاري ،ح ٥٢١٢،كتاب النكاح ،باب المرأة تهب يومها من زوجها لضرتها، وكيف يقسم ذلك ٧/ ٣٣ .

(٣) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٣٣٠.

ويضيف: «وقد صارت في أثناء الاضطرابات السياسية التي أعقبت موت رسول الله عدوة عائشة اللدود الخطيرة»[١] وينحاز المستشرق إميل درمنغم في مدح أم المؤمنين رملة بنت أبي سفيان (أم حبيبة) – رضي الله عنها – بقوله: «كانت من أظرف نساء العرب»[٢].

في هذا الوصف حاول المستشرق بودلي أن يطعن في أم المؤمنين أم حبيبة – رضي الله عنها – ويقلل من قدرها فقال: (لم تكن شابة ولا جذابة) وقوله هذا منكر باطل إذ لم يدل دليل عليه، ولم تفصل مصادر السيرة وغيرها في الصفات الخَلقية لأم المؤمنين أم حبيبة – رضي الله عنها –.

أما قوله: (وقد صارت عدوة لدود لعائشة) فلم يثبت في السيرة، وإنما الذي كان يحدث بين أم المؤمنين أم حبيبة – رضي الله عنها – وأم المؤمنين عائشة ما يكون بين الضرائر من الغيرة ونحوها.

فقد أورد ابن سعد عن عبد المجيد بن سهيل عن عوف بن الحارث قال: سمعت عائشة تقول: دعتني أم حبيبة زوج النبي ﷺ عند موتها فقالت: قد كان يكون بيننا وبين الضرائر فغفر الله لي ولك ما كان من ذلك. فقلت: غفر الله لك ذلك كله وتجاوز وحللك من ذلك. فقالت: سررتني سرك الله. وأرسلت إلى أم سلمة فقالت لها مثل ذلك[٣].

– ويصف المستشرقون أم المؤمنين صفية بنت حيي – رضي الله عنها – بالعقم والشؤم حيث يقول المستشرق إميل درمنغم في وصفها: دعا محمد بالمرأة ذات العقم والشؤم ذات مرة في يوم حج»[٤].

وهذا الوصف من الكذب والافتراء المتعمد على النبي محمد ﷺ ثم على أم المؤمنين صفية – رضي الله عنها – إذ لم يدل دليل صحيح ولا ضعيف عليه.

(١) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٣٣٠.
(٢) حياة محمد، مرجع سابق، ص: ١٣٠.
(٣) الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ٨/ ٧٩، ٨٠.
(٤) حياة محمد، مرجع سابق، ص: ٣١٩.

الفصل الثالث

مواقف المستشرقين من مكانة أمهات المؤمنين وتفاضلهن عند النبي ﷺ

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: موقفهم من مكانة وفضل خديجة بنت خويلد – رضي الله عنها –.

المبحث الثاني: موقفهم من مكانة وفضل عائشة بنت أبي بكر – رضي الله عنها –.

المبحث الثالث: موقفهم من مكانة وفضل بقية أمهات المؤمنين.

المبحث الأول

موقفهم من مكانة وفضل خديجة بنت خويلد – رضي الله عنها –

لقد أكثر المستشرقون من الكتابات حول أم المؤمنين خديجة بنت خويلد – رضي الله عنها –، وتسابقت إليها أقلامهم وذلك لما لها من شرف صحبة رسول الله ﷺ ومنزلتها عنده، ولفضائلها الجليلة فقد ضربت أروع الأمثلة في المرأة الصالحة التي تعين زوجها على أعبائه وتؤازره وتخفف عنه ما يصيبه، فكانت – رضي الله عنها – نعم القرين له ﷺ.

ومع لمز وطعن المستشرقين في أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن –، إلا أنهم أنصفوا في مكانة أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها – فقد كانت جل كتابتهم نقلًا من كتب السيرة النبوية وغيرها.

حيث كتب المستشرقون عن حب النبي ﷺ لأم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها –، وتفضيلها على سائر أزواجه، وإكرامها بعدم الزواج عليها، وذكر محاسنها والثناء عليها بعد وفاتها، وبر النبي ﷺ بصديقاتها وأقاربها.

يقول المستشرق بودلي في محبة النبي ﷺ لأم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها – ومكانتها عنده: «كانت بداية زواج موفق سعيد فقد كانت خديجة بنت خويلد تحب زوجها وتتدلل به حبًا، وكان زوجها يبادلها ذلك الحب الصادق بل لعل حب زوجها لها كان أعمق من حبها له، فقد كان اهتمامه بها يفوق اهتمامه بأي إنسان آخر طوال حياته، فقد انفرد برعايته وحبه خلال الإحدى وعشرين سنة التي قضياها معًا»(١).

ويؤكد صدق محبة النبي ﷺ لخديجة بقوله: «ومما لاشك فيه أن نساء كثيرات كن في حياة محمد، ولكنه لم يحمل لإحداهن من صادق الود والحب ما كان يحمله لخديجة»(٢).

---

(١) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٦٣.

(٢) المرجع السابق، ص: ٧٨.

ويتحدث المستشرق آتين دينيية عن عاطفته ﷺ نحو رفيقة دربه في حياته وأم أولاده فيقول: «كانت خديجة أول زوجة بنى بها الرسول ﷺ، وبقيت طيلة حياتها زوجه الوحيدة المحببة التي لا يجد غيرها إلى قلبه سبيلًا. وقد أنجبت له سبعة أولاد ثلاثة ذكور هم: القاسم، والطاهر، والطيب وأربع إناث: رقية، وزينب، وأم كلثوم، وفاطمة»[١].

ويصف المستشرق توماس كارليل حبه العميق لخديجة – رضي الله عنها – وعيشه معها تلك العيشة الهانئة فيقول: «وما ألذ وما أوضح قصته مع خديجة وكيف أنه يسافر في تجارات لها إلى أسواق الشام، وكيف كان ينهج في ذلك أقوم مناهج الحزم والأمانة، وكيف جعل شكرها يزداد وحبها ينمو، ولما زوجت منه كانت في الأربعين وكان هو في الخامسة والعشرين، وكان لا يزال عليها مسحة من ملاحة ولقد عاش مع زوجه هذه على أتم وفاق وألفة وصفاء وغبطة يخلص لها الحب وحدها»[٢].

وتصور المستشرقة أمسترونج مقام أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها – من رسول الله ﷺ فتقول: «لقد كانت أقرب رفيق لمحمد ولم يستطع أحد حتى أبي بكر أو عمر أن يقدم ما قدمته خديجة»[٣].

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء[٤]: «كانت أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها – نعم القرين للنبي ﷺ فوجد لفقدها»[٥].

ويلوح المستشرق إميل درمنغم بأن محمدًا ﷺ شعر بالحنين إلى أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها –، وتلهف على الأيام التي قضياها معًا حيث يقول: «ومن المحتمل أن محمدًا

---

(١) محمد رسول الله، مرجع سابق، ص: ٧١.

(٢) توماس كارليل، مرجع سابق، ص: ٦٩.

(٣) محمد نبي لزماننا، مرجع سابق، ص: ٨٢.

(٤) محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، شمس الدين (ولد٦٧٣ – توفي٧٤٨ هـ = ١٢٧٤ – ١٣٤٨ م) مولده ووفاته في دمشق،تصانيفه كبيرة كثيرة تقارب المئة، منها دول الإسلام،تاريخ الإسلام الكبير ، سير النبلاء ، الكاشف في تراجم رجال الحديث، العبر في خبر من غبر ،الإمامة الكبرى .انظر الاعلام مرجع سابق (٣٢٦/٥)

(٥) سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ٢/ ١٠٩.

سيتحسر بين نعيم الحريم، بين نسائه الاثنتي عشرة، اللاتي تزوجهن إما عن حب وإما عن سياسة، على ما كان يلاقيه من الهناء في منزل خديجة ذات الحلم والدعة»(١).

وسيدخل بعدها في حياته ﷺ نساء ذوات عدد، لكن مكانها في قلبه، وسيظل أبدًا مخلصًا لهذه الزوجة التي انفردت به ﷺ وببيته، ولم تشركها أخرى فيه، ولم يلح في أفقه ظل شريكة سواها(٢).

أما المستشرق إرفنج فينقل ما جاء في كتب السير حيث يقول: «وبرغم شباب عائشة وجمالها، لم تستطع أن تزيل محبة محمد لخديجة». قالت عائشة عن خديجة يومًا للرسول: ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين، هلكت في الدهر أبدلك الله خيرًا منها؟ فغضب الرسول وقال: «والله ما أبدلني خيرًا منها، آمنت بي حين كفر الناس. وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني منها الله الولد دون غيرها من النساء»(٣).

ويزعم المستشرق سفاري بأن حب النبي ﷺ لخديجة كان بسبب الثراء حيث يقول: «لقد أثرى هذا الزواج محمدًا لكنه لم يفقده توازنه، ولقد أحب النبي ﷺ طوال حياته المرأة التي كانت سببًا في ثرائه»(٤).

لقد افترى سفاري في زعمه فما كان المال وحده هو الذي جذب محمد ﷺ وجعله يحب خديجة، وإنما أحبها من أجل جمال شخصيتها، وحسن خُلقها، ولطف سجاياها، ورجاحة عقلها، وإيمانها ببعثته ﷺ، وبالولد منها(٥).

جاء في صحيح البخاري ومسلم أنه ﷺ قال: «إني رزقت حبها»(١).

---

(١) حياة محمد، مرجع سابق، ص: ١٦٩.

(٢) نساء النبي، عائشة عبد الرحمن الشاطئ، ص: ٥١، (دار الكتاب العربي، ١٣٩٩).

(٣) محمد وخلفاؤه، مرجع سابق، ص: ١٢٩. انظر: سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ٢/ ١١٢، الاستيعاب في أسماء الأصحاب، مرجع سابق، ٤/ ١٨٢٤.

(٤) السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون، مرجع سابق، ص: ٤٢.

(٥) نساء النبي، مرجع سابق، ص: ٥٤.

وعن عائشة – رضي الله عنها –: قالت «ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة وما رأيتها، ولكن كان النبي ﷺ يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة فربما قلت له كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة فيقول إنها كانت وكانت، وكان لي منها ولد»(٢).

قال القرطبي(٣): كان حبه ﷺ لها لأسباب كثيرة كل منها كان سببًا في إيجاد المحبة ومنها الولد(٤).

وينسب المستشرق بودلي فضل دعوة النبي ﷺ وتبليغ أمته إلى أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها –.

فيقول: «فإنه بفضلها قد حدث كل هذا، وإنه بفضلها كان كل ما كان وبقي محمد مدة طويلة لا يتحرك، وما تحرك حتى كان على ثقة من أن هذه المرأة التي أحبها قد عرفت أنها المرأة الوحيدة التي كانت تعينه دومًا على الرغم من أي مظهر من المظاهر التي تدل على نقيض ذلك»(٥).

=

(١) صحيح البخاري،ح ٣٨١٦، كتاب مناقب الأنصار ، باب تزويج النبي صلى الله عليه وسلم خديجة ، ٥ / ٣٨، صحيح مسلم، ح ٢٤٣٤، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله تَعَالَى عنها، ٤/ ١٨٨٨.

(٢) صحيح البخاري، ح ٣٨١٦، كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي صلى الله عليه وسلم خديجة، ٥ / ٣٨، صحيح مسلم، ح ٢٤٣٤، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله تَعَالَى عنهان ١٨٨٨/٤.

(٣) القرطبي (ولد ٥٧٨ – توفي ٦٥٦ هـ = ١١٨٢ – ١٢٥٨ م)أحمد بن عمر بن إبراهيم، أبو العباس من كتبه المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم شرح به كتابا من تصنيفه في اختصار مسلم،وكتاب اختصار صحيح البخاري . انظر: الأعلام، مرجع سابق، ١/ ١٨٦.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري مرجع سابق، ٧/ ١٣٧.

(٥) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٣٩٣.

لقد بالغ المستشرق بودلي في مكانة وفضل خديجة على النبي ﷺ وذلك بقوله: «وبقي مدة طويلة لا يتحرك، وما تحرك حتى كان على ثقة من هذه المرأة» حيث إن النبي ﷺ قام بالدعوة والتبليغ بأمر من ربه عز وجل ولم ينتظر حتى يثق بهذه الزوجة قال الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥﴾ [المدثر: ١ – ٥]

لا ننفي فضل أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها – فقد كانت خير معين للنبي ﷺ تثبته وتطمئنه، وخير شاهد على ذلك موقفها من الوحي ومن بعثته ﷺ، لكنه ليس كما زعم المستشرق بودلي.

ـ ومن إكرام النبي ﷺ لأم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها – ومكانتها عنده أنه لم يتزوج ولم يتسرى بغيرها حتى ماتت، فعن عروة عن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – قالت: «لم يتزوج النبي ﷺ على خديجة حتى ماتت» رواه مسلم(١).

وهذه من الخصائص التي انفردت بها أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها – دون سائر أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن – قال ابن حجر: «وهذا مما لا اختلاف فيه بين أهل العلم بالأخبار، وفيه دليل على عظم قدرها عنده وعلى مزيد فضلها؛ لأنها أغنته عن غيرها واختصّت به بقدر ما اشترك فيه غيرها مرتين؛ لأنه ﷺ عاش بعد أن تزوجها ثمانية وثلاثين عاما انفردت خديجة منها بخمسة وعشرين عاما، وهي نحو الثلثين من المجموع، ومع طول المدة فصان قلبها فيها من الغيرة ومن نكد الضرائر الذي ربما حصل له هو منه ما يشوش عليه بذلك، وهي فضيلة لم يشاركها فيها غيرها»(٢).

وكتب جمهور المستشرقون عن إكرام النبي ﷺ لأم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها – وانفرادها به ﷺ ما يوافق السيرة النبوية حيث يقول المستشرق بودلي: «ولم تشاطر قلبه امرأة

---

(١) صحيح مسلم، ح ٢٤٣٦، كتاب الفضائل، باب فضائل أم المؤمنين خديجة، ٤/ ١٨٨٩.

(٢) فتح الباري، مرجع سابق، ٧/ ١٣٧.

أخرى مع أنه كان من المألوف في بلاده تعدد الزوجات ومهما قيل في حياة محمد العاطفية، فقد كانت خديجة المرأة الأولى والأخيرة في حياته»(١).

ويتابع قائلًا: «وكانت خديجة سعيدة جدًا فقد كان حنان محمد يزداد على الأيام، ولم يتغير تقديره لها، فظل كما كان ليلة زواجه الأولى، فما أساء إليها بإشراك زوجة أخرى معها في حياته، وما كانت خديجة لتعرف على التحديد ما يدور بخلد زوجها، ولكنها لم تثقل عليه بالسؤال، ولم تشغل بالها بذلك»(٢).

وفي موجز دائرة المعارف: «ولم يتزوج النبي ﷺ سوى خديجة طوال حياتها، التي عرف عنها علو المكانة في المجتمع، وقد استعان النبي ﷺ بمال خديجة في جهاده، على أن شخصية خديجة كانت فيما يظهر ذات أثر عميق في حياة زوجها»(٣).

ويرجع المستشرق آتين دينيه سبب انفرادها برسول الله ﷺ إلى ثقلها ومكانتها في نفسه، ودماثة خُلقها حيث يقول: «كانت لخديجة في نفس رسول الله ﷺ جاذبية قوية لطيفة، فلم يشرك معها غيرها طيلة حياتها ورغم أنه كان في ريعان شبابه فإنه لم يقبل الزواج بأخرى، مع أن التقاليد كانت تسمح بذلك ومع أن الأسباب من كل جانب كانت تمهد له وتغري به»(٤).

ويرى ثلة من المستشرقين أن بواعث الزواج مهيئة للنبي ﷺ، فقد كان التعدد مقبولًا في أعراف العرب وكانت زوجه خديجة – رضي الله عنها – أكبر منه سنًّا؛ إلا أنه لم يثنه هذا عن الوفاء لخديجة – رضي الله عنها – وحسن العشرة وحفظ الود لها.

يقول المستشرق سفاري: «وبقدر ما عاشت معه قام قانون بلاده الذي كان يبيح له الزواج بأكثر من واحدة فإن الرخاء لم يغير قلبه»(٥).

---

(١) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٦٣.

(٢) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٦٩.

(٣) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ٤٥٧٢.

(٤) محمد رسول الله، مرجع سابق، ص: ١٠٥.

(٥) السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون، مرجع سابق، ص: ٤٢.

وتضيف أمسترونج فتقول: «أحب محمد ﷺ خديجة ولم يتخذ زوجة أخرى شابة معها، مع أن ذلك مقبولًا في أعراف العرب»(١).

ويتحدث إميل درمنغم فيقول: «ظل وفيًا لخديجة ربع قرن مع أنها أكبر منه سنًا، وخديجة هذه بدت عاملة له بكل ما يقوم به النساء مجتمعات فكانت له الزوجة والمحبة والأم والصديقة والنجية –مؤنث النجي وهي من تسارّه– والكاشفة للغم»(٢).

ويؤيده المستشرق إرفنج بقوله: «برغم أن خديجة كانت أكبر سنًا من محمد، الذي كان في ريعان الشباب، وبرغم أنه كان من عادة العرب تعدد الزوجات، فقد ظل محمد زوجًا مخلصًا لها إلى اللحظة الأخيرة، فلم يقبل الزواج بأخرى»(٣).

ويتبع مونتجمري وات بقوله: «ولم يتخذ محمد أية زوجة أخرى عندما كانت خديجة على قيد الحياة»(٤).

– ولأم المؤمنين خديجة بنت خويلد – رضي الله عنها – مكانة عظمى في الأجر والمنزلة، فقد اختارها الله لتكون زوجة أفضل الخلق محمد ﷺ وجعل لها السبق والفضل بين نساء العالمين، ووهبها الكمال والخيرية في الدنيا والآخرة.

فقد جاء في صحيح البخاري٥ومسلم١عن هشام، عن أبيه، قال: سمعت عبد الله بن جعفر، يقول: سمعت عليا، بالكوفة يقول: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد»(٢)

(١) محمد نبي لزماننا، مرجع سابق، ص: ٣٧.

(٢) حياة محمد، مرجع سابق، ص: ٦٩.

(٣) محمد وخلفاؤه، مرجع سابق، ص: ٩١.

(٤) محمد النبي ورجل الدولة، مرجع سابق، ص: ١٠٢.

(٥) محمد بن إسماعيل البخاري، (ولد١٩٤ – توفي٢٥٦ هـ = ٨١٠ – ٨٧٠ م) حبر الإسلام، والحافظ لحديث رسول الله صلّى الله عليه وسلم، صاحب الجامع الصحيح المعروف بصحيح البخاري، والضعفاء في رجال الحديث،والأدب المفرد انظر الاعلام مرجع سابق (٣٤/٦)

وعن ابن عباس رضي الله عنه، قال: خط رسول الله ﷺ في الأرض أربعة خطوط، قال: «تدرون ما هذا؟» فقالوا: الله ورسوله أعلم. فقال رسول الله ﷺ: «أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران»[٣]

ولهذه المنزلة والمكانة التي تبؤتها أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها – حبر المستشرقون عنها وعن فضلها، حيث دون المستشرق غوستاف لوبون عن كمالها فقال: «خديجة هي ثالث نساء العالم الأربع الكاملات»[٤]

ويقول آتين دينيه: «ورغم جمال عائشة وذكائها وما تحلت به زوجاته الأخريات من جمال وفطنة فإنه كان دائمًا يفضل خديجة عليهن ويعدها واحدة من أربع نساء هن أكمل من وجد على ظهر هذه البسيطة أما الثلاث الأخريات منهن آسيا امرأة فرعون التي أنقذت موسى، ومريم أم عيسى، وفاطمة الزهراء بنت محمد من خديجة»[٥].

ويضيف بودلي قائلًا: «إن محمدًا ليضع خديجة دائمًا في مكانة خاصة تختلف عن مكانة هؤلاء الفتيات اللائي كن يجلبن السرور إليه ويسلينه، فقد كان يهتم بأقاربها ويثير عائشة بقوله: إن خديجة خير نساء العالمين»[٦].

=

(١) مسلم بن الحجاج بن مسلم (ولد٢٠٤ – توفي ٢٦١ هـ = ٨٢٠ – ٨٧٥ م)من أئمة المحدثين. من أشهر كتبه صحيح مسلم جمع فيه اثني عشر ألف حديث، كتبها في خمسة عشر سنة، وهو أحد الصحيحين المعول عليهما عند أهل السنة،. انظر الاعلام مرجع سابق (٧/٢٢١)

(٢) صحيح البخاري،ح ٣٤٣٢، كتاب الأنبياء، باب إذ قالت الملائكة يا مريم وباب تزويج النبي ﷺ خديجة ٤/ ١٦٤، صحيح مسلم،ح،٢٤٣٠، باب فضائل خديجة أم المؤمنين – رضي الله عنها – ٤/ ١٨٨٦ رقم الحديث .

(٣) سنن النسائي، ح ٨٣٠٦، كتاب الفضائل، باب خديجة بنت خويلد ٧/ ٣٩١، وصححه ابن حبان، ح ٧٠١٠ ، ١٥/ ٤٧٠.

(٤) حضارة العرب، مرجع سابق، ص: ١١٧.

(٥) محمد رسول الله، مرجع سابق، ص: ١٠٥، بودلي، ص: ٣١٧.

(٦) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٣١٧.

ولقد حفظ النبي ﷺ لأم المؤمنين خديجة بنت خويلد – رضي الله عنها – فضلها ومنزلتها، وكان لها وفيًا في حياتها وبعد مماتها، فكان وفائه لها مضرب المثل، ومن صور ومظاهر وفائه عليه الصلاة والسلام ذكرها وكثرة الثناء عليها، وبر أقاربها وصديقاتها حتى أن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – أحب أزواجه إليه غارت منها. فعن عائشة – رضي الله عنها –، قالت: استأذنت هالة بنت خويلد، أخت خديجة، على رسول الله ﷺ، فعرف استئذان خديجة فارتاع[١] لذلك، فقال: «اللهم هالة». قالت: فغرت، فقلت: ما تذكر من عجوز من عجائز قريش، حمراء الشدقين، هلكت في الدهر، قد أبدلك الله خيرا منها»[٢].

وأخرج البخاري في صحيحه عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة وما رأيتها ولكن كان النبي ﷺ يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صواحب خديجة فربما قلت له كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة «فيقول: إنها كانت وكانت، وكان لي منها ولد»[٣].

قال النووي[٤]: في هذه الأحاديث دلالة لحسن العهد وحفظ الود ورعاية حرمة الصاحب والمعاشر حيا وميتا وإكرام معارف[٥].

يقول المستشرق توماس كارليل: «ما انفك محمد يذكر خديجة حتى لقي ربه حتى أن عائشة زوجه الصغيرة المحبوبة تلك التي اشتهرت بين المسلمين بجميع المناقب والفضائل طوال

---

(١) فارتاع: تغير واهتز سرورا بذلك. ارتاع للخبر وارتاح له بمعنى واحد، انظر: لسان العرب، مرجع سابق، ٨/ ١٣٧.

(٢) صحيح البخاري، ح ٣٨٢١، كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي ﷺ، ٥/ ٣٩، صحيح مسلم، ح ٢٤٣٧، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب فضائل أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها – ٤/ ١٨٨٩.

(٣) صحيح البخاري، ح ٣٨١٨، كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي صلى الله عليه وسلم خديجة وفضلها رضي الله عنها، ٥/ ٤٨، صحيح مسلم، ح ٢٤٣٥، في فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، ٤/١٨٨٨.

(٤) النووي (ولد٦٣١ – توفي٦٧٦ هـ = ١٢٣٣ – ١٢٧٧ م) يحيى بن شرف النووي، أبو زكريا،من كتبه تهذيب الأسماء واللغات ومنهاج الطالبين و رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين وبستان العارفين والأربعون حديثا النووية .انظر: الأعلام، مرجع سابق، ٨/ ١٤٩.

(٥) فتح الباري، مرجع سابق، ٧/ ١٣٧.

حياتها هذه السيدة البارعة الجمال والفطنة سألته ذات يوم ألست الآن أفضل من خديجة؟ لقد كانت أرملة مسنة قد ذهب جمالها وأراك تحبني أكثر مما كنت تحبها فأجاب محمد كلا والله لست أفضل منها وكيف وهي التي آمنت بي والكل كافر ومنكر ولم يكن لي في هذا العالم إلا صديق واحد – وهذا الصديق هي»[١].

ويتحدث آتين دينيه عن ذكر وثناء النبي ﷺ لخديجة فيقول: «وإذا كانت قد فارقته فإن ذكراها دائمًا كانت على لسانه، وكانت عائشة التي صارت زوج الرسول ﷺ المفضلة تجد لذع الغيرة وتحس به في قسوة» وتقول: «لم تستول على قلبي الغيرة من أية واحدة من زوجات الرسول سوى خديجة رغم أني لا أعرفها ورغم أنها ماتت قبل زواجي بزمن طويل إلا أن الرسول ﷺ يردد دائمًا ذكراها ويحفظها حينما ينحر خروفًا بجزء كبير لصديقات خديجة.

وقلت له مرة: يظهر أنه لم يوجد في العالم من النساء غير خديجة فأخذ مباشرة في تعداد فضائلها وأعلن أن لها في الجنة بيتًا من اللؤلؤ تنعم فيه بما تريد. ودخلت عليه هالة بنت خويلد، ذات يوم فعرف في لهجتها وحديثها لهجة خديجة وحديثها، فأثار ذلك في نفسه الشجن فلم أتمالك نفسي من الغيرة وقلت حانقة: ما لك تثير دائمًا ذكريات عجائز قريش ذوات الأنياب الحمراء والأسنان الساقطة والوجه الذي ذهبت بنضارته السنون؟ ألم يعوضك الله خيرًا منها؟»[٢].

وتقول كارين أمسترونج في فضل خديجة – رضي الله عنها – وغيرة أزواجه ﷺ منها: «لقد كانت أول من اكتشفت أصالة محمد ﷺ، ولأنه فقد أمه مبكرًا فق أخلص لها العاطفة واعتمد على نصيحتا ودعمها وبعد موتها كانت زوجاته يغرن من كثرة حديثه القلبي عنها»[٣].

---

(١) محمد المثل الأعلى، مرجع سابق، ص: ٧٥.

(٢) محمد رسول الله، مرجع سابق، ص: ١٠٥.

(٣) محمد نبي لزماننا، مرجع سابق، ص: ٣٨.

ويضيف ول ديورانت فيقول: «وكانت وقتئذ أرملة غنية وكانت سيدة طيبة وزوجة صالحة وتاجرة بارعة، ظلت وفية لمحمد في صروف حياته الروحية، وظل يذكرها بعد وفاتها أنها خير نسائه كلهن»(١).

- ومن فضلها ومنزلتها سلام الله عليها وتبشيرها ببيت في الجنة فعن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: أتى جبريل النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام، أو طعام، أو شراب فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه، ولا نصب»(٢).

قال ابن القيم رحمه الله: وأرسل الله إليها السلام مع جبريل، وهذه خاصة لا تعرف لامرأة سواها(٣)، وقال ابن حجر: «قيل إنما بلغها جبريل عليه السلام من ربها بواسطة النبي ﷺ احتراما للنبي ﷺ وكذلك وقع له لما سلم على عائشة لم يواجهها بالسلام بل راسلها مع النبي ﷺ(٤).

وأخرج مسلم في صحيحه عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، قالت: «بشر رسول الله ﷺ خديجة بنت خويلد ببيت في الجنة»(٥) قال ابن حجر رحمه الله: «قوله وأمره الله أن يبشرها... ... ... من جملة أسباب غيرة عائشة - رضي الله عنها - لأن اختصاص خديجة بهذه البشرى مشعر بمزيد محبة من النبي ﷺ فيها»(٦).

ويرى جمع من المستشرقين أن هذه الفضيلة خففت من حزن النبي ﷺ كما يروي المستشرق إرفنج حيث يقول: «حزن محمد على وفاة خديجة وارتدى ثياب الحداد عليها وعلى

(١) قصة الحضارة، مرجع سابق، ١٣، ص: ٢٢.

(٢) صحيح البخاري، ح ٣٨٢٠، كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي صلى الله عليه وسلم خديجة وفضلها رضي الله عنها، ٥/ ٣٩، صحيح مسلم، ح ٢٤٣٢، في فضائل الصحابة باب فضائل خديجة رضي الله عنها ١٨٨٨/٤.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، ط٢٧، ١/ ١٠٢، (مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م).

(٤) فتح الباري، مرجع سابق، ٧/ ١٣٩.

(٥) صحيح مسلم، ح ٢٤٢٣، كتاب المناقب، باب فضائل خديجة أم المؤمنين - رضي الله عنها - ٤/ ١٨٨٨.

(٦) فتح الباري، مرجع سابق، ٧/ ١٣٦.

عمه أبي طالب وسمي ذلك العام بعام الحزن، ولم يخفف من حزن محمد، كما يقول أبو هريرة إلا حينما أكد جبريل له أن خديجة سيكون لها بيت في الجنة من فضة جزاء لها على صدق إيمانها وتضحياتها في سبيل الإسلام»[١].

ويتحدث المستشرق إميل درمنغم فيقول: «وفقد محمد بوفاة خديجة تلك التي كانت أول من علمت أمره، تلك التي لم تكف عن إلقاء السكينة إلى قلبه، تلك التي كانت تشمله بحب الأزواج وحنو الأمهات، تلك التي طلب منه جبريل ذات مرة أن يبلغها بقوله: «بشر خديجة ببيت في الجنة من قصب «تلك التي بلغت الستين من عمرها فلم يفكر في الزواج بغيرها مادامت حيةً ، بل بقي آيةً في الوفاء لها»[٢].

لقد كانت أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها – رفيعة القدر في نفس رسول الله ﷺ، فقد أعطته الكثير من نفسها ومالها وصبرها، وكان وفاؤه لها أعجب، فقد بقي ذكرها في قلبه، وبقي إحسانه ووده لها بعد مماتها – رضي الله عنها –.

(١) محمد وخلفاؤه، مرجع سابق، ص: ٩١.

(٢) حياة محمد، مرجع سابق، ص: ١٥٢.

المبحث الثاني

موقفهم من مكانة وفضل عائشة بنت أبي بكر – رضي الله عنها –

نالت أم المؤمنين عائشة بنت الصديق – رضي الله عنها – مكانة في قلب رسول الله، واعتلت منزلتها في المحبة والفضل فلم يصل إليها غيرها من أمهات المؤمنين، فقد كان ﷺ يراعي صغر سنها ويتعهدها بما يسرها ويفرح قلبها، وكانت هي من أرضى وأسعد الناس حياةً مع رسول الله ﷺ فقد عاشت في كنف الحب واللطف والمؤانسة والوفاء – رضي الله عنها –.

فعن عمرو بن العاص ﷺ، أن النبي ﷺ، بعثه على جيش ذات السلاسل، قال فأتيته فقلت: «أي الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة»، فقلت: من الرجال؟ فقال: «أبوها»، قلت: ثم من؟ قال: «ثم عمر بن الخطاب» فعد رجالًا[(١)].

هذا وقد كان الصحابة – رضي الله عنهم– أجمعين قد علموا حب رسول الله لها وأقروا لها بذلك فإذا كان عند أحدهم هدية يريد أن يهديها إلى رسول الله ﷺ كان يتحرى يوم عائشة – رضي الله عنها – مما أثار ذلك غيرة أمهات المؤمنين، فعن هشام عن أبيه، قال: كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، قالت عائشة: فاجتمع صواحبي إلى أم سلمة، فقلن: يا أم سلمة، والله إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، وإنا نريد الخير كما تريده عائشة، فمري رسول الله ﷺ أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيث ما كان، أو حيث ما دار، قالت: فذكرت ذلك أم سلمة للنبي ﷺ، قالت: فأعرض عني، فلما عاد إلي ذكرت له ذاك فأعرض عني، فلما كان في الثالثة ذكرت له فقال: «يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة، فإنه والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها»[(٢)].

---

(١) صحيح البخاري، ح ٣٦٦٢، كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لو كنت متخذا خليلا»، ٥/ ٥، صحيح مسلم، ٢٣٨٤، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب فضائل أبي بكر رضي الله عنه ، ٤/ ١٨٥٦.

(٢) صحيح البخاري، ح ٣٧٧٥، كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب فضل عائشة رضي الله تعالى عنها، ٥/ ٣٠، صحيح مسلم، ح ٢٤٤١، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب فضل عائشة ٤/ ١٨٩١.

ولهذه المكانة والمنزلة التي تناقلتها كتب السنه والسيرة والتاريخ والتراجم حول أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – وقف منها جمهور المستشرقين موقفًا منصفًا إلا أن هذا الموقف لم يثنهم عن التقليل من شأن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – حيث أنهم اقروا بمنزلتها وفضلها عند النبي ﷺ لكنهم طعنوا في خلقها ووفائها للنبي ﷺ.

يقول المستشرق بودلي في حب النبي ﷺ لأم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – ومكانتها عنده: «إن محمدًا يحب عائشة، وإنه ليحبها كما أحب خديجة، ولكن بطريقة أخرى، فإنه أحبها أكثر مما أحب أية امرأة أخرى كانت في حياته، وما كان يستطيع أن يصدق أن هذه الفتاة الصغيرة التي كانت له دائمًا صديقة كما كانت حبيبة، قادرة على أن تخونه متعمدة، وإن ما بلغه قد أزعجه حتى أنه لم يقدر على أن يتهم عائشة مباشرة ولكنه أعرض عنها.»(١)

ويقول في موضع أخر: «وكان رسول الله ﷺ إذا خرج من المدينة يقرع بين نسائه، ولم يمنعه هذا من تفضيل عائشة دائمًا وكانت تعلم ذلك فتستغله لصالحها»(٢).

فالمستشرق بودلي أنصف في محبة النبي ﷺ لأم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – وذكر مكانتها عنده وفضلها بين أزواج النبي ﷺ لكنه نسب إليها الخيانة واتهمها بذلك فقال: «قادرة على أن تخونه متعمدة «وافترى عليها حين قال: «وكانت تعلم ذلك فتستغله لصالحها. «وهذا حال المستشرق بودلي في كتاباته عن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – حيث يلصق الافتراءات والكذب كما سيأتي في عرضه لحادثة الإفك.

ومثله كتب المستشرق إميل درمنغم حيث يقول: «وكانت عائشة أنيقة لبقة فاتنة فكان لها سلطان على قلب زوجها، وقد جمعت في كتاب أقاصيص عن نساء قبيلتها بني تميم فظهر منها أنهن نكدات مهيمنات على أزواجهن.»(٣)

وهنا أراد المستشرق درمنغم أن يطعن في خُلق ومعاملة أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – تجاه النبي ﷺ لكنه بشكل غير مباشر، وذلك حين قدح في خُلق نساء قبيلة بني تيم،

(١) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٢٦٥.

(٢) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٣١٧٩.

(٣) حياة محمد، مرجع سابق، ص: ٣٢١.

وهذا كله من خيال وافتراءات درمنغم حيث لم يرد ما يثبت قوله في السيرة النبوية؛ وإنما حمله على ذلك انتساب أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – لقبيلة بني تميم، كما ذكر أصحاب التاريخ والسير والتراجم في ترجمتها فقالوا: هي أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، بن كعب بن لؤي ؛ القرشية التيمية، المكية، النبوية[١].

ويلتقي نسبها مع النبي ﷺ في مرة[٢].

وعن تملك أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – لقلب النبي ﷺ وظفرها بمحبته يقول المستشرق إرفنج: «وبرغم جمال حفصة، فقد ظل لعائشة المكان الأول في قلب الرسول»[٣].

وفي موضع أخر يقول: «انفصل الرسول عن عائشة نحو شهر –في حادثة الإفك – وإن ظل قلبه متعلقًا بها، لا لجمالها فحسب، بل لصفاتها وحسن عشرتها»[٤].

ويضيف: «كان النبي ﷺ يخدم نفسه بنفسه واضعًا لكل زوجة من زوجاته غرفة منفصلة ملحقة بالمسجد، ويعدل بينهن رغم تفضيله القلبي لعائشة – رضي الله عنها –»[٥].

ويتحدث المستشرق بودلي عن موقف أم المؤمنين عائشة من هذه المكانة فيقول: كانت عائشة آمنة مطمئنة على مكانتها في قلب النبي ﷺ حيث لم تخشى من زواج النبي ﷺ بغيرها: «وفي أسابيع قليلة اقتنعت عائشة أنه إذا تركت مسألة العلاقة الزوجية بين محمد وعروسه الجديد

(١) الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ٨/ ٤٦، سيرأعلام النبلاء، مرجع سابق، ٢/ ١٣٥.

(٢) تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي، تحقيق حمدي الدمرداش ، ط١، ص: ٢٦، (مكتبة نزار مصطفى الباز: ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م)، تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية ١١-٤٠هـ، محمد سهيل طقوش، ص: ١٣، ط٢، (١٤٣٢ - ٢٠١١، دار النفائس).

(٣) محمد وخلفاؤه، مرجع سابق، ص: ١٥٢.

(٤) محمد وخلفاؤه، مرجع سابق ص: ١٧١.

(٥) محمد وخلفاؤه، مرجع سابق، ص: ٢٠٦.

-حفصة - جانبًا، فإن زوجها لا يزال قريبًا منها، كما كان من قبل زواجه، وما كانت عائشة لتخشى أن تفوقها أخرى في مسألة مشاركة محمد فراشه إلا من حيث الجدة.»[١].

ولمكانتها وأفضليتها اصطفها النبي ﷺ وفضلها على النساء فعن أبي موسى رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء: إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»[٢] وفي فضلها عند النبي ﷺ وتميزها على أمهات المؤمنين ينقل المستشرق إميل درمنغم ما جاء في السيرة النبوية فيقول: «وكان الناس يعرفون تفضيل النبي لعائشة بنت أبي بكر على غيرها من نسائه، فيرى بعضهم إهداء شيء إليه يوم يكون عندها، وأرسل بعض نسائه أم سلمة لتشكو إليه ذلك فأعرض عنها مرتين، فلما كلمته في المرة الثالثة قال لها: يا أم سلمة، لا تؤذيني في عائشة فإنه والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها.

فأهرعت أم سلمة إلى فاطمة لتدعوه إلى الإنصاف، فقال لها النبي هل تحبين من أحبه؟

فلما ردت فاطمة عليه بالإيجاب قال لها: إذن أحبي عائشة فلم تعد فاطمة إلى مثل ذلك مرة أخرى. هنالك أُرسلت زينب الحسناء إليه، فقالت بصوت عال: إن أزواجك ينشدنك العدل في ابنة أبي قحافة. فسمعت عائشة ذلك من بعيد فالتفت محمد ليرى ماذا تصنع، فأثارت هذه الزوجة المفضلة زينب بالكلام فأسكتتها فقال محمد بإعجاب: إنها بنت أبي بكر[٣]، وهذا ما أخرجه البخاري في صحيحه وقد تقدم ذكره في فضل عائشة ومعرفة الصحابة رضي الله عنهم ذلك وتحري يوم عائشة بإرسال هداياهم.

وعن هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة - رضي الله عنها - «أن نساء رسول الله ﷺ كن حزبين فحزب فيه عائشة وحفصة وصفية وسودة والحزب الآخر أم سلمة وسائر نساء

---

(١) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٢١٠.

(٢) صحيح البخاري، ح ٣٤١١، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ [التحريم: ١١]، ٤/ ١٥٨، صحيح مسلم، ح ٢٤٣١، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب فضائل أم المؤمنين خديجة - رضي الله عنها - ٤/ ١٨٨٦.

(٣) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٣٢٣، ٣٢٤.

رسول الله ﷺ وكان المسلمون قد علموا حب رسول الله ﷺ عائشة فإذا كانت عند أحدهم هدية يريد أن يهديها إلى رسول الله ﷺ أخرها حتى إذا كان رسول الله ﷺ في بيت عائشة بعث صاحب الهدية بها إلى رسول الله ﷺ في بيت عائشة فكلم حزب أم سلمة فقلن لها كلمي رسول الله ﷺ يكلم الناس فيقول من أراد أن يهدي إلى رسول الله ﷺ هدية فليهده إليه حيث كان من بيوت نسائه، فكلمته أم سلمة بما قلن فلم يقل لها شيئًا فسألنها فقالت: ما قال لي شيئًا فقلن لها: فكلميه قالت: فكلمته حين دار إليها أيضًا فلم يقل لها شيئًا فسألنها فقالت: ما قال لي شيئًا فقلن لها: كلميه حتى يكلمك فدار إليها فكلمته فقال لها: لا تؤذيني في عائشة فإن الوحي لم يأتني وأنا في ثوب امرأة إلا عائشة قالت: فقلت: أتوب إلى الله من إيذائك يا رسول الله ثم إنهن دعون فاطمة بنت رسول الله ﷺ فأرسلت إلى رسول الله ﷺ تقول: إن نساءك ينشدنك الله العدل في بنت أبي بكر فكلمته فقال: يا بنية ألا تحبين ما أحب؟ قالت: بلى فرجعت إليهن فأخبرتهن فقلن: ارجعي إليه فأبت أن ترجع فأرسلن زينب بنت جحش فأتته فأغلظت وقالت: إن نساءك ينشدنك الله العدل في بنت ابن أبي قحافة فرفعت صوتها حتى تناولت عائشة وهي قاعدة فسبّتها حتى إن رسول الله ﷺ لينظر إلى عائشة هل تكلّم قال فتكلّمت عائشة ترد على زينب حتى أسكتتها قالت: فنظر النبي ﷺ إلى عائشة وقال: إنها بنت أبي بكر»(١).

وتتحدث المستشرقة أمسترونج فتقول: فضل النبي ﷺ عائشة - رضي الله عنها - واختارها لمصاحبته في غزوة بني المصطلق «مثلت عائشة هدفًا سهلًا فهي المفضلة لدى محمد وجميلة مفعمة بالحيوية اختار محمد ﷺ عائشة لمصاحبته في حملة ضد حلفاء قريش والذي عسكر بجنوده قريبًا من المدينة بشكل يمثل تهديدًا لها»(٢).

ويقول المستشرق إرفنج: إن من بواعث تفضيل النبي ﷺ لعائشة كونها بكرًا من بين

---

(١) صحيح البخاري، ح ٢٤٤٢، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب من أهدى إلى صاحبه وتحرى بعض نسائه دون بعض، ٢/ ٩١١، صحيح مسلم ، ح ٢٤٤٢، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب في فضل عائشة - رضي الله عنها - ٤/ ١٨٩١.

(٢) محمد نبي لزماننا، مرجع سابق، ص: ١٥٦.

أزواجه: «ولهذه المختارة من بداية زهرة عمرها كانت تتجه عاطفة الرسول ﷺ أكثر من سواها من زوجاته المتتابعات اللواتي كن كلهن متزوجات من رجال قبله، خاصة أن عائشة – رضي الله عنها – هي العذراء الوحيدة بين يديه»[١] وفي موضع آخر يقول: «كانت عائشة أقرب زوجات الرسول إلى قلبه، فقد كانت عائشة هي العذراء الوحيدة التي بنى بها الرسول»[٢].

ولفضلها ومكانتها عند رسول الله ﷺ كان يفسح لها المجال للعب، ولم يحرمها من هذه المتعة، بل إنه كان يفرح بلعبها ويضحك حتى ترى نواجذه. فعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: «كنت ألعب بالبنات عند النبي ﷺ، وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتقمعن منه، فيسربهن إلي فيلعبن معي»[٣].

وكان ﷺ دائما يحب أن يدخل الفرح والبهجة على قلبها، فيحملها على عاتقه لتشاهد الحبشة وهم يلعبون، فعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: «رأيت رسول الله ﷺ يقوم على باب حجرتي، والحبشة يلعبون بحرابهم، في مسجد رسول الله ﷺ، يسترني بردائه، لكي أنظر إلى لعبهم، ثم يقوم من أجلي، حتى أكون أنا التي أنصرف، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن، حريصة على اللهو»[٤].

وكتب المستشرقون عن مشاركة النبي ﷺ لعائشة في لعبها وملاطفتها وتبسطه معها فقالوا: «انتقلت عائشة إلى جناح في بيت محمد ﷺ الذي أصبح من بعد مسجد المدينة ولا يمكن أن يكون عمر عائشة في ذلك الوقت أكثر من عشر سنوات وقد حملت معها لعبها إلى سكنها الجديد، وكان محمد يشاركها ألعابها في بعض الأحيان، وكانت عائشة فائقة الجمال طفلة شابة وظلت أحب زوجات النبي ﷺ إليه حتى بعد بنائه بعده بنساء أخريات جميلات، على أن مركز

---

(١) محمد وخلفاؤه، مرجع سابق، ص: ١٥٩.

(٢) محمد وخلفاؤه، مرجع سابق، ص: ٩٣.

(٣) صحيح البخاري، ح ٦١٣٠، كتاب الأدب، باب الانبساط إلى الناس، ٨/ ٣١.

(٤) صحيح البخاري، ح ٤٥٤، كتاب الصلاة، باب أصحاب الحراب في المسجد، ١/ ٩٨، صحيح مسلم، ح ، ح ٨٩٢، كتاب صلاة العيدين، باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه ٢/ ٦٠٩.

عائشة بوصفها الزوجة الأولى في المرتبة كان يرجع من بعض النواحي إلى مكانة أبيها في المجتمع»[(١)].

ويقول المستشرق إميل درمنغم ولفضل أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – ومنزلتها عند النبي صلى الله عليه سلم أنه كان يغض الطرف عنها ويراعي سنها ويُتيح لها اللعب: «كانت عائشة زوج النبي المفضلة، فكان يغضي الطرف عن أعمالها الصبيانية، ولم تلبث عائشة الذكية مع خفة الرشيقة المدللة أن صارت ذات نفوذ كبير، ولم يكن شأن عائشة التاريخي في النصف الأول من القرن الأول من الهجرة ميموناً في كل وقت، وعائشة لم تكن الآن إلا ابنةً صغيرة كثيرة المرح والحيوية نامية الأنوثة، وكانت تلعب بلعب كثيرة وزوجها يغض الطرف أحياناً على كره طاهر منه عن تزيين بيتها بِبُسُط أجنبية جميلة عليها صور وجوه غريبة وخيل مجنحة وسور سود وحيوانات وهمية، فإذا ما حالت هذه البُسُط البغيضة بينه وبين القبلة أمر برفعها لئلا تشغله عن العبادة أو طلب من عائشة تجزئها إلى قطع ليصنع منها وسائد أقل إيذاءً للشعور»[(٢)].

وبهذا بين المستشرق درمنغم مكانة عائشة عند النبي ﷺ ودعابته ومرحه معها عليه الصلاة والسلام، لكنه كما هي عادة المستشرقين ومنهجهم في الكتابة عن أمهات المؤمنين قدح في أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – وحاول أن يقلل من شأنها ومكانتها حين قال: «ولم يكن شأن عائشة التاريخي في النصف الأول من القرن الأول من الهجرة ميموناً في كل وقت». ويريد من هذا أن يقول: أن عائشة – رضي الله عنها – كان لها منزلة وقدرًا عند النبي ﷺ لكن سيرة أم المؤمنين عائشة لم تكن محمودة في التاريخ.

وهذا كذب وتدليس على أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – فقد كانت سيرتها حافلة بالخير والبركة والاجتهاد، والزهد والتقشف منذ نعومة أظفارها، فقد نشأت في بيت يدين بدين الإسلام، بل هي ابنة خير الناس بعد رسول الله ﷺ، فوالدها أبو بكر الصديق رضي الله عنه أول من أسلم من الرجال.

---

(١) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ٧٠٣.

(٢) حياة محمد، مرجع سابق، ص: ١٨٤.

ثم استدل المستشرق درمنغم بموقف حصل بين النبي ﷺ وأم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – فقد جاء في صحيح مسلم عن عائشة – رضي الله عنها –، قالت: دخل علي رسول الله ﷺ، وقد سترت سهوة لي بقرام فيه تماثيل، فلما رآه هتكه وتلون وجهه وقال: «يا عائشة أشد الناس عذابًا عند الله يوم القيامة، الذين يضاهون بخلق الله» قالت عائشة: «فقطعناه فجعلنا منه وسادة أو وسادتين»(١).

ولقدرها في قلب النبي ﷺ وشدة حبه لها كان ينزل إلى رغباتها ويشاركها في السباق فعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: أخبرتني عائشة، أنها كانت مع رسول الله ﷺ في سفر وهي جارية فقال لأصحابه: «تقدموا» ثم قال: «تعالي أسابقك، فسابقته فسبقته على رجلي، فلما كان بعد خرجت معه في سفر» فقال لأصحابه: «تقدموا» ثم قال: «تعالي أسابقك» ونسيت الذي كان وقد حملت اللحم فقلت: كيف أسابقك يا رسول الله وأنا على هذه الحال؟ فقال: «لتفعلن، فسابقته فسبقني» فقال: «هذه بتلك السبقة»(٢).

وكتبت المستشرقة أمسترونج كارين عن معاملة النبي ﷺ لعائشة – رضي الله عنها – وتبسطها معها ومسابقته لها حيث تقول: «كان النبي ﷺ يتبسط مع عائشة أكثر فيسابقها العدو. وكانت تحب أن تدلل محمد ﷺ، تبلل شعرها بالعطر الذي يحبه، وتشرب من القدح نفسه الذي يشرب منه، وفي يوم من الأيام والنبي منهمك في إصلاح نعله وهي تراقبه، رأت على وجه النبي ﷺ نورًا ساطعًا فأخبرته بذلك فقام إليها وقبلها على جبينها قائلًا يا عائشة لعل الله يحسن جزاءك فلست مصدرًا لسعادتك كما أنت مصدرًا لسعادتي»(٣).

صورت المستشرقة أمسترونج كارين من خلال هذا النص شيئًا من معاملة النبي ﷺ لأم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – ومعاملة عائشة للنبي ﷺ وكيف كان بينهم من حسن

---

(١) صحيح البخاري، ح ٥٩٥٤، كتاب اللباس، باب ما وطئ من التصاوير، ١٦٨/٧، صحيح مسلم، ح ٢١٠٧، كتاب اللباس والزينة، باب لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب، ٣/ ١٦٦٨.

(٢) سنن أبي داود في سننه، ح ٢٥٧٨، كتاب الجهاد، باب في السبق على الرجل، ٢ / ٣٣٤ ، سنن ابن ماجه، ١٩٧٩، أبواب النكاح، باب حسن معاشرة النساء، ٣ / ١٤٩، وقال الألباني: في إرواء الغليل، ح ١٥٠٢، ٥/ ٣٢٧: حديث صحيح.

(٣) محمد نبي لزماننا، مرجع سابق، ص: ١٢٩.

العشرة والألفة والملاطفة، وكيف كان رسول الله يسابق أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها –، لكنها أخطأت حين قالت: «وفي يوم من الأيام والنبي منهمك في إصلاح نعله وهي تراقبه..» حيث لم يرد هذا ولم يثبت في السيرة النبوية.

وعن رفيع مقام أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – وعظيم محبتها رغب النبي ﷺ أن يمرض في بيتها واستأذن أزواجه في ذلك فعن عائشة – رضي الله عنها –، «أن رسول الله ﷺ كان يسأل في مرضه الذي مات فيه، يقول: «أين أنا غدًا، أين أنا غدًا» يريد يوم عائشة، فأذن له أزواجه يكون حيث شاء، فكان في بيت عائشة حتى مات عندها، قالت عائشة: فمات في اليوم الذي كان يدور علي فيه، في بيتي، فقبضه الله وإن رأسه لبين نحري وسحري، وخالط ريقه ريقي، ثم قالت: دخل عبد الرحمن بن أبي بكر ومعه سواك يستن به، فنظر إليه رسول الله ﷺ، فقلت له: أعطني هذا السواك يا عبد الرحمن، فأعطانيه، فقضمته، ثم مضغته، فأعطيته رسول الله ﷺ فاستنّ به، وهو مستند إلى صدري»[١].

وهذا من دلائل محبتها وعظم قدرها في قلب رسول الله ﷺ قال ابن بطال رحمه الله[٢]: «استأذن النبي ﷺ أزواجه، أن يمرض في بيت عائشة، وفعل ذلك لأنها كانت أرفق به وألطف بتمريضه مع أن المرض إذا كان ثقيلًا لا يقدر فيه على الانتقال والحركة سقطت القسمة»[٣].

ونقل المستشرقون هذا الفضل الذي حازت عليه أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – في تمريض النبي ﷺ في بيتها وبين سحرها ونحرها كما جاء في السنة والسيرة النبوية وبهذا لم يتبين موقفهم من تمريض النبي ﷺ في بيت عائشة إلا أنها زوجته المفضلة.

---

(١) صحيح البخاري، ح ٤٤٥٠، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ٦/ ١٣، صحيح مسلم، ح ٢٤٤٣، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة رضي الله عنها، ٤/ ١٨٩١.

(٢) ابن بطال (ولد ... – توفي ٤٤٩ هـ = ... – ١٠٥٧ م) علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال، أبو الحسن: عالم بالحديث، من أهل قرطبة. شرح البخاري. الجزء الأول منه والثالث والرابع في الأزهرية. انظر: الأعلام، مرجع سابق، ٤/ ٢٨٥.

(٣) شرح صحيح البخاري، ابن بطال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط٢، ٧/ ٣٤٤، (مكتبة الرشد السعودية، الرياض، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م).

يقول المستشرق كارل بروكلمان: «وماهي إلا فترة قصيرة حتى استأذن نساءه وكان يبيت عند كل منهن ليلة، أن يتمرض في بيت زوجه المفضلة عائشة»[(١)].

وتروي المستشرقة أمسترونج اختيار النبي ﷺ بيت أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – فتقول: «انهارت صحة محمد ﷺ في النهاية، وكان في حجرة ميمونة، فتجمعت عليه زوجاته في حب، ولاحظن أنه يداوم السؤال أين أنا غدًا؟ ففهمن أنه يتطلع ليوم عائشة، فاتفقن على أن يبقى هناك، ورقد محمد ﷺ ساكنًا عند عائشة»[(٢)].

ومن خلال ما سبق من كتابات المستشرقين نجد أنهم مجمعون على فضل أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – ومكانتها عند النبي ﷺ ومحبته لها؛ لذلك نقلوا ما جاء في السنة وكتب السيرة النبوية والتاريخ والتراجم، لكنهم حاولوا أن يطعنوا في أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – ويقللوا من قدرها ويشوهوا سيرتها.

---

(١) تاريخ الشعوب الإسلامية، مرجع سابق، ص: ٦٧.

(٢) محمد نبي لزماننا، مرجع سابق، ص: ١٨٧.

المبحث الثالث

موقفهم من مكانة وفضل بقية أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن –

لقد امتن الله على أمهات المؤمنين بالمنزلة العظيمة والدرجة الرفيعة، فقد شرفن بصحبة النبي ﷺ واخترن الله ورسوله والدار الآخرة فلهن الاحترام والتوقير والإكرام قال الله تعالى ﴿ **يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢** ﴾ [الأحزاب: ٣٢] فلا يماثلهن أحد في الشرف والفضل وعلو المقام، فقد جعل الله لهن منزلة الأمومة للمؤمنين، والمضاعفة في الأجر على الطاعات والأعمال الصالحة قال الله تعالى ﴿ **ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ ٦** ﴾ [الأحزاب: ٦]وقال تعالى ﴿ **وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ٣١** ﴾ [الأحزاب: ٣١].

قال ابن كثير: أي في الجنة فإنهن في منازل رسول الله ﷺ في أعلى عليين، فوق منازل جميع الخلائق في الوسيلة التي هي أقرب منازل الجنة إلى العرش(١).

فهن أزواجه ﷺ في الدنيا والآخرة نالت كل واحدة منهن مكانة وقدرًا في قلب رسول الله ﷺ وسبقت بذلك وحظيت أم المؤمنين خديجة بنت خويلد – رضي الله عنها – ثم أم المؤمنين عائشة بنت الصديق – رضي الله عنها – ثم بقية أزواجه أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن –.

فعن عائشة– رضي الله عنها –، قالت: كانت زينب بنت جحش تساميني في المنزلة عند رسول الله ﷺ، وما رأيت امرأة قط خيرًا في الدين من زينب وأتقى لله، وأصدق حديثًا، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة، – رضي الله عنها –(٢).

---

(١) تفسير ابن كثير، مرجع سابق، ٦/ ٣٦٣.

(٢) انظر: الاستيعاب في أسماء الأصحاب، مرجع سابق، ٤/ ١٨٥١، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ٢/ ٢١٣، تاريخ الإسلام وَوفيات المشاهير وَالأعلام، الذهبي، ط٢، ٢/ ١١٧، (دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٣هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، مرجع سابق، ٨/ ١٥٣، الوافي بالوفيات، مرجع سابق، ١٥/ ٣٩.

قال ابن هشام رحمه الله[١]: «قالت عائشة: ولم تكن من نسائه امرأة تناصيني في المنزلة عنده غيرها»[٢] وأخرج مسلم في صحيحه عن عائشة، زوج النبي ﷺ، قالت: «فأرسل أزواج النبي ﷺ زينب بنت جحش، زوج النبي ﷺ، وهي التي كانت تساميني منهن في المنزلة عند رسول الله ﷺ، ولم أر امرأة قط خيرا في الدين من زينب. وأتقى لله وأصدق حديثًا، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة، وأشد ابتذالا لنفسها في العمل الذي تصدق به، وتقرب به إلى الله تعالى»[٣].

وعن عروة عن عائشة أم المؤمنين قالت: لما توفيت زينب بنت جحش جعلت تبكي وتذكر زينب وترحم عليها. فقيل لعائشة في بعض ذلك فقالت: كانت امرأة صالحة. قلت: يا خالة أي نساء رسول الله ﷺ كانت آثر عنده؟ فقالت: ما كنت أستكثره ولقد كانت زينب بنت جحش وأم سلمة لهما عنده مكان. وكانتا أحب نسائه إليه فيما أحسب بعدي[٤].

وفي هذا نقل المستشرقون كثيرًا عن كتب السنة والسيرة النبوية والتاريخ والتراجم في مكانة أمهات المؤمنين وتفاضلهن عند النبي ﷺ، إلا أن بعضهم لم يسلم من الزيادات والتفسيرات الباطلة والدفينة بالحقد والغل والضغينة لأهل الإسلام بوجه عام وأمهات المؤمنين – رضي الله عنهن – بشكل خاص، حيث نمت أقلامهم وظهرت كتاباتهم على هذا المنهج.

فكتب طائفه من المستشرقين عن مكانة أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن – وتفاضلهن عند النبي ﷺ وافترقوا في أحب أزواجه إليه ﷺ بعد أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – إلى فريقين:

---

(١) عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، (٠٠٠ – توفي ٢١٣ هـ = ٠٠٠ – ٨٢٨ م) أشهر كتبه «السيرة النبوية» المعروف بسيرة ابن هشام، رواه عن ابن إسحاق. وله «القصائد الحميرية» في أخبار اليمن وملوكها في الجاهلية، و«التيجان في ملوك حمير». الأعلام، مرجع سابق، ٤/ ١٦٦.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، ٢/ ٣٠٠.

(٣) صحيح البخاري، ح ٢٥٩٣، كتاب الهبة وفضلها، باب هبة المرأة لغير زوجها، ٣ / ١٥٩، صحيح مسلم ح ٢٤٤٢، كتاب التوبة، باب في فضل عائشة – رضي الله عنها – ٤/ ١٨٩١.

(٤) الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ٨/ ٩١.

الفريق الأول: نقلوا ما جاء في كتب السنة والسيرة النبوية والتاريخ والتراجم فقالوا أحب أزواجه إليه ﷺ بعد أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – زينب بنت جحش ثم أم سلمة – رضي الله عنهن –.»فقد كانت أحب أزواج النبي ﷺ بعد عائشة زينب بنت جحش – رضي الله عنها – وقد صحبته في غزوة خيبر»[١].

وفي موضع أخر «وكانت أحب زوجاته إليه عائشة وزينب وأم سلمة»[٢].

ويضيف المستشرق بودلي فيقول: أن أفضل أزواج النبي ﷺ وأعظمهن مكانة في نفسه، زينب بنت جحش – رضي الله عنها – فقد أحبها ومال إليها: «وإن السيدة التي صادفت في نفس محمد هوى قد أحدثت رجة في دور النبي ﷺ أكبر مما أحدثته أم سلمة»[٣].

وفي هذا مبالغة من المستشرق بودلي فلم تحدث زينب بنت جحش رجة في بيت النبي ﷺ ولا أم سلمة – رضي الله عنهن –، وإنما الذي وقع بينهن ما يحدث بين الضرائر غالبًا، وإلا فقد أحب النبي ﷺ أزواجه أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن – جميعًا، وكانت زينب بنت جحش – رضي الله عنها – في المرتبة والدرجة التي تلي أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – كما جاء ذلك في السنة والسيرة النبوية.

ويتحدث بودلي عن مكانة أم سلمة وفضلها عند النبي ﷺ فيقول: «وقد سر أم سلمة أن ترى تأثير دخولها إلى دور النبي ﷺ في المفضلة من أزواجه، ولم تفعل شيئًا لتقاومه»[٤].

ولا ريب أن دخول بيت النبوة والانتساب لآل بيت النبي ﷺ من دواعي السرور والفرح، فضلًا عن تفضيلها، وحُق لها السرور فمن يحظى بهذا الفضل والشرف.

أما المستشرقة أمسترونج فذهبت إلى أن النبي ﷺ لم يفضل أم سلمة – رضي الله عنها – ولم يحبها وإنما كانت بمثابة الصاحبة التي تسليه وتؤانسه عوضًا عن أم المؤمنين خديجة – رضي

---

(١) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ٥٤١٥.

(٢) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ٤٠٧٨.

(٣) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٢٣٩.

(٤) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٢٣٨.

الله عنها – حيث تقول: «كانت أم سلمة كفيلة بتوفير الصحبة التي فقدها النبي ﷺ بوفاة خديجة»[١].

ويؤيد هذا الرأي المستشرق سفاري وذلك بقوله عن أم سلمة: «كانت أم سلمة عجوزًا ذات أولاد وتوفي زوجها بالحبشة، وما كان لأحد أن يرعى عجوزًا وبنيها في أرض الغربة إلا رسول الله ﷺ ولو أنه لم يفعل لكان إهماله شأنها هي وبنيها موضع اللوم والتثريب»[٢].

حيث يرى المستشرق سفاري أن أم المؤمنين أم سلمة – رضي الله عنها – لم تحظَ بحب وأفضلية عند النبي ﷺ، وإنما ضمها إلى أزواجه من أجل رعايتها ورعاية أبنائها حتى لا يكون موضع للطعن والتشنيع. وكذب بقوله هذا فلم يضمها النبي إلى أزواجه خشية اللوم والتثريب ولا من أجل رعايتها ورعاية أبنائها، بل هناك من يقوم برعايتها غير النبي ﷺ فقد تقدم لخطبتها أبو بكر وعمر رضي الله عنهما بعد وفاة أبي سلمة فردتهما.

الفريق الثاني: قالوا أن أفضل وأحب أزواجه إليه بعد أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – حفصة بنت عمر بن الخطاب – رضي الله عنها – وعن أبيها.

يقول المستشرق إرفنج في فضلها ومكانتها عند النبي ﷺ: «وصارت حفصة من نسائه المفضلات بعد عائشة – رضي الله عنها –، وهي التي أودع عندها الرسول ﷺ نسخة من القرآن الأساسية كما أنزلت عليه ﷺ وهذا يدل على مدى ثقته بها»[٣].

وقد جانب هذا القول الصواب وذلك أن حفصة بنت عمر بن الخطاب – رضي الله عنهما – لم تكن من أزواج النبي ﷺ المقربات إليه، بل إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أوصى ابنته حفصة بعدم مراجعة النبي ﷺ فقال: لا يغرنك هذه التي أعجبها حسنها حب رسول الله يقصد عائشة – رضي الله عنها –، فقد أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عباس، عن عمر –

---

(١) محمد نبي لزماننا، مرجع سابق، ص: ١٣٩.

(٢) السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون، مرجع سابق، ص: ٢٤٨.

(٣) محمد وخلفاؤه، مرجع سابق، ص: ٢٤١٩.

رضي الله عنهم -: دخل على حفصة فقال: يا بنية، لا يغرنك هذه التي أعجبها حسنها حب رسول الله ﷺ إياها - يريد عائشة - فقصصت على رسول الله ﷺ «فتبسم»[(١)].

وأما استدلاله بحفظ القرآن عند أم المؤمنين حفصة - رضي الله عنها - فهذا باطل ولا دليل عليه، إذ أنه من المعلوم أن النبي ﷺ لم يودع القرآن عند أحد، بل إن القرآن لم يكن مجموع في مصحف على عهد النبي ﷺ، وإنما تم جمعه في عهد أبي بكر الصديق ﷺ لما كثر القتل في حروب الردة.

ثم لما توفي أبو بكر ﷺ أودع عند عمر بن الخطاب ﷺ لكونه الخليفة بعد أبي بكر، ثم لما توفي عمر ﷺ أوصى بأن يجعل المصحف عند أم المؤمنين حفصة - رضي الله عنها - لأن عمر لم يستخلف من بعده[(٢)].

قال ابن حجر رحمه الله: «وإنما كان ذلك عند حفصة لأنها كانت وصية عمر فاستمر ما كان عنده عندها حتى طلبه منها من له طلب ذلك»[(٣)].

وبهذا استنتج جمهور المستشرقين من السيرة النبوية أن أفضل أمهات المؤمنين بعد أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - زينب بنت جحش ثم أم سلمة ثم حفصة - رضي الله عنهن -، واستدلوا على ذلك بقول الله تعالى ﴿ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥١].

---

(١) صحيح البخاري، ح ٥٢١٨، كتاب النكاح، باب حب الرجل بعض نسائه ٧/ ٣٤، صحيح مسلم، ح ١٤٧٩، كتاب الطلاق، باب الإيلاء والاعتزال ٢/ ١١٠٨.

(٢) انظر: صحيح البخاري، ح ٤٩٨٦، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن ١٨٣/٦.

عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بن أحمد بن موسى الحنفي بدر الدين العيني، ، ٢٠/ ١٦، (دار إحياء التراث العربي، بيروت).

(٣) فتح الباري، مرجع سابق، ٩/ ١٦.

فقالوا: «وعن حفصة وهي واحدة من زوجات النبي ﷺ الأربع اللاتي كن أحب نسائه إليه إذ يقول القرآن في سورة الأحزاب ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُۖ﴾ وتبين هذه الآية أن الله رخص للنبي ﷺ أن يؤخر أو يقدم ما يشاء من زوجاته ولا حرج عليه في ذلك، وكانت أحب زوجاته إليه عائشة وزينب وأم سلمة، ولكن البلاذري واليعقوبي يضيفان حفصة إليهن»[1].

وقد اعتمدوا في تفسير هذه الآية على تفسير الطبري وكتاب أنساب الأشراف للبلاذري وتاريخ اليعقوبي فقد أخرج الطبري عن منصور، عن أبي رزين ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُۖ﴾ قال: لما أشفقن أن يطلقهن، قلن: يا نبي الله اجعل لنا من مالك ونفسك ما شئت، فكان ممن أرجأ منهن سودة بنت زمعة وجويرية وصفية وأم حبيبة وميمونة، وكان ممن آوى إليه عائشة وأم سلمة وحفصة وزينب[2].

كما أجمع جمهور المستشرقين على زهد النبي ﷺ ببقية أزواجه أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن – محاولين بذلك القدح في مكانة وفضل أمهات المؤمنين عند النبي ﷺ ومن ذلك ما أفصح به المستشرق إرفنج في مكانة أم المؤمنين سودة – رضي الله عنها – حيث يقول: «وسواء سبق هذا الزواج توقع أم لم يسبق فقد تم الزواج، لكن الرسول ﷺ لم يكن بقلبه لسودة أيًا من العواطف التي كانت لزوجاته الأخر، لأنه ابتعد عنها في سنين قادمة دون أن تفقد شرف بقائها زوجة الرسول ﷺ لذلك تركت يومها لعائشة – رضي الله عنها – وظلت في حرمته طوال بقية حياتها»[3].

---

(١) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ٤٠٧٨.

(٢) انظر: الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ١٠/ ١٨٦، جامع البيان، مرجع سابق، ٢٠/ ٢٩١، فتح البلدان، مرجع سابق، ١/ ٤٤٨، تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي، تحقيق عبد الأمير مهنا، ٤٠٩/١، (شركة الأعلمي بيروت ١٤٣٠هـ).

(٣) محمد وخلفاؤه، مرجع سابق، ص: ١٦٠.

ويقول في موضع أخر: «ورغم حبه للنساء لم تكن عاطفته قوية نحو سودة – رضي الله عنها – التي لم تستطع أن تملأ عليه مكان خديجة – رضي الله عنها –، ورغم ذلك ظل محمد يعاملها بكل رفق»(١).

ويضيف المستشرق إميل درمنغم بقوله: «تزوج محمد في هذه الأثناء سودة أرملة السكران بن عمرو، فكان بذلك عزاءٌ مع قلة حب محمد لها على ما يظهر»(٢).

وكتب بودلي بأسلوب التهكم والسخرية والازدراء عن مكانة أم المؤمنين سودة بنت زمعة – رضي الله عنها – وفضلها عند النبي ﷺ فقال: «أما الزوجة الثانية فهي سودة بنت زمعة، فإنها دخلت بيت محمد كمربية أكثر من أي شيء آخر، وكانت امرأة ضخمة ثقيلة، ولم يشعر محمد نحوها بأدنى عواطف الحب، ولكنها كانت من أوائل المسلمات وقد مات عنها زوجها في مهجره في سبيل عقيدته، وقد قالت خولة لابن أختها إن أقل ما يفعله أن يتزوج بها، وقد حاول محمد في ظروف كثيرة أن يتخلص منها، ولكنها عرضت أن تبقى دون أن يكون لها امتيازات، وبقيت في الحريم إلى أن ماتت دون أن تجد من يلحظ موتها أو يحزن عليها»(٣).

ويزيد بقوله: «ولتحمي نفسها ثانية، فقد كانت سائرة إلى الهرم، ولم تكن جذابة في يوم من الأيام، فكانت تحس أنها في مأمن من الطلاق مادامت عائشة ظهيرة لها، ولكي تضمن حماية عائشة فقد تنازلت عن ليلتها للزوجة الشابة المفضلة، وعلى ذلك بقى مركز عائشة دون تبدل»(٤).

ويرى المستشرق سفاري أن مكانة سودة عند النبي ﷺ وعلاقتها به قامت ونشأت على تبادل المصالح فيما بينها وبين النبي ﷺ إذ يقول: «ولما عادت سودة إلى مكة، لم يكن لها نصير

---

(١) محمد وخلفاؤه، مرجع سابق، ص: ٢٠٥.

(٢) حياة محمد، مرجع سابق، ص: ١٥٣.

(٣) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ١٢٧.

(٤) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٣١٧.

يحميها، وتأوي إلى ظله غيره ﷺ، ولم يكن للنبي زوجة تخدمه، فخطبت له سودة لتخدمه وليحميها»(١).

ومن خلال هذه النقول نلحظ إصرار المستشرقين على التقليل من مكانة وفضل أم المؤمنين سودة – رضي الله عنها – عند النبي ﷺ، حيث لم يجدوا لها أدنى مكانة في قلب النبي ﷺ ولاريب أن أم المؤمنين سودة – رضي الله عنها – لم تكن بمكانة أم المؤمنين عائشة ولا مكانة أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنهن – عند النبي ﷺ لكن ليس كما صور المستشرقين.

فقد جاء في السيرة ما يبين مكانتها وقدرها عند رسول الله ﷺ فعن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: كانت سودة بنت زمعة قد أسنت. وكان رسول الله ﷺ لا يستكثر منها وقد علمت مكاني من رسول الله ﷺ وأنه يستكثر مني. فخافت أن يفارقها وضنت بمكانها عنده فقالت: يا رسول الله يومي الذي يصيبني لعائشة وأنت منه في حل. فقبله النبي – ﷺ – وفي ذلك نزلت: ﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النساء: ١٢٨](٢).

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: ولهذا لما كبرت سودة بنت زمعة عزم رسول الله ﷺ على فراقها فصالحته على أن يمسكها وتترك يومها لعائشة، فقبل ذلك منها وأبقاها على ذلك(٣).

وروى الترمذي عن ابن عباس ﷺ قال: خشيت سودة أن يطلقها رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله لا تطلقني واجعل يومي لعائشة ففعل ونزلت هذه الآية(٤).

---

(١) السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون، مرجع سابق، ص: ٢٤٨.

(٢) الطبقات الكبرى، لابن سعد عن طريق شيخه محمد عمر الواقدي ٨/ ٤٣، وأورده ابن كثير في تفسيره ٢/ ٣٧٨، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣/ ٤٦٨: منكر.

(٣) تفسير ابن كثير، مرجع سابق، ٢/ ٣٧٧.

(٤) جامع البيان، مرجع سابق، ٩/ ٢٧٨، فتح الباري، مرجع سابق، ٨/ ٢٦٦، قال الترمذي: حسن صحيح غريب، وقال ابن حجر: وله شاهد في الصحيحين من حديث عائشة بدون ذكر نزول الآية.

و عن عروة، عن عائشة – رضي الله عنها –، قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه، وكان يقسم لكل امرأة منهن يومها وليلتها، غير أن سودة بنت زمعة وهبت يومها وليلتها لعائشة زوج النبي ﷺ، تبتغي بذلك رضا رسول الله ﷺ»(١).

وعن مكانة أم المؤمنين أم حبيبة – رضي الله عنها – وفضلها عند النبي ﷺ يقول المستشرق إميل درمنغم: «ولم يكن لها شأن كبير بين حريم محمد، ولكن زواجه منها كان عاملًا على تقريب ما بينه وبين أبيها بالحقيقة فضلًا عن تقريره حال أرملة رجل وجيه تقريرًا شريفًا»(٢).

ويضيف بودلي بقوله: «فقد كان كل امرئ يعلم أن اهتمام محمد بها لأسباب سياسية أكثر منه لأسباب جسمانية»(٣).

وفي شأن أم المؤمنين جويرية بنت الحارث وأم المؤمنين صفية بنت حيي – رضي الله عنهن – يقول المستشرق سفاري: أن النبي ﷺ حرص عليهما من أجل منزلتهما ومكانتهما الاجتماعية لذلك اكرمهن بالزواج، لأنه لو عوملتا معاملة العبيد في عامة البيوت أفقدهن مكانتهن(٤).

ويتبع بقوله: «وصفية التي يتهم الرسول بالوقوع في حبائل جمالها كانت قصيرة قصرًا بائنًا عيرت به، فجبر النبي خاطرها»(٥).

يرى المستشرق سفاري أن أمهات المؤمنين جويرية وصفية – رضي الله عنهن – لم تكن لهما منزلة وحظوة عند النبي ﷺ فقد تزوج بهما شفقة ورحمة ومن أجل إكرامهما وإعزازهما، لكنه

---

(١) صحيح البخاري، ح ٢٥٩٣، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب هبة المرأة لغير زوجها وعتقها ٣/ ١٥٩، صحيح مسلم، ح ١٤٦٣،كتاب الرضاع، باب جواز هبتها نوبتها لضرتها ٢/ ١٠٨٥.

(٢) حياة محمد، مرجع سابق، ص: ٣٢٠.

(٣) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٣٣٠.

(٤) السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون، مرجع سابق، ص: ٢٤٨.

(٥) السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون، مرجع سابق، ص: ٢٤٨.

جانب الصواب حين قال: أن النبي ﷺ تزوج أم المؤمنين صفية – رضي الله عنها – جبرًا لخاطرها بسب قصر قامتها التي عيرت بها، إذ لم يكن هذا من أسباب اقتران النبي ﷺ بها، بل كان من أجل تخفيف عداوة اليهود وتعويضها خيرًا ممن فقدت من أهلها وقومها.

وأما تعيرها بقصر قامتها فهذا باطل حيث لم يرد في كتب السيرة النبوية أن أحدًا عيرها بهذا. وإنما الذي ورد عن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – قالت: قلت للنبي ﷺ: حسبك من صفية كذا وكذا، قال غير مسدد: تعني قصيرة، فقال: «لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته»(١) ولم يكن الباعث لكلامها الازدراء والسخرية وإنما كان بسبب الغيرة، وهذه مشاعر طبيعة تحدث غالبًا بين الضرائر.

ويتحدث المستشرق إميل درمنغم عن مكانة أم المؤمنين صفية بنت حيي – رضي الله عنها – ومنزلتها عند النبي ﷺ فيقول: «ولم يحب محمد هذه اليهودية الحسناء زمنًا طويلًا كما يظهر»(٢).

كما نفى المستشرقون مكانتها وفضلها عند النبي ﷺ فقد جاء في دائرة المعارف: «يبدو أنها عاشت بعد ذلك في عزلة عما حولها –بعد زواجها بالنبي ﷺ – لأننا لا نعثر على أي ذكرى لها خلال السنوات التي سبقت وفاة النبي ﷺ، فيما عدا رواية واحدة تبين كيف أنها أعربت أثناء مرضه الأخير عن حبها له»(٣) وشذ عن هذا الرأي المستشرق إرفنج بقوله: «وأصبحت صفية بنت حيي إحدى زوجات الرسول المقربات إليه»(٤).

ومما يبين مكانتها وفضلها عند رسول الله ﷺ ما جاء في السنه النبوية فعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: أنه اعتل بعير لصفية بنت حيي، وعند زينب فضل ظهر فقال رسول

---

(١) سنن أبي داود، ح ٤٨٧٥، كتاب الأدب، باب الغيبة ٤/ ٢٦٩، سنن الترمذي،ح ٢٥٠٣، ٢٥٠٤، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ، باب ، ٤/٦٦٠، مسند أحمد، ح ٢٥٧٤٩، ٦/ ٢٠٦، وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٢) حياة محمد، مرجع سابق، ص: ٣١٩.

(٣) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ٦٥٤٨.

(٤) محمد وخلفاؤه، مرجع سابق، ص: ١٩١.

الله ﷺ: لزينب: «أعطيها بعيرًا» فقالت: أنا أعطي تلك اليهودية؟ «فغضب رسول الله ﷺ فهجرها ذا الحجة والمحرم وبعض صفر»[١] وهذا مما يدل على مكانتها العظيمة في قلب النبي ﷺ فقد هجر أم المؤمنين زينب بنت جحش – رضي الله عنها – من أجلها.

وأخرج البخاري في صحيحه عن ابن شهاب، عن علي بن حسين، أن صفية – زوج النبي ﷺ – أخبرته: أنها جاءت رسول الله ﷺ تزوره، وهو معتكف في المسجد، في العشر الأواخر من رمضان، ثم قامت تنقلب، فقام معها رسول الله ﷺ، حتى إذا بلغ قريبًا من باب المسجد، عند باب أم سلمة زوج النبي ﷺ، مر بهما رجلان من الأنصار، فسلما على رسول الله ﷺ، ثم نفذًا، فقال لهما رسول الله ﷺ: «على رسلكما»، قالا: سبحان الله يا رسول الله، وكبر عليهما ذلك، فقال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا»[٢].

وهذا من شواهد مكانتها عنده ﷺ فقد انقلب معها ثم قال للرجلين إنها صفيه وفي هذا رفعة لمكانتها ولحماية لها من الشبهة.

ويصرح المستشرقون في التقليل من مكانة ومنزلة أخر أزواج النبي ﷺ أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث – رضي الله عنها – والتي تنضوي تحت أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن – حيث يقول المستشرق بودلي عن مكانتها عند النبي ﷺ: «وعلى الرغم من أن ميمونة قد عاشت بعد محمد وزوجاته الثمان الأخريات إلا أنها لم تنزل منزلة عظيمة في حياة زوجها ولم تقم بأي نصيب في نشر الإسلام، وإن طلبها الوحيد الذي طلبته أن تدفن حيث بنى بها رسول الله ﷺ»[٣].

---

(١) سنن أبي داود، ح ٤٦٠٢، كتاب السنة، باب ترك السلام على أهل الأهواء ٤/ ١٩٩، قال أبو داود: في سنده سمية، وهي مجهولة، وقال ابن حجر في تهذيب التهذيب ٤٢٦/١٢: مقبولة، وقال الألباني: ضعيف.

(٢) صحيح البخاري، ح ٣١٠١، كتاب فرض الخمس، باب ما جاء في بيوت أزواج النبي ﷺ ٤/ ٨٢، صحيح مسلم، ح ٢١٧٤، كتاب السلام، باب بيان أنه يستحب لمن رئي خاليًا، ٤/ ١٧١٢.

(٣) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٣٣٧.

وكذب بودلي بقوله هذا فقد كان لأم المؤمنين ميمونة بنت الحارث - رضي الله عنها - مكانة في قلب النبي ﷺ مثل بقية أمهات المؤمنين، وكان لها دور بارز في نقل حياته وسنته ﷺ فقد روي لها سبعة أحاديث في «الصحيحين»، وانفرد لها البخاري بحديث ومسلم بخمسة أحاديث[١].

وكانت تعظ قرابتها فعن يزيد: أن ذا قرابة لأم المؤمنين ميمونة بنت الحارث - رضي الله عنها - دخل عليها، فوجدت منه ريح شراب، فقالت: لئن لم تخرج إلى المسلمين، فيجلدوك، لا تدخل علي أبدا[٢].

ومما يلحق بأمهات المؤمنين - رضي الله عنهن - ويدخل في حكمهن إمائه ﷺ اللائي حظين بشرف الدخول في بيت النبوة، وكان لهن نصيب العيش في كنفه ﷺ ومؤالفته وصحبته فقد حظيت بذلك مولاته مارية بنت شمعون القبطية(أم إبراهيم) وريحانة بنت زيد النضيرية.

هذا وقد كتب المستشرقون عن مارية القبطية - رضي الله عنها - واجمعوا على فضلها ومكانتها عند النبي ﷺ فقد جاء في دائرة المعارف عن فضلها وحب النبي ﷺ لها «كان النبي ﷺ يحب مارية وأعطاها منزلًا في ضواحي المدينة وقد سمى هذا المنزل بعدها مشربة أم إبراهيم ولكم فرح النبي ﷺ عندما ولدت له ولدًا اسماه إبراهيم، ولكنه مات طفلًا ويقال إن الشمس خسفت يوم وفاته»[٣].

وتقول المستشرقة كارين أمسترونج: «في عام النصر السياسي ذلك، كان لمحمد فرحته الخاصة فقد أهدى المقوقس جارية مصرية مسيحية جميلة اسمها مارية لم ترد الجارية الدخول في الإسلام، فظلت سرية لمحمد ﷺ، ولكن إذا أنجبت يصبح وليده حرًا، أصبح محمد ﷺ مغرمًا بها، وطغى عليه الفرح عندما أصبحت حاملًا وسمى محمد الوليد إبراهيم»[٤].

---

(١) سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ٢/ ٢٤٥.

(٢) سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ٢/ ٢٤٤، وأخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٨ / ١٣٩، وسنده حسن.

(٣) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ٨٩٦٩.

(٤) محمد نبي لزماننا، مرجع سابق، ص: ١٧٧.

ويضيف بودلي بقوله: «فما إن وقعت عينا محمد على هذه الفتاة الجعدة الرائعة الحسن حتى مال إليها قلبه»[١].

ويذكر إرفنج منزلتها عند النبي ﷺ في حادثة اعتزال النبي زوجاته فيقول: «وهذا ما أعاد بقية نسائه ﷺ إلى صوابهن فعادت حفصة - رضي الله عنها - تائبة وأعقبتها عائشة ثم تبن جميعًا وعاد إليهن، لكنه ظل يجتبي مارية - رضي الله عنها - لأنها أم ابنه الوحيد ولفضلها في هذا الأمر كله»[٢].

ويقول: «حزن الرسول كثيرًا على وفاة ابنته زينب، لكنه تمالك نفسه وعوضه الله عن فقد ابنته بمولود ذكر أنجبه من مارية السرية المفضلة وسماه إبراهيم»[٣].

وفي موضع أخر استدل بسورة التحريم فيقول: «وبعد نزول آيات سورة التحريم» ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١ ﴾ [التحريم: ١].أبدت زوجات محمد ندمهن وتوبتهن ورد الرسول حفصة إلى عصمته، وصالح عائشة التي كان يحبها كثيرًا، كما استمر على تقريب مارية، فهي أم ولده الوحيد إبراهيم»[٤].

وقد جاء في كتب السيرة النبوية والتراجم والطبقات ما يبين مكانتها عند رسول الله ﷺ فقد أخرج ابن سعد عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة قال: كان رسول الله - ﷺ - يعجب بمارية القبطية. وكانت بيضاء جعدة جميلة. فأنزلها رسول الله ﷺ وأختها على أم سليم بنت ملحان فدخل عليهما رسول الله ﷺ فعرض عليهما الإسلام فأسلمتا فوطئ مارية بالملك وحولها إلى مال له بالعالية[٥].

---

(١) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٣١٦.

(٢) محمد وخلفاؤه، مرجع سابق، ص: ٤٠١.

(٣) محمد وخلفاؤه، مرجع سابق، ص: ٢٣١.

(٤) محمد وخلفاؤه، مرجع سابق، ص: ٢٥٠.

(٥) الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ١/ ١٠٧، وانظر: المنتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ، الزبير بن بكار الأسدي المكي، تحقيق: سكينة الشهابي، ص: ٥٨، ط ١، (مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤٠٣هـ).

وعن عائشة – رضي الله عنها –، قالت: ما عزت علي امرأة إلا دون ما عزت علي مارية، وذلك أنها كانت جميلة جعدة، فأعجب بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان أنزلها أول ما قدم بها في بيت لحارثة بن النعمان، فكانت جارتنا، فكان عامة الليل والنهار عندها حتى فزعنا لها، فجزعت فحولها إلى العالية، وكان يختلف إليها، هناك فكان ذلك أشد علينا(١).

وبعد عرض أقوال المستشرقين في مكانة أمهات المؤمنين نورد القول في مكانتهن وتفاضلهن عند النبي ﷺ حسب ما ورد في السنة والسيرة النبوية فقد جاء في صحيح البخاري ومسلم عن هشام، عن أبيه، قال: سمعت عبد الله بن جعفر، يقول: سمعت عليًا، بالكوفة يقول: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد»(٢).

وقال ﷺ: «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام»(٣).

وقد اشتهر الخلاف بين العلماء في أم المؤمنين خديجة وأم المؤمنين عائشة – رضي الله عنهن – أيهما أفضل قال السبكي الكبير(٤): «الذي ندين الله به أن فاطمة أفضل ثم خديجة ثم عائشة والخلاف شهير ولكن الحق أحق أن يتبع» وقال ابن تيمية(٥): «جهات الفضل بين

(١) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، ٨/ ٣١١، المنتخب من كتاب أزواج النبيﷺ، مرجع سابق، ص: ٥٧.

(٢) صحيح البخاري، ح ٣٤٣٢، كتاب أحاديث الأنبياء، باب إذ قالت الملائكة يا مريم ٤/ ١٦٤، صحيح مسلم، ح ٢٤٣٠، كتاب الفضائل، باب فضائل خديجة أم المؤمنين – رضي الله عنها – ٤/ ١٨٨٦.

(٣) صحيح البخاري، ح ٣٤١١، كتاب التفسير، باب (وضرب الله مثلًا للذين آمنوا امرأة فرعون) ٤/ ١٥٨، صحيح مسلم، ح ٢٤٣١، كتاب الفضائل، باب فضائل أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها – ٤/ ١٨٨٦.

(٤) تقي الدين السبكي علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي الأنصاري الخزرجي، أبو الحسن، : وهو والد التاج السبكي صاحب الطبقات. ولد في سبك (٦٨٣ – ٧٥٦ هـ = توفي ١٢٨٤ – ١٣٥٥ م) من كتبه «الدر النظيم» في التفسير، لم يكمله، ومختصر طبقات الفقهاء وإحياء بالنقوس في صنعة إلقاء الدروس و«الإغريض، في الحقيقة والمجاز والكنية والتعريض»، انظر: الأعلام، مرجع سابق، ٤/ ٣٠٢.

(٥) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية: شيخ الإسلام. ولد في حران (٦٦١ – ٧٢٨ هـ = ١٢٦٣ – ١٣٢٨ م) أما تصانيفه ففي
=⇦

خديجة وعائشة متقاربة وكأنه رأى التوقف وقال بن القيم: «إن أريد بالتفضيل كثرة الثواب عند الله فذاك أمر لا يطلع عليه فإن عمل القلوب أفضل من عمل الجوارح وإن أريد كثرة العلم فعائشة لا محالة وأما ما امتازت به عائشة من فضل العلم فإن لخديجة ما يقابله وهي أنها أول من أجاب إلى الإسلام ودعا إليه وأعان على ثبوته بالنفس والمال والتوجه التام فلها مثل أجر من جاء بعدها ولا يقدر قدر ذلك إلا الله». وقيل: انعقد الإجماع على أفضلية فاطمة وبقي الخلاف بين عائشة وخديجة[١].

وقد استنبط بعض العلماء من حديث أبي هريرة «أتى جبريل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام، أو طعام، أو شراب فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها» فضل خديجة على عائشة لأن الذي ورد في حق خديجة أن النبي ﷺ قال لها إن جبريل يقرئك السلام من ربك وأطلق هنا السلام من جبريل نفسه فقالت: وعلى جبريل السلام ثم قالت وعليك السلام ويستفاد منه رد السلام على من أرسل السلام وعلى من بلغه والذي يظهر أن جبريل كان حاضرا عند جوابها فردت عليه وعلى النبي ﷺ مرتين مرة بالتخصيص ومرة بالتعميم ثم أخرجت الشيطان ممن سمع لأنه لا يستحق الدعاء بذلك قيل إنما بلغها جبريل عليه السلام من ربها بواسطة النبي ﷺ احتراما للنبي ﷺ وكذلك وقع له لما سلم على عائشة لم يواجهها بالسلام بل راسلها مع النبي ﷺ.

وزعم ابن العربي[٢]: أنه لا خلاف في أن خديجة أفضل من عائشة، وردّ بأن الخلاف ثابت قديمًا، وإن كان الراجح أفضلية خديجة بهذا[١].

=

الدرر أنها ربما تزيد على أربعة آلاف كراسة، وفي فوات الوفيات أنها تبلغ ثلاث مئة مجلد، منها الجوامع في السياسة الإلهية والآيات النبوية، ويسمى (السياسة الشرعية) والفتاوى خمس مجلدات، والإيمان والجمع بين النقل والعقل. انظر: الأعلام، مرجع سابق، ١/ ١٤٤.

(١) فتح الباري، مرجع سابق، ٧/ ١٠٩.

(٢) ابن العربي أبو بكر، محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله، ابن العربي الأندلسي الإشبيلي المالكي ولد (٤٦٨ توفي ٥٤٣)، صنف كتاب عارضة الأحوذي في شرح جامع أبي عيسى الترمذي وفسر القرآن المجيد، فأتى بكل بديع، وله =⇦

أما بقية أزواج النبي ﷺ فمتساويات في الفضل والمكانة قال السبكي: «ونساء النبي ﷺ بعد خديجة وعائشة متساويات في الفضل، وهن أفضل النساء لقول الله تعالى: ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ الآية، ولا يستثنى من ذلك إلا من قيل إنها نبيه كمريم والله أعلم[٢].

=

كتاب كوكب الحديث والمسلسلات والأصناف في الفقه، وكتاب أمهات المسائل، ونزهة الناظر وستر العورة. انظر: سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ٢٠/ ١٩٧.

(١) فتح الباري، مرجع سابق، ٧/ ١٠٧، ٧/ ١٣٩.

(٢) فتح الباري، مرجع سابق، ٧/ ١٣٩.

الفصل الرابع
مواقف المستشرقين من مناقب أمهات المؤمنين

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: موقفهم من مناقب خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها -.

المبحث الثاني: موقفهم من مناقب عائشة بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنها.

المبحث الثالث: موقفهم من مناقب بقية أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن -.

المبحث الأول
موقفهم من مناقب خديجة بنت خويلد
– رضي الله عنها –

المطلب الأول: موقفهم من تجارة خديجة رضي الله عنها

المطلب الثاني: موقفهم من خديجة عند نزول الوحي وإيمانها بدعوة محمد

المطلب الأول

موقفهم من تجارة خديجة

كانت أغلب حالات المكيين تضطرهم إلى التجارة فإقليمهم من أشد الأقاليم جدبًا، ولذلك لم يكن من الممكن لقاطنيه أن يعيشوا إلا بالتعامل مع اليمن والشام اللذين تربط بينهما مكة، فكانت قوافلهما تذهب إلى اليمن للبحث عن منتجاته فيبتاعون منه ثم يعودون إلى الحجاز ويضيفون التمر وثمار الطائف ثم يذهبون إلى الشام ليستبدلوا ببضائعهم منتجاتهم الزراعية، ولم تكن النساء بمعزل عن هذه التجارة فقد كن يخترن من يخرج بمالهن من الرجال للاتجار بمالهن بمقابل جزء من الربح. وهكذا كانت خديجة بنت خويلد ذات الثراء الواسع والحسب النبيل، فقد كانت حريصة على تجارتها تنتخب أفضل الشركاء للمضاربة بمالها وتجعل لهم شيئًا من الربح(١).

ولهذه المكانة الاجتماعية والمركز المالي الكبير، نالت تجارة خديجة جانبًا مهمًا في كتابات المستشرقين، وشكلت في رأيهم أثرًا على ظهور النبي ﷺ وقبول دعوته وذلك باعتقادهم أن تجارة خديجة – رضي الله عنها – نهضت به، وأوصلته إلى مكانة اجتماعية مرموقة بين قومه، ويظهر موقف المستشرقين من تجارة خديجة – رضي الله عنها – في عدة أمور.

الأمر الأول: تجارة خديجة – رضي الله عنها – ومواصلتها للتجارة حتى بعد زواجها بالنبي ﷺ.

الأمر الثاني: أثر تجارة خديجة – رضي الله عنها – على النبي ﷺ.

الأمر الثالث: أثر تجارة خديجة – رضي الله عنها – على الدعوة الإسلامية.

---

(١) انظر: محمد رسول الله، مرجع سابق، ص: ٩٢، ٩٣.

الأمر الأول: تجارة خديجة ومواصلتها للتجارة حتى بعد زواجها بالنبي ﷺ

لقد كتب المستشرقون عن تجارة أم المؤمنين خديجة - رضي الله عنها -، ومواصلتها للتجارة حتى بعد زواجها بمحمد ﷺ، واتفاقها مع النبي ﷺ بأن يكون وكيل لتجارتها ويتولى أمرها.

يقول المستشرق سفاري: «كانت خديجة الأرملة غنية ونبيلة، وكانت مثل محمد من قبيلة قريش الشهيرة، وكانت لها تجارة واسعة تشعر أنها بحاجة إلى رجل ذكي يتولى إدارتها، فوقع نظرها على محمد وعرضت عليه امتيازات كبيرة إذا ما قبل إدارة أعمالها فوافق بدون عناء»(١).

ويتحدث المستشرق كارل بروكلمان عن نشأة ومنبع تجارة أم المؤمنين خديجة - رضي الله عنها - فيقول: «كانت خديجة ثيب غنية تستقل بتجارتها حيث ورثتها من زوجين سالفين، ذلك أن نساء العرب في الجاهلية والمستقلات منهن اقتصاديًا بصورة خاصة، كن يتمتعن بحرية أوسع بكثير من التي تتمتع بها النساء في العهود التوالي»(٢).

ويكتب المستشرق إميل درمنغم عن بدايات تجارة أم المؤمنين خديجة - رضي الله عنها — وما بذلته من جهود في رعاية هذه الثروة حيث كانت تقوم على شؤون تجارتها بنفسها ثم بفضل مساعدة أبيها إلى أن أصبحت من أغنى بيوت أهل مكة: «كانت خديجة الأيم ذات ثراء بعد أن تزوجت مرتين من بني مخزوم الأغنياء، وكانت تدير شؤنها بنفسها وكان يساعدها على ذلك أبوها خويلد وبعض الرجال الأمناء، وصار محلها التجاري من أهم بيوت مكة التجارية التي هي بندقية الصحراء»(٣).

وأما المستشرق بودلي فيصور تجارة أم المؤمنين خديجة - رضي الله عنها - بصورة المؤسسة الكبيرة التي تعمل برجالها ومحاسبيها حيث يقول: «اشتغلت خديجة بالتجارة واتسعت تجارتها على مر السنين فقد اتبعت خديجة وسائل جديدة في تجارتها، فكانت تزود التجار القرشيين الذين يعتمد عليهم بالمال فكانت تشاركهم بذلك تجارتها، وأخذت تنال من الأرباح بنسبة ما

(١) السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون، مرجع سابق، ص: ٤٠.

(٢) تاريخ الشعوب الإسلامية، مرجع سابق، ص: ٣٣.

(٣) حياة محمد، مرجع سابق، ص: ٦١.

تمدهم به وشاركت في القوافل فنالت حصصاً من الأرباح بنسبة مشاركتها، وبذلك جعلت خديجة عملاءها في المدن وفي الطرق يهتمون بأمر مشروعاتها فقد وجدوا أنفسهم مدينين لها وشركاء في نفس الوقت، وقد كان الجميع من الرئيس إلى المراقبين والمحاسبين إلى أقل جمال في القافلة يعملون على نجاح هذه التجارة التي لهم فيها نصيب.»[١]

وتدوين تجارة أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها – بهذا السياق من خيال المستشرق بودلي وأوهامه، لكي يجذب القارئ الغربي وغيره في عرضه للسيرة النبوية وإلا فمصادر السيرة النبوية لم تذكر شيئًا من قبيل هذا.

وفي مواصلة أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها – لتجارتها حتى بعد الزواج يقول المستشرق بودلي: «لم يؤثر زواج محمد من خديجة في حياته مباشرة فقد استمر في تصريف تجارة زوجه، ولم ينقطع عن الخروج في قوافلها وقد تمت أطول رحلاته عقب زواجه، فقد تغلغل في آسيا الصغرى وعلى الرغم من كل ذلك لم تتقدم أعمال خديجة التجارية، بل على النقيض من ذلك فقد انحدرت نوعًا ما. بيد أنه لم تكن هناك خسائر جسيمة فظلت خديجة محتفظة بمنزلتها فكانت أغنى المكيين، ولكن خضدت شوكة تجارتها، أو أقل إن محمد فقد سطوته فقد تحول قلبه عما كان يفعله لأنه وجب عليه أن يفعله.»[٢]

لقد بالغ المستشرق بودلي في قوله: «ولم ينقطع عن الخروج في قوافلها وقد تمت أطول رحلاته عقب زواجه، فقد تغلغل في آسيا الصغرى» وذلك أنه لم يرد في السيرة النبوية ما يدل على رحلاته في تجارة أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها – بعد الزواج سواءً كانت طويلة أو قصيره.

أما في قوله: «وعلى الرغم من كل ذلك لم تتقدم أعمال خديجة التجارية، بل على النقيض من ذلك فقد انحدرت نوعًا ما». فقد افترى واختلق، فما كانت تجارة أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها – تنحدر والنبي ﷺ يتاجر بمالها إذ أن أم المؤمنين خديجة – رضي الله

---

(١) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٥٥، ٥٦.

(٢) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٦٤.

عنها – جنت على يد النبي ﷺ أضعاف ما كانت تجنيه من مالًا على يد غيره. ثم إن النبي ﷺ لم يفقد سطوته، وسلطته، ونفوذه بل كان قائدًا عظيمًا مبجلًا للإسلام والمسلمين ونبيًا ورسولًا.

قال ابن هشام: «ثم باع رسول الله ﷺ سلعته التي خرج بها، واشترى ما أراد أن يشتري، ثم أقبل قافلا إلى مكة ومعه ميسرة. فكان ميسرة فيما يزعمون إذا كانت الهاجرة واشتد الحر، يرى ملكين يظلانه من الشمس وهو يسير على بعيره. فلما قدم مكة على خديجة بمالها، باعت ما جاء به، فأضعف أو قريبًا»(١).

ويرد المستشرق آتين دينيه على هذا فيقول: لما رأت أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها – بركة يد النبي ﷺ في مالها وتجارتها ضاعفت له أجره وذلك بسبب الأرباح التي جنتها على يديه الشريفتين ثم فكرت أن يكون وكيل لتجارتها: «ضاعفت السيدة الفاضلة محمد ما كانت قد وعدته به من أجر ولم تعد تفكر إلا في جعله المشرف الأعلى على ثروتها فرأت أن خير طريقة لذلك هي أن تتزوج به»(٢).

الأمر الثاني: أثر تجارة خديجة – رضي الله عنها – على النبي ﷺ.

زعم بعض المستشرقين أن النبي ﷺ قد امتلك شهرة ومكانة بزواجه من أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها –، وذلك بفضل ثروتها ومالها وحسبها ونسبها النبيل، وأما النبي ﷺ فقد كان في نظر المستشرقين فقيرًا يتيمًا معدمًا قاسى اليتم والحرمان في صغره، والفقر في كبره، فبزواجه من أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها – ذات الثراء الواسع تبسم له السعد، وأصبح له مكانة في مجالس قريش(٣).

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، ١/ ١٨٨.

(٢) محمد رسول الله، مرجع سابق، ص: ٦٩.

(٣) انظر: موقف المستشرقين من الصحابة، مرجع سابق، ص: ٥٢١.

يقول المستشرق جون جلوب[١] أن ثراء أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها – حرر النبي ﷺ من الفقر وجعل له مكانة اجتماعية مرموقة: «وحرر ثراء خديجة زوجها محمدًا من العوز وأتاح له المجال لاحتلال مركز اجتماعي مرموق في مجتمع مكة الذي كان يقدر الثراء»[٢].

ويتبع المستشرق سفاري بقوله: «لقد أثرى هذا الزواج محمدًا ولكنه لم يفقده توازنه، ولقد أحب طوال حياته المرأة التي كانت سببًا في ثرائه»[٣].

ويرى المستشرق إرفنج أن تجارة أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها – جعلت النبي ﷺ يرتقي إلى طبقة الأغنياء حيث يقول: «أصبح محمد بعد زواجه من خديجة واحدًا من بين مواطنيه الأثرياء، كما أدت أخلاقه النبيلة إلى بروزه في المجتمع»[٤].

ويتحدث المستشرق مونتجمري وات عن أثر تجارة أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها – على النبي ﷺ فيقول: «من وجهة نظر المجتمع المكي، كان محمد عليه الصلاة والسلام قد وضع قدمه على أول درجة على الأقل من درجات النجاح الدنيوي، وربما لم تكن خديجة رضى الله عنها من الثروة كما يقال عنها أحيانا، ولكننا نستطيع أن نفترض أن محمدا عليه الصلاة والسلام قد أصبح لديه رأس مال يكفيه للحصول على نصيب متوسط من الأعمال التجارية[٥].

ويزيد بقوله: «ولا يعنى عدم وجود أخبار عن أنه سافر إلى الشام مرة ثانية أنه لم يذهب، مع الوضع في الاعتبار أنه من الممكن دائما أن يكلف آخرين بالإشراف على تجارته، كذلك يجب أن نتذكر دائما احتمال أن يكون التجار قد استبعدوه من مجالسهم، ومن معظم العمليات المربحة. ومع ذلك، فمن المحتمل أنه لم يستبعد تماما؛ لأنه كان قادرا على أن يزوج ابنته

---

(١) جون جلوب (ولد ١٨٩٧) عمل في الأردن والعراق برتبة لواء من آثاره جندي مع العرب، الفتوحات الكبرى، بريطانيا والغرب، قصة الفليق العربي. انظر: معجم أسماء المستشرقين، مرجع سابق، ص: ٤١٩.

(٢) الفتوحات الكبرى، جون جلوب، تعريب خيري حماد، ص: ٥٩، (الدار القومية بمصر).

(٣) السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون، مرجع سابق، ص: ٤٢.

(٤) حياة محمد، مرجع سابق، ص: ٤٩.

(٥) محمد النبي ورجل دولة، مرجع سابق، ص: ١٠٠.

زينب لأحد أفراد عشيرة عبد شمس، هو ابن أخت خديجة رضى الله عنها، والتي لا شك في أنه كان لها دور بارز في هذه الزيجة»[١].

ويشير المستشرق إميل درمنغم إلى فضل تجارة خديجه على النبي ﷺ زاعمًا بأن هذه التجارة قد ساهمت في تقدير خُلقه ورفع مكانته حيث يقول: «وداومت خديجة على إدارة ثروتها مع القيام بأمور زوجها المعاشية. وعُلم أمر محمد أكثر ما كان عليه في جمهورية مكة التجارية التي تقاس أهمية الناس فيها بما عندهم من المال، وقُدر خُلقه، مع ذلك فلقب بالأمين، وبقي مع ذلك ذا شأن ثانوي فلم يفكر أحد في رفعه إلى مصاف وجوه قريش، ولكنه حدث ذات يوم ما برز به على ما روي[٢].

وافترى درمنغم بهذا فقد كان رسول الله ﷺ له شخصيته وخُلقه المعروف بين الناس قبل الزواج من أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها – فقد لقب بالصادق الأمين؛ لذلك بعثت إليه خديجه بمالها ثم لما علمت من أمانته وحسن خُلقه ﷺ عرضت عليه الزواج[٣].

ويناقض إميل درمنغم نفسه وذلك بقوله: «رافق ابن أخ لخديجة محمدًا في أحد أسفاره فشهد لها بصدق محمد وأمانته وفطنته فبعثت إليه وكان في السنة الخامسة والعشرين من عمره، فوجدته جميل الخلقة وسيم الوجه حسن الرجولة فتفرست فيه النجابة فعرضت عليه أن يتاجر لها وتعطيه أفضل ما تعطي غيره من التجار فقبل ذلك منها»[٤].

وتبدي المستشرقة كارين أمسترونج رأيًا مناقضا لهؤلاء المستشرقين وذلك بنفيها منفعة النبي ﷺ من تجارة خديجة – رضي الله عنها – حيث تقول: «أثار بعض نقاد محمد ﷺ بأن ذلك كان زواج منفعة، ولكن في الحقيقة أحب محمد ﷺ خديجة ولم يتخذ زوجة أخرى شابة معها، مع أن ذلك كان مقبولًا في أعراف العرب»[٥].

---

(١) محمد النبي ورجل دولة، مرجع سابق، ص: ١٠٠.

(٢) حياة محمد، مرجع سابق، ص: ٦٤.

(٣) انظر: السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، ١/ ١٨٧، ١/ ١٨٨.

(٤) حياة محمد، مرجع سابق، ص: ٦٢.

(٥) محمد نبي لزماننا، مرجع سابق، ص: ٣٧.

وتتبع بقولها: «رغم زواجه من خديجة – رضي الله عنها –، لم تكن له وجاهة اجتماعية في مكة»[١].

والمستشرقون في هذا لهم نظرة مادية بحته لا تنظر إلا من زاوية ضيقة من أجل تحقيق بعض مآربهم في النيل من سيرة الرسول ﷺ، وإلا فمن المعلوم لكل دارس لسيرته ﷺ أن خديجة – رضي الله عنها – لم تتعرف على الرسول ﷺ إلا بعد أن أصبح معروفًا بعلمه في التجارة مع اتصافه بالصدق والأمانة، لذلك رغبت أن توكل للرسول ﷺ شأن تجارتها نحو الشام[٢].

قال ابن إسحاق رحمه الله: وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه، بشيء تجعله لهم، وكانت قريش قوما تجارا، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها، من صدق حديثه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه، بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجرا، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار، مع غلام لها يقال له ميسرة، فقبله رسول الله ﷺ منها، وخرج في مالها ذلك، وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام، فنزل رسول الله ﷺ في ظل شجرة قريبا من صومعة راهب من الرهبان، فاطلع الراهب إلى ميسرة، فقال له: من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة؟ قال له ميسرة: هذا رجل من قريش من أهل الحرم، فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي[٣].

ثم باع رسول الله ﷺ سلعته التي خرج بها، واشترى ما أراد أن يشتري، ثم أقبل قافلا إلى مكة ومعه ميسرة. فكان ميسرة فيما يزعمون إذا كانت الهاجرة واشتد الحر، يرى ملكين يظلانه من الشمس وهو يسير على بعيره. فلما قدم مكة على خديجة بمالها، باعت ما جاء به، فأضعف أو قريبا[٤].

---

(١) محمد نبي لزماننا، مرجع سابق، ص: ٣٩.

(٢) موقف المستشرقين من الصحابة، مرجع سابق، ص: ٥٢٢.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، ١/ ١٨٧، ١/ ١٨٨.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام، ١/ ١٨٧، ١/ ١٨٨.

وحدثها ميسرة عن قول الراهب، وعما كان يرى من إظلال الملكين إياه وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة، مع ما أراد الله بها من كرامته، فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها به بعثت إلى رسول الله ﷺ، فقالت له فيما يزعمون يا بن عم. إني قد رغبت فيك لقرابتك، وسطتك في قومك وأمانتك وحسن خلقك، وصدق حديثك، ثم عرضت عليه نفسها[١].

وبهذا يتضح بطلان أقوال المستشرقين في أثر تجارة أم المؤمنين خديجة - رضي الله عنها - على النبي ﷺ وبرفع مكانته بين سادات قومه، فقد عرف النبي ﷺ بأخلاقه النبيلة وسجاياه الكريمة قبل زواجه بأم المؤمنين خديجة - رضي الله عنها -.

ولا يفهم من هذا أن رسول الله ﷺ لم ينتفع بمال خديجة - رضي الله عنها -، بل كانت - رضي الله عنها - تبذل مالها في مواساة سيد المرسلين ﷺ وفي سبيل الدعوة، فقد جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [الضحى: ٨] أي فقيرا فأغناك بمال خديجة - رضي الله عنها -[٢].

وقال عنها ﷺ: «وواستني بمالها إذ حرمني الناس». فعن عائشة - رضي الله عنها -، قالت: كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها، فأحسن الثناء، قالت: فغرت يوما، فقلت: ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدق، قد أبدلك الله عز وجل بها خيرا منها، قال: «ما أبدلني الله عز وجل خيرا منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله عز وجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء»[٣].

وبعد هذا لم يكن مقصود النبي ﷺ ذات المال فما كان محتاجًا إليه، ولم يكن بغية يتبغيها ولا غاية يتطلع إليها، فما أراد التكاثر، وما عرفه في أي دور من أدوار حياته، وإنما اتخذه وسيلة

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، ١/ ١٨٩.

(٢) التفسير الوسيط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، ط١، ٤/ ٥١١، (دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م)، تفسير البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، ط٤، ٨/ ٤٥٦، (١٤١٧هـ - ١٩٩٧ م، دار طيبة).

(٣) مسند أحمد، ح ٢٤٨٦٤، ٤١/ ٣٥٦، الطبراني المعجم الكبير،ح ٢٢، ٢٣/ ١٣، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة، ح ٦٢٢٤، ١٣/ ٤٨٤: ضعيف بهذا التمام.

للمكرمات يقوم بها، وللخير يسديه، فكان يطعم الكل، ويعين على نوائب الدهر، ولا يجد ذا حاجة إلى العون إلا أعانه، ولا ذا خصاصة إلا سدها، ولا ذا مسغبة إلا أشبعه، ولا ذا متربة إلا رفعه، وكان يبحث عن مواضع الحاجة، فيرأب ثلمتها.

الأمر الثالث: أثر تجارة خديجة على الدعوة:

لقد بذلت أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها – مالها للنبي ﷺ في سبيل الدعوة إلى الإسلام، وكان رسول الله ﷺ يعتق بمالها الرقيق ويساعد الفقراء ويغيث الملهوف، ولهذا كتب المستشرقون عن أثر تجارة خديجة – رضي الله عنها – على الإسلام والدعوة في سبيله.

فقد جاء في دائرة المعارف أن النبي ﷺ استفاد من مال خديجة – رضي الله عنها – في الجهاد وتجهيز الجيوش حيث كتب المستشرقون فقالوا: «استعان النبي ﷺ بمال خديجة في جهاده على أن خديجة كانت فيما يظهر ذات أثر عميق في حياة زوجها»[١].

كان لمال لخديجة رضي الله عنها أثر في مساندة النبي صلى الله عليه وسلم على الدعوة وتبليغ الإسلام وتحمل المشاق

وتهوين الصعاب قبل الهجرة فقد قال صلى الله عليه وسلم : « وواستني بمالها إذ حرمني الناس »[٢]لكنه صلى الله عليه وسلم لم يحتج إلى الحرب وتجهيز الجيوش قبل الهجرة كما أدعى المستشرقون فالنبي لم يستفد من مال خديجة رضي الله عنهافي تجهيز الجيوش .

ويروي المستشرق سفاري عن سخاء وبذل مال أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها – للفقراء والمحتاجين فيقول: «ولقد جاءته – النبي ﷺ – حليمة المرضعة ذات يوم تشكو إليه فقرها فرق لها قلبه وطلب من خديجة أن تحسن إليها فأعطتها قطيعًا من أربعين شاة عادت به حليمة سعيدة إلى صحراء بني سعد»[٣].

وجاء هذا الموقف عن ابن سعد رحمه الله في الطبقات قال ابن سعد: قدمت حليمة بنت

---

(١) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ٤٥٧٢.

٢() سبق تخريجة ص ١٩٤

(٣) السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون، مرجع سابق، ص: ٤٢.

عبد الله على رسول الله ﷺ في مكة، وقد تزوج خديجة – رضي الله عنها – فتشكت جدب البلاد وهلاك الماشية، فكلم رسول الله ﷺ خديجة – رضي الله عنها – فيها فأعطتها أربعين شاة وبعيرا موقعا للظعينة وانصرفت إلى أهلها[١].

(١) الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ١/ ٩٢.

المطلب الثاني

موقفهم من خديجة عند نزول الوحي وإيمانها بدعوة محمد ﷺ

من نعم الله الجليلة على نبيه محمد ﷺ أن اختار له زوجة تناسبه وتؤازره وتخفف عنه ما يصيبه، وتعينه على حمل تكاليف الرسالة، وتشاركه آلامه وآماله، وتكابد معه كيد الخصوم والأعداء، فكانت له خديجة - رضي الله عنها - نعم الزوجة ونعم المعين، ناصرته في بعثته، وطمئنته عند نزول الوحي وبشرته بالخير.

ولهذا اهتم المستشرقين بتدوين موقف أم المؤمنين خديجة - رضي الله عنها - من الوحي وإيمانها ببعثته ﷺ ونقلوا هذا الموقف من كتب السيرة النبوية والتاريخ والتراجم، إلا أن كثير منهم لم يسلم من الإضافات والمبالغة في كتابة هذا الموقف.

- موقف أم المؤمنين خديجة - رضي الله عنها - من الوحي.

يقول المستشرق غوستاف لوبون: «لم يتكلم محمد عن بعثته إلا بعد بلوغه الأربعين من عمره فبعد أن كان قائمًا يتحنّث على جبل حراء الذي يبعد ثلاثة أميال من مكة مثل ما كان يفعل كل سنة، ثم جاء إلى خديجة ممتقعًا وأخبرها كما روى مؤرخو العرب بأنه بينما كان تائهًا في الجبل إذ سمع جبريل يقرع أذنيه بقوله: اقرأ باسم ربك الذي خلق، يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل كما أخبرها بأن هذا كلام إلهي وبأنه يشعر في نفسه بقوة النبوة، فلم تتردد المرأة المطيعة خديجة في تصديق بعثة زوجها النبوية وانطلقت إلى ابن عمها ورقة وكان على جانب من العلم وقصت عليه ما سمعت فقال: «قدوس والذي نفس ورقة بيده لئن صدقني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى بن عمران وإنه لنبي هذه الأمة. رجعت خديجة إلى محمد وأخبرته بقول ورقة واطمأنت نفسه وطاف بالكعبة سبع مرات ثم انصرف إلى منزله ثم تواتر الوحي»[1].

---

(١) حضارة العرب، مرجع سابق، ص: ١٠٩.

وفي هذه الرواية يبدو أن المستشرق غوستاف لوبون قد اعتمد في كتابته هذا الموقف على السيرة النبوية لابن كثير قال ابن كثير رحمه الله: «لما أخبر النبي ﷺ ورقة بن نوفل خبر ما رأى قال له ورقة: هذا الناموس الذي كان ينزل على موسى، يا ليتني فيها جذعا، ليتني أكون حيا، إذ يخرجك قومك فقال رسول الله ﷺ: «أومخرجى هم؟ !» «فقال: نعم، لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرًا» ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي فترة[١]، حتى حزن رسول الله ﷺ فيما بلغنا حزنا غدًا منه مرارًا كي يتردى من رءوس شواهق الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه تبدى له جبريل فقال: يا محمد، إنك رسول الله حقا، فيسكن لذلك جأشه، وتقر نفسه، فيرجع؛ فإذا طالت عليه فترة الوحى غدا كمثل ذلك قال: فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له: مثل ذلك»[٢].

وتروي المستشرقة امسترونج كارين موقف خديجة من الوحي فتقول: «هبط محمد ﷺ من الجبل مرتعًا محتارًا متعثرًا في طريقه لخديجة، وعلى عتبة منزله كان يقول مرتجفًا: «زملوني زملوني وألقى بنفسه في حضنها»، لفته خديجة بالثياب واحتضنته حتى ذهب الروع عنه، ولم يساورها أدنى شك في الوحي وقالت في إصرار: «يا بن عم، أثبت وأبشر فوالله إنه لملك وما هذا بشيطان»، ولتطمئن محمد ﷺ استشارت خديجة ابن عمها ورقة بن نوفل الذي درس نصوص أهل الكتاب والذي يستطيع نصحها بخبرته وتهلل ورقة قائلًا بابتهاج: «قدوس قدوس، والذي نفسي ورقة بيده لئن كنت صدقتني يا خديجة، لقد جاء الناموس الأكبر الذي يأتي موسى، وإنه لنبي هذه الأمة فقولي له: فليثبت»[٣].

---

(١) صحيح البخاري، ح ٣، بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله، ١/ ٧، صحيح مسلم، ح ١٦٠، كتاب الإيمان ، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ١/ ١٣٩ ، وانظر: جامع البيان، مرجع سابق، ٨/٢٣، ، السيرة النبوية، إسماعيل ابن كثير تحقيق: مصطفى عبد الواحد، ١/ ٣٨٦، (دار لمعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت).

(٢) مسند أحمد ح ٢٥٩٥٩، ٤٣/ ١١٣، انظر: جامع البيان، مرجع سابق، ٨/٢٣، السيرة النبوية لابن كثير، مرجع سابق، ١/ ٣٨٦.

(٣) محمد نبي لزماننا، مرجع سابق، ص: ٤٦.

ويحاول المستشرق مونتجمري وات أن يتخذ هذا الموقف - موقف أم المؤمنين خديجة - رضي الله عنها - من الوحي - ذريعة للقدح والنيل من النبي ﷺ والتقليل من شأنه، ويشكك في صحة الوحي المنزل على رسول الله ﷺ، ويحاول أن يبالغ في إظهار فضل أم المؤمنين خديجة - رضي الله عنها - وابن عمها ورقة بن نوفل في تقوية قلب النبي ﷺ حيث قال: «ليس من سبب يجعلنا نرفض الرواية القائلة أن خديجة قد شدت من أزر محمد ﷺ، فمن الواضح أن محمدا كانت تنقصه في هذه المرحلة الثقة بالنفس، فالصورة العامة لا يمكن أن تكون مبتدعة رغم أن التفاصيل قد يكون لحقتها إضافة نتيجة الاستنتاج الخاطئ أو بفعل التخيل، وشد أزر ورقة بن نوفل لمحمد كان بالإضافة لجهود خديجة أمرا مهما، وليس هناك سبب قوى يدعونا للشك في صحة العبارة التي وردت بها كلمة الناموس على لسان ورقة. فاستخدام هذه الكلمة غير القرآنية بدلا من كلمة التوراة القرآنية دليل على صحة هذه الرواية»(١).

لقد أساء المستشرق مونتجمري إلى النبي ﷺ في قوله: «فمن الواضح أن محمدا كانت تنقصه في هذه المرحلة الثقة بالنفس». فما كان رسول الله تنقصه ثقة ولو كان كذلك لما بعثه الله إلى الناس كافه، ولما استطاع النبي ﷺ أن يجهر بالدعوة إلى الله، فالله أعلم حيث يجعل رسالته قال الله تعالى ﴿ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

ويقول المستشرق مونتجمري في موضع آخر إن السبب الأول والأخير في تثبيت محمد ﷺ على الدعوة هو ورقة بن نوفل وأم المؤمنين خديجة - رضي الله عنها -: «كانت خديجة تطمئنه أثناء شكه في بعض أوقات الكآبة أو العزلة بأنه نبي ويرجع عن ذلك الشك بسببها»(٢).

---

(١) محمد النبي ورجل دولة، مرجع سابق، ص: ١١٩، ١٢٠.

(٢) محمد النبي ورجل دولة، مرجع سابق، ص: ٢٥٩.

«ويقال أن محمدًا في الأيام الأولى، وبعد وقت قصير من تنزل الوحي الأول تشجع على الاعتقاد بدعوته بواسطة خديجة وبوجه أخص من قبل ابن عمها ورقه»[(١)].

وجاء نحو هذا في موجز دائرة المعارف: «ومهما يكن من شيء فإن الرواية ترسم صورة جذابة جدًا للمعونة الأدبية التي أسدتها للنبي ﷺ عندما اعتراه القلق والحيرة أول نزول الوحي، ولا مشاحة في أن ورقة بن نوفل كانت له يد في استمالتها إلى الدعوة التي يهدف إليها النبي ﷺ»[(٢)].

وكتب المستشرق آتين دينيه عن موقف أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها – من الوحي واطمئنانها العميق بسمو مصير زوجها محمد ﷺ فقال: «لم يكد الرسول ﷺ يغشى داره حتى هرع إلى خديجة ووضع رأسه في حجرها وقال – وقد أخذته رعدة المحموم –: دثروني، دثروني، فأسرع الخدم إليه ويدثرونه حتى هدأ روعه، وسألته خديجة وقد تملكها فزع عظيم: يا أبا القاسم حدثني بالله أين كنت، وماذا حدث لك؟ لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا حراء ووصلوا إلى ضواحي مكة، ورجعوا إلي دون أن يلقوك: فحدثها بالذي رأى، ثم قال حسبت والله من شدته أني أموت فقالت خديجة، وقد رجع إليها اطمئنانها: والله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الدهر. أبشر يا بن عمي واثبت، فوالذى نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة.

فمنذ أن أيد حديث ميسرة العجيب لخديجة ملاحظاتها الشخصية بالنسبة لمحمد، وخديجة مقتنعة بأن مصيرًا ساميًا قد قدر له، ولذلك لم تندهش لما علمت أمر الوحي. بيد أنها أرادت أن ترى الأمر في وضوح فتهيأت للخروج وانطلقت مسرعة إلى ابن عمها ورقة بن نوفل: وألقت الخبر كما سمعته»[(٣)].

ويتحدث المستشرق بودلي عن موقف أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها – من الوحي فيقول: «ولما زال دافع العمل للقوت اليومي وجد محمد فسحة من الوقت ليتأمل فيما اجتمع

---

(١) محمد النبي ورجل دولة، مرجع سابق، ص: ٣٧.

(٢) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ٤٥٧٢.

(٣) محمد رسول الله، مرجع سابق، ص: ٧٧، ٧٨.

في رأسه ورأته عيناه، وكانت زوجه تلحظ شرود ذهنه أحيانًا وهو يعقد عقد أو يخرج مع قافلة حتى أول الطريق لقد كان غارقًا في حلم اليقظة وما كان هذا بالكسل... ... ... ولكن كان شرود عقل راجح وجد نفسه مجبرًا على التأمل والتفكير لما تهيأت له الحرية، وقد أحست خديجة المرأة الناضجة العقل ما تميل إليه نفس زوجها، فترفقت به ولم ترهقه بما عرف عن النساء من ثرثرة وتركته لتأملاته ونفسه وبذلك ساعدت خديجة مرّة أخرى على وضع أسس الإسلام، وكان ابن عمها ورقة الذي شد أزرها يوم زواجها يرشدها إلى سلوكها الطيب نحو زوجها»[1].

فيرى المستشرق بودلي أن خديجة - رضي الله عنها - ساعدت على وضع أسس دين الإسلام وإرساء قواعده؛ لأنها بعد زواجها من الرسول ﷺ توفر له العيش الرغيد بعد أن كان يعمل لإيجاد لقمة العيش كل يوم، وأنها حاولت أن لا تقطع على الرسول ﷺ تأملاته وأفكاره، وأن الذي ساعدها على ذلك هو ورقة بن نوفل.

ودعواه في هذا باطلة لعدم وجود دليل عليه، فخديجة - رضي الله عنها - وإن كانت على اتصال بورقة بن نوفل في بعض الأمور؛ إلا إنها لم تتنصر قبل إسلامها، والرسول ﷺ قبل بعثته لم يكن على دين النصرانية، ولم يدرس على ورقة بن نوفل شيئًا من تعاليم النصرانية، والإسلام الذي جاء به كامل وناسخ للديانات الأخرى وعلى رأسها اليهودية والنصرانية[2]، قال تعالى ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمرن: ٨٥].

ويواصل حديثه قائلًا في موقف أم المؤمنين خديجة - رضي الله عنها - «قد أحبت خديجة زوجها وقد زادت الاثنتا عشر سنة لزواجهما في ارتباطهما، فبعث موقفه الآن وهو أمامها شاحب الوجه، أشعث الشعر، وقد كسا تراب الغار ثيابه أعمق عواطف الأمومة في نفس الزوجة لقد كان المنزعج المضطرب زوجها فشملته بعواطفها ووضعت يدها على ذراعه وقالت في إيمان: «الله يرعانا يا أبا القاسم، أبشر يا ابن عم واثبت، فوالذي نفس خديجة بيده أني لأرجوا أن تكون نبي هذه الأمة، ووالله لا يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتصدق

(١) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٦٤، ٦٥.

(٢) انظر: موقف المستشرقين من الصحابة، مرجع سابق، ص: ٥٢٥.

الحديث، وتحمل الكل، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق. وانفرجت أسارير محمد فابتسم، ولفت خديجة ذراعه حوله وبقيت كذلك هنية ثم التمست منه أن يستريح فنام، فانطلقت خديجة إلى ورقة تحمل النبأ الجديد»(١).

ويبالغ في نسبة الفضل لأم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها – وذلك بقوله: «وعملت خديجة بذلك مرة أخرى على إنقاذ الإسلام دون وعي منها، فلو أن محمدًا قد ترك وحيدًا لأشكل عليه أمر نفسه ولأقدم على الانتحار، ويرجع عدم ارتكابه هذا المنكر إلى خلقه القويم وإلى فهم الزوجة العظيمة زوجها، فما أظهرت له شكا في أمره، بل كانت تشجعه دومًا»(٢).

حقًا لقد كان لأم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها – أثرًا في تثبيت النبي ﷺ وتقوية قلبه، لكن ليس كما صور المستشرق بودلي، ثم إن بعض الأنبياء والرسل من قبله قد ثبتوا وربط الله على قلوبهم دون إعانة من أزواجهم.

ويقتبس المستشرق إميل درمنغم من سيرة ابن هشام فيقول: «عاد محمد إلى بيته فراع خديجة ما رأته من هيامه وصمته، وصار يبدو في بعض الأحيان غير شاعر بما حوله مغشيًا عليه خفي النفس ثم يظهر نائمًا منتظم التنفس هادئًا ثم خافق القلب، فيرى في منامه رجلًا هائلًا صافًا قدميه في أفق السماء يدنو منه باسطًا ذراعيه ليقبض عليه فيصحو مذعورًا مبللًا عرقًا، فتمسح خديجة عرق جبينه وتسأله عما بدا له برفق وبصوت خافت ينم على إشفاق، فلا ترى منه سوى السكوت أو الإعراض عن أسئلتها أو إجابتها بما لم تفهمه من الكلام.

أثقل هذا الحمل كاهل محمد، فقال محمد لخديجة الكريمة الخُلق أخشى أن يكون بي جنون، أرى فيَّ علائم المسوسين ومن يعتقد أنني أكون شاعرًا أو مجنونًا؟ لا تحدثي أحدًا عن هذا.

سمعت خديجة هذا السر، وهو ما كانت تنتظره وتخشاه وكيف تُسكن روعه وقد ساورتها المخاوف؟ ولكن هذه المرأة فُطِرت على تفريج الغم وترويح النفس، فكانت جمّاعة لمتانة

(١) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٧٤، ٧٥.

(٢) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٧٧.

الزوجات الصالحات وحنان الأمهات، ومن ثم كانت حاملة لبعلها الأصغر منها سنًا أكمل ضروب الود والحب، فكان من اغتباط وفائها أن تجد اليوم مع غموض هذا الرجل القوي، هذا الزوج العجيب ضعيفًا مريضًا، فكيف تُلقي السكينة إلى قلبه؟.

خديجة: «يا أبا القاسم ألست الأمين كما تسمى؟ ألست الثقة الناصحة الصادق، أنت لا تخدع أحدًا فكيف يكون الله خادعك؟ ألست تقيًا زاهدًا محسنًا قارئًا للضيف؟ مُحرما لأهلك، مُطعمًا للجائع، كاسيًا للعاري عونًا للغريب نصيرًا للضعيف؟ فلن تكون ألعوبة للشياطين الكاذبين ولا الجن الخبيثين.

محمد: «من هو الذي يأتيني ثم يأتيني ثم يأتيني بلا انقطاع إذن؟ ومن هو هذا الذي يذكر لي اسمه ولا استطيع منه الفرار؟ عاد الغم إلى محمد فارتعش واحمرّ وجهه واصفر وصار يسمع دويًا في أذنيه وشخص بصره فكأن شيئًا غريبًا جاءه فقال: «ها هو قد جاءني» لم يكن ذلك في المنام بعد أن عاد محمد لا ينام ولا يحلم ولم ينفك ذلك الكائن العجيب عن الاقتراب منه. هنالك عن خديجه أمر فقالت لزوجها: «ادن مني وكن تحت ردائي».

لم يعارض محمد في ذلك فكان كالولد الجاثم في حضن أمه، احتماء بها من كل عدوان في الدنيا، فألقت خديجة خمارها عليه وحلت قميصها وأجلسته على كربتها وأدمجته وأخفته تحت ثيابها قريبًا من جسمها وشعرها الأسود وسألته هل تراه؟ محمد: لا.

خديجة: إنه ليس بشيطان فاجر إذن، أنه ليس بعفريت إنه يحترم عفاف النساء، ليس هذا غير ملك(١).

قال ابن إسحاق رحمه الله: خرج رسول الله ﷺ إلى حراء، كما كان يخرج لجواره ومعه أهله، حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته، ورحم العباد بها، جاءه جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى، قال رسول الله ﷺ: فجاءني جبريل، وأنا نائم، بنمط من ديباج فيه كتاب، فقال اقرأ، قال: قلت: ما أقرأ؟ قال: فغتني به حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قال: قلت: ما أقرأ؟ قال: فغتني به حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قال:

---

(١) حياة محمد، مرجع سابق، ص: ٨٠، ٧٩، ٧٨.

قلت: ماذا أقرأ؟ قال: فغتني به حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قال: فقلت: ماذا أقرأ؟ ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود لي بمثل ما صنع بي، فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ [العلق: ١ – ٥] قال: فقرأتها ثم انتهى فانصرف عني وهببت من نومي، فكأنما كتبت في قلبي كتابا، قال: فخرجت حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتا من السماء يقول: يا محمد، أنت رسول الله وأنا جبريل، قال: فرفعت رأسي إلى السماء أنظر، فإذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء يقول: يا محمد، أنت رسول الله وأنا جبريل. قال: فوقفت أنظر إليه فما أتقدم وما أتأخر، وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء، قال: فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك، فما زلت واقفا ما أتقدم أمامي وما أرجع ورائي حتى بعثت خديجة رُسُلَها في طلبي، فبلغوا أعلى مكة ورجعوا إليها وأنا واقف في مكاني ذلك، ثم انصرف عني[١].

وانصرفت راجعًا إلى أهلي حتى أتيت خديجة فجلست إلى فخذها مضيفا إليها فقالت: يا أبا القاسم، أين كنت؟ فو الله لقد بعثت رُسُلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا لي، ثم حدثتها بالذي رأيت، فقالت: أبشر يا بن عم واثبت، فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة.

ثم قامت فجمعت عليها ثيابها، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وهو ابن عمها، وكان ورقة قد تنصر وقرأ الكتب، وسمع من أهل التوراة والإنجيل، فأخبرته بما أخبرها به رسول الله ﷺ، أنه رأى وسمع، فقال ورقة بن نوفل: قدوس قدوس، والذي نفس ورقة بيده، لئن كنت صدقتيني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى، وإنه لنبي هذه الأمة، فقولي له: فليثبت. فرجعت خديجة إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بقول ورقة بن نوفل، فلما قضى رسول الله ﷺ جواره وانصرف، صنع كما كان يصنع، بدأ بالكعبة فطاف بها، فلقيه ورقة بن نوفل وهو يطوف بالكعبة فقال: يا بن أخي أخبرني بما رأيت وسمعت فأخبره رسول الله ﷺ، فقال له ورقة: والذي نفسي بيده، إنك لنبي هذه الأمة، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى ولتكذبنه ولتؤذينه ولتخرجنه ولتقاتلنه، ولئن أنا أدركت

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، ١/ ٢٣٧.

ذلك اليوم لأنصرن الله نصرا يعلمه، ثم أدنى رأسه منه، فقبّل يافوخه، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى منزله[١].

قال ابن إسحاق رحمه الله: عن خديجة – رضي الله عنها – أنها قالت لرسول الله ﷺ: أي ابن عم، أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك؟ قال: نعم، قالت: فإذا جاءك فأخبرني به. فجاءه جبريل عليه السلام كما كان يصنع، فقال رسول الله ﷺ لخديجة: يا خديجة، هذا جبريل قد جاءني، قالت: قم يا بن عم فاجلس على فخذي اليسرى، قال فقام رسول الله ﷺ فجلس عليها، قالت: هل تراه؟ قال: نعم، قالت: فتحول فاجلس على فخذي اليمنى، قالت: فتحول رسول الله ﷺ فجلس على فخذها اليمنى، فقالت: هل تراه؟ قال: نعم قالت: فتحول فاجلس في حجري، قالت: فتحول رسول الله ﷺ فجلس في حجرها، قالت: هل تراه؟ قال: نعم، قال: فتحسّرت وألقت خمارها ورسول الله ﷺ جالس في حجرها، ثم قالت له: هل تراه؟ قال: لا، قالت يا ابن عم، اثبت وأبشر، فو الله إنه لملك وما هذا بشيطان[٢].

وأخرج البخاري في صحيحه عن عائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها – أنها قالت: «أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه – وهو التعبد – الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: «فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني، فقال: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥ ﴾ [العلق: ١ – ٥] فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد – رضي الله عنها –، فقال: زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي فقالت

(١) السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، ١/ ٢٣٨.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، ١/ ٢٣٩.

خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعا، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: أو مخرجي هم، قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا، ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي»(١).

وبهذا العرض تبين لنا موقف المستشرقين من أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها – تجاه نزول الوحي على رسول الله ﷺ وما ظهر منها من رجاحة عقل، وثبات وإعانة، ومناصرة وتأييد، مع ما برز من جهودهم ومحاولاتهم الفاشلة في نسبة الفضل إلى ورقة بن نوفل ابن عم خديجة – رضي الله عنها – وهم بهذا الموقف يرومون إلى التشكيك في صدق الوحي ونبوة محمد ﷺ، وقد أثاروا في هذا مسائل عديدة منها القرآن الكريم والسنه النبوية.

– إيمان خديجة ببعثه ﷺ.

كتب المستشرقون عن إيمان خديجة – رضي الله عنها – برسالة النبي ﷺ وتأييديها دعوته، ومسارعتها إلى الدخول في دين الله عز وجل برضًا واطمئنان وانشراح صدر، دون إكراه أو قهر.

يقول المستشرق مونتجمري وات: لقد حازت خديجة – رضي الله عنها – السبق في إيمانها برسالة محمد ﷺ ودعوته، ويرجع السبب في ذلك إلى العلاقة الزوجية بين خديجة – رضي الله عنها – والنبي ﷺ، وإلى عقل خديجة – رضي الله عنها – وخبرتها بالحياة وعلاقتها بابن عمها النصراني ورقة بن نوفل.

---

(١) صحيح البخاري، ح٣، باب كيف كان بدء الوحي، ١/ ٧ ، صحيح مسلم، ح ٢٥٢، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ١/ ١٤٠.

«من المجمع عليه أن أول شخص أسلم وآمن أن وحي محمد من عند الله، كانت زوجته خديجة تم ذلك من خلال تصوير طبيعة العلاقة بينهما والتي رويت بواسطة روايات موثقة جدًا، لقد كانت خديجة شخصا شخصا أكبر سنًا من زوجها، وتمتلك بعضًا من المعارف والخبرة في الشؤون العامة، وكانت علاقتها جيدة مع ابن عمها المسيحي ورقة بن نوفل، ومن المسلَّم به أيضًا أنها كانت ذات عقل نشط وتشعر بالاهتمام إزاء المشكلات المعاصرة لمكة، وهكذا فقد كانت على استعداد لإراحة ودعم محمد»(١).

ويقول في موضع أخر: هناك اتفاق عام على أن خديجة كانت هي أول من آمن بزوجها (محمد ﷺ) ورسالته(٢).

إن أول ما يجب علينا ملاحظته في قول المستشرق مونتجمري وات هو السبب الذي من أجله آمنت خديجة – رضي الله عنها – على حد قوله، فقد جعل عدة أسباب موجبة لإيمانها منها طبيعة العلاقة الزوجية بين خديجة ومحمد ﷺ، وخبرة أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها – في أمور الحياة، وعلاقتها بابن عمها ورقة بن نوفل ومساعدة ابن عمها معها، وقد جانب الصواب في طبيعة العلاقة الزوجية وذلك؛ لأنه جرت العادة أن المقربين للعالم والداعية قد لا يأخذون بأقواله ولا يعتدّون بعلمه لكونهم يرون هذا الإنسان في سائر أحواله، بخلاف لو كان شخصًا لا يعرفونه إلا في مجالس العلم والعلماء، وأما الخبرة والعلم فمهما يكن من علم خديجة وخبرتها إلا أنها لا تستطيع أن تعرف وتجزم بأن هذا وحي من عند الله، ولكن لرجاحة عقلها ووفور فهمها طمأنت النبي ﷺ وامتدحته في أفعاله وذكرته بإحسانه إلى الناس وقالت له: من كان هذا شأنه في صنائع المعروف فلن يخذله خالقه.

وأما في السبب الأخير فقوله: علاقتها الجيدة مع ابن عمها المسيحي.

(١) محمد نبي ورجل دولة، مرجع سابق، ص: ٥٠.

(٢) محمد نبي ورجل دولة، مرجع سابق، ص: ١٧٢.

نقـول: أن خديجـة – رضـي الله عنهـا – أصـغت للنـبي ﷺ بمـا أخـبر مـن شـأن الـوحي وصدّقته بما أخبر، ثم طمأنته وهدأت من روعه، ثم بعد ذلك ذهبت إلى ابن عمها ورقة بن نوفل تخبره بما كان، وعلى هذا لم يكن تصديق وإيمان خديجة – رضي الله عنها – من أجل ورقة بن نوفل بل كان تصديقها بالنبي ﷺ قبل ذهابها إلى ابن عمها، وذلك ليقينها بصدق زوجها.

وترد المستشرقة أمسترونج كارين[(١)] على هذا وتقول: إن إيمان وتصديق خديجة – رضي الله عنها – بالنبي ﷺ جاء عن رغبة دون شرط أو قيد: «فقد آمنت خديجة وأبناؤهما وعلي وزيد بنبوته إيمانًا غير مشروط»[(٢)].

ويثني المستشرق توماس كارليل على موقف خديجة – رضي الله عنها – وتصديقها وثباتها فيقول: «ويخيل إلينا أن الصالحة خديجة أصغت إليه في دهشة وشك، ثم آمنت وقالت: إي وربي إنه لحق، ونتوهم أن محمد شكر لها ذلك الصنيع، ورأى في إيمانها بكلمته المخلصة المقذوفة من بركان صدره جميلًا يفوق كل ما أسدت إليه من قبل، فإنه ليس أروح لنفس المرء ولا أثلج لحشاه من أن يجد له شريكًا في اعتقاده، نعم إنه لصنيع أغرٌّ ونعمة وفيرة ولذلك ما انفك محمد يذكر خديجه حتى لقي ربه»[(٣)].

ويروي المستشرق آتين دينيه عن كيفية إيمان خديجة – رضي الله عنها – ودورها في تقوية النبي ﷺ على الدعوة فيقول: «شعر محمد براحة ونشاط عظيمين، شعر براحة في جسمه من أثر الطهور، وشعر براحة في نفسه من أثر الصلاة، فعاد وهو يملأ الإيمان عليه جميع أقطاره إلى زوجه، فظهر له جبريل وقال له: اقرأ على خديجة السلام من ربها، قال رسول الله ﷺ: يا خديجة هذا جبريل يقرأ عليك السلام، فقالت خديجة: الله السلام ومنه السلام وعلى جبريل السلام، وهكذا كانت خديجة أول من أسلم من بني البشر، فقادها الرسول إلى النبع الذي تفجّر تحت قدم جبريل، فتوضأ لها ليريها كيف الطهور للصلاة كما أراه جبريل، فتوضأت كما توضأ لها رسول الله عليه الصلاة والسلام، ثم صلى بها رسول الله كما صلى به جبريل فصلت

(١) محمد النبي ورجل الدولة، مرجع سابق، ص: ١٧٢.

(٢) محمد نبي لزمننا، مرجع سابق، ص: ٤٩.

(٣) الأبطال، توماس كارليل، تعريب محمد السباعي، ط٣، ص: ٧٥، ١٣٤٩هـ، (نشر المطبعة المصرية بالأزهر).

بصلاته، آمنت خديجة، فخفف الله بذلك عن نبيه ﷺ، فكان لا يسمع شيئًا مما يكرهه، من رد عليه وتكذيب له فيحزنه ذلك، إلا فرج الله عنه بها إذا رجع إليها، تخفف عنه وتصدقه وتهون عليه أمر الناس، كانت تضحية خديجة تلك السيدة المثالية، توحي باحتقار لا حد له لخبث الناس وشرورهم، وكان إيمانها الذي لا تزعزعه الأعاصير يقوى في نفسه الثقة حينما كان المشركون يصفونه بأنه منقول على الله»(١).

ويدلي المستشرق ول ديورانت بدلوه فيقول آمنت خديجة - رضي الله عنها - بالنبي ﷺ وساندته على إعلان رسالته للناس: «ولما عاد إلى خديجة حدثها بما رأى، وتقول الرواية أنها آمنت بأن ما رآه وحي صادق من السماء، وشجعته على أن يعلن للناس رسالته»(٢).

وخلاصة هذه النصوص أن المستشرقين اتفقوا على إيمان خديجة - رضي الله عنها - وأنها هي أول من آمن برسالة محمد ﷺ وأول من ساند النبي ﷺ في نشر دعوته وتخفيف أعباء رسالته، واختلفوا في أسباب إيمانها.

قال ابن هشام رحمه الله: «وآمنت به خديجة بنت خويلد، وصدقت بما جاءه من الله، ووازرته على أمره، وكانت أول من آمن بالله وبرسوله، وصدق بما جاء منه. فخفف الله بذلك عن نبيه ﷺ، لا يسمع شيئًا مما يكرهه من رد عليه وتكذيب له، فيحزنه ذلك، إلا فرّج الله عنه بها إذا رجع إليها، تثبته وتخفف عليه، وتصدّقه وتهون عليه أمر الناس، رحمها الله تعالى»(٣).

---

(١) محمد رسول الله، مرجع سابق، ص: ٨٠.

(٢) قصة الحضارة، مرجع سابق، ١٣/ ٢٥.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، ١/ ٢٤٠.

المبحث الثاني
موقفهم من مناقب عائشة بنت أبي بكر الصديق -رضي الله عنها-

المطلب الأول: موقفهم من حادثة الإفك.

المطلب الثاني: موقفهم من عائشة عند وفاة النبي محمد ﷺ.

المطلب الثالث: موقفهم من علمها وحديثها.

المطلب الأول

موقفهم من حادثة الإفك

إن من أبرز مواقف المستشرقين في أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن — ما جاء عن موقفهم من حادثة الإفك، فقد أفاضوا في الحديث حوله، واستكثروا منه، فلا تكاد تجد مستشرقًا كتب في السيرة النبوية إلا وكتب عن هذه الحادثة ورواها بأسلوبه، حيث تنوعت أساليب المستشرقين في هذه الرواية وائتلفت غايتهم، وأسفر هذا الموقف عن حقد المستشرقين وبغيهم وإفسادهم وتحريفهم لما جاء في كتب السيرة النبوية وظهر هذا جليًا، بخلاف المواقف الأخرى التي قد يُلبسون بها على القارئ غايتهم وبغيتهم.

وبهذا انقسم المستشرقون تجاه حادثة الإفك إلى فريقين:

الفريق الأول:

نزّه أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - من الخيانة والزنا، لكنه لم يسلم من التحريف في حادثة الإفك وإضافة الشك، ومن هؤلاء المستشرقين المستشرق جون جلوب، والمستشرق آتين دينيه، والمستشرق سفاري، والمستشرق غوستاف لوبون [(١)] ، وغيرهم.

يقول المستشرق جون جلوب عن حادثة الإفك: «أَلِف الرسول ﷺ أن يصطحب إحدى زوجاته في هذه الحملات، وكانت رفيقة دربه في هذه الحملة زوجته عائشة بنت أبي بكر الصديق، وفي الليلة الأخيرة من الحملة، وكل الناس قد بدئوا في الرحيل خرجت عائشة لبعض حاجتها بعيدًا عن المعسكر، وعندما عادت إلى الرحل افتقدت عقداً كان في عنقها فرجعت إلى المكان الذي كانت فيه في ظلمة الدجى، وعندما كانت تبحث عن عقدها الضائع كان الركب قد ارتحل مخلفا إياها وراءه دون أن يحس بها أحد، وحمل الناس هودجها وهم يظنون أنها فيه، إذ كانت ستائره مسدلة، وعندما عادت إلى المعسكر رأت القوم وقد ارتحلوا فتلففت بجلبابها ثم اضطجعت في مكانها متصورة أنهم سيفتقدونها ويعودون للبحث عنها.

---

(١) انظر: حضارة العرب، مرجع سابق، ص: ١١٧.

وبينما هي في نومها مر بالمكان شاب يدعى صفوان كان على بعيره قاصدًا المدينة، ولما رآها في حالها هذه حملها على جمله وأخذ برأسه وانطلق به يقصد الناس، وآثار وصول زوجة النبي على بعير يقوده شخص غريب الأقاويل وأحاديث الإفك.

وأخذ أعداء النبي ﷺ يروجون الشائعات بسرعة للطعن في شرفها والإضرار بسمعتها، وثارت في نفس النبي ﷺ الشكوك، ويقال أن عليًا اقترح على محمد أن يستخلف عائشة قائلًا له إن النساء لكثيرات، وبعد شهر من القلق نزل الوحي ببراءة عائشة، وعاد الانسجام إلى صفوف المسلمين، ومن نتائج هذه القضية نزول سورة النور التي تشترط وجود الشهود الأربعة لإثبات جريمة الزنا، والتي تفرض عقوبة الحد الشرعي ثمانين جلدة على كل من يطعن في النساء المحصنات دون إقامة دليل بوجود الشهود الأربعة[١].

لقد دوّن المستشرق جون جلوب حادثة الإفك في كتابه، ويبدو أنه نقلها من كتب السيرة النبوية، لكنه حرّف في هذه القصة وجانب الصواب في قوله: «وثارت في نفس النبي ﷺ الشكوك، ويقال أن عليًا اقترح على محمد أن يستخلف عائشة قائلًا له إن النساء لكثيرات». وذلك؛ لأن النبي ﷺ لم يشكَّ في عائشة – رضي الله عنها –، ولم يقترح عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه على النبي ﷺ أن يفارقها ويستخلف غيرها، والصواب أن النبي ﷺ استشار علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأسامة بن زيد، فأما أسامة رضي الله عنه فقال: أهلك ولا نعلم عليهم إلا خيرًا، وأما علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، لم يضيّق الله عليك، والنساء سواها كثير، وسل الجارية تصدقك، قالت: فدعا رسول الله ﷺ بريرة، فقال: «أي بريرة، هل رأيت من شيء يريبك؟». قالت له بريرة: والذي بعثك بالحق، ما رأيت عليها أمرا قط أغمصه، غير أنها جارية حديثة السن، تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجن فتأكله»[٢].

---

(١) الفتوحات الكبرى، مرجع سابق، ص: ١١٨، ١١٩.

(٢) صحيح البخاري، ح ٤١٤١، كتاب المغازي، باب حديث الإفك، ٥/ ١١٦، صحيح مسلم، ح ٢٧٧٠، كتاب التوبة، باب حديث الإفك وقبول توبة القاذف، ٤/ ٢١٢٩.

وخلاصة القول: أن عليًا ﷺ لم يكن ليسيء الظن بأهل بيت رسول الله ﷺ وحاشاه ، ﷺ وإنما حمله على تصرفه وقوله إشفاقه على رسول الله ، ﷺ ورغبته في إذهاب الغم والكرب عن نفسه، لما رأى من شدّة تأثره ﷺ بالأمر[١].

ويروي المستشرق آتين دينيية حادثة الإفك على لسان أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – ويسير حذو جون جلوب في نسبة الشك إلى أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – حيث يقول: «... ... ... واتخذ أهل النفاق من ذلك الحادث مطيّة لإفكهم وقالوا في عائشة ما قالوا، وأحسّ محمد بالشك يغزو قلبه، فابتعد عن عائشة رغم احتجاجها وتأكيدها براءتها، ورغم تألم صهره أبي بكر لذلك، ثم أخيرا نزل الوحي على النبي فجاء بلسما شافيًا لشكوكه، ودواء ناجعًا قاطعًا للظنون، إذ استنكر فيه الله تعالى الإفك وكذب أهله»[٢].

وتعتبر هذه الرواية –رواية المستشرق آتين دينيية – من أقرب روايات المستشرقين في حادثة الإفك، إلا أنه لم يسلم من التحريف في السيرة النبوية أمثال سابقيه، فقد قال: «وأحس محمد بالشك يغزو قلبه، . ثم أخيرًا نزل الوحي على النبي فجاء بلسمًا شافيًا لشكوكه، ودواء ناجعًا قاطعًا للظنون». وهذا باطل، حيث إن النبي ﷺ لم يكن عند أدنى شك في عفاف وطهر أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها –، ثم إنه لم يبتعد عنها، وإنما مرضت عقب رجوعها من الغزوة فاستأذنت رسول الله ﷺ أن تمرّض في بيت أبويها، فأذن لها[٣].

وأما قوله: – رغم احتجاجها – فلم تحتج عائشة– رضي الله عنها –، بل إنها لم تكن تعلم بحديث الإفك إلا من أم مسطح قبيل نزول الوحي بأيام قليلة. قالت عائشة– رضي الله عنها –: فقدمنا المدينة، فاشتكيت حين قدمت شهرا، والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك، لا أشعر بشيء من ذلك... ... ... فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بئس ما قلت، أتسبين

---

(١) انظر: صحيح البخاري، ح ٤١٤٢،كتاب المغازي، باب حديث الإفك ٥/ ١٢٠.

(٢) محمد رسول الله، مرجع سابق، ص: ٢١٥، محمد وخلفاؤه، مرجع سابق، ص: ١٧٠.

(٣) انظر: الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، ط١، ص: ٣٠٤، (دار الهلال – بيروت).

رجلا شهد بدرًا؟ فقالت: أي هنتاه! ولم تسمعي ما قال؟ قالت: وقلت: ما قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك، قالت: فازددت مرضًا على مرضي»(١).

وأما المستشرق سفاري فيبسط القول في رواية حادثة الإفك ويشكك في عفة أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – ويصور موقف أمهات المؤمنين حين تلقى خبر الخروج مع الرسول ﷺ إلى غزواته بصورة الرعب والخوف والهلع، وينسج بأنامله المفترية والحاقدة موقف عائشة – رضي الله عنها – من تغيب القوم عنها.

فيقول: «اتهمت عائشة زوجة محمد المقربة إلى قلبه بالزنا مع صفوان، وهو ضابط شاب كان يتولى قيادة المؤخرة، وهي تروي قصتها في هذه الكلمات: كان النبي ﷺ كلما أراد أن يخرج في غزوة اقترع بين نسائه فأيهن خرج سهمها كانت تصحبه في سفره، ولهذا كلما أخبرنا بحرب جديدة كانت قلوبنا ترتعد خوفًا وأملًا، وكان سهمي قد خرج في هذه المرة، فغطّاني رسول الله بوشاح وخرجت معه، ... ... ولكني اضطررت للخروج لبعض حاجاتي... ... ... فلاحظت أني فقدت عقدي فعدت أدراجي، وبينما كنت أبحث عن العقد بقلق شديد مر بعض الجنود بالقرب من الهودج وحملوه على البعير ولم يندهشوا من خفة وزنه... ... ... فرجعت مسرورة إلى حيث كانت مركبتي، فلم أجد أثرًا لأحد، فأخذت أنادي فلم أجد مجيبًا، فملأت الدنيا صراخًا فلم يسمعني أحد، فكنت آمل أن يعودوا لحملي فخاب أملي.

وتعبت من الصراخ ومن الانتظار، وجلست فغشيني النعاس، وكان صفوان الذي يقاسمني همومي قد بقي في مؤخرة الجيش، ومرّ في الصباح المبكر بالمكان الذي كنت أرقد فيه فأبصرني وأنا بدون حجاب، فعرفني، واستيقظت على صوته وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون.

وإني أقسم بالله أنه لم ينطق بغير هذه الكلمات، وتغطيت بجلبابي، وقرّب البعير، وساعدني على الركوب، وقاده من الخطام حتى لحقنا بالجيش.

---

(١) صحيح البخاري، ح ٤١٤١، كتاب المغازي، باب حديث الإفك، ٥/ ١١٦، صحيح مسلم، ح ٢٧٧٠، كتاب التوبة، باب حديث الإفك وقبول توبة القاذف، ٤/ ٢١٢٩.

كانت عائشة تدافع عن نفسها أمام زوجها وأمام أبيها أبي بكر وأمها أم رومان، وكانت شابة وجميلة وبليغة فرجحت حجتها، وسُرَّ محمد بأن وجدها بريئة، فقد كان يحبها، ورغبة منه في ألا يترك أي شك في سلوكها أو أية شبهة على سمعتها أنزل سورة النور التي تعلن براءتها في وضوح، بل أنزلها الله»[1].

لقد أساء المستشرق سفاري إلى السيرة النبوية في عرضه لحادثة الإفك، وذلك لعدة مغالطات اقترفها، منها قوله: «ولهذا كلما أخبرنا بحرب جديدة كانت قلوبنا ترتعد خوفًا وأملًا». وهذا كذب وبهتان على أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – حيث لم يرد هذا في كتب السيرة النبوية، وإنما هي زيادة من المستشرق سفاري وقوله: «فملأت الدنيا صُراخًا فلم يسمعني أحد... ... ... وتعبت من الصراخ ومن الانتظار»، وهذا باطل ولا دليل عليه، والصواب ما جاء في صحيح البخاري قالت عائشة – رضي الله عنها –: «فجئت منازلهم وليس بها منهم داع ولا مجيب، فتيممت منزلي الذي كنت به، وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إلي»[2] ولم تذكر صراخًا ولا شيئًا من هذا القبيل.

وقوله: «وكان صفوان الذي يقاسمني همومي» وهذا أيضًا افتراءٌ وزورٌ على أم المؤمنين عائشة وصفوان ابن المعطل رضي الله عنهما، حيث لم يكن بينهما علاقة، ولم يكن هناك همٌّ يجمع بينهما.

ثم قوله: «فأبصرني وأنا بدون حجاب، فعرفني». وفي هذا إساءة لأم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – وإيحاء بعدم تسترها، والصحيح أن صفوان ﵁ يعرفها قبل فرض الحجاب قالت عائشة – رضي الله عنها –: «وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش، فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رآني، وكان رآني قبل الحجاب،

---

(١) السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون، مرجع سابق، ص: ١٥٠، ١٥١.

(٢) صحيح البخاري، ح ٤١٤١، كتاب المغازي، باب حديث الإفك، ٥/ ١١٦، صحيح مسلم، ح ٢٧٧٠، كتاب التوبة، باب حديث الإفك وقبول توبة القاذف ٤/ ٢١٢٩.

فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمّرت وجهي بجلبابي»[١] ويفهم من سياق الحديث أن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – كانت ملتفة بجلبابها لكنها عند نومها كشفت قليلًا عن وجهها ثم لما استيقظت باسترجاع صفوان ﷺ فغطت وجهها مباشرة.

قال الذهبي رحمه الله: «قالت عائشة – رضي الله عنها –: فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت، وكان صفوان بن المعطل السلمي من وراء الجيش فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني فعرفني حين رآني وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمرت وجهي بجلبابي والله ما كلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه»[٢].

وفي قوله: «وساعدني على الركوب» فيه إساءة تعبير والصواب ما ورد عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: «وهوى حتى أناخ راحلته، فوطئ على يدها، فقمت إليها فركبتها»[٣] وأما قوله: «كانت عائشة تدافع عن نفسها أمام زوجها وأمام أبيها أبي بكر وأمها أم رومان، وكانت شابة وجميلة وبليغة فرجحت حجتها» فقد تقدم الكلام عنه في رواية آتين دينيه، حيث أنها لم تعلم بحديث الإفك إلا قبيل نزول الوحي بأيام قليلة من أم مسطح.

الفريق الثاني:

غالا في أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – وصوّرها بالخائنة التي تنظم علاقات مع شباب أغراب، ومن هؤلاء المستشرق إميل درمنغم، والمستشرق بودلي، والمستشرق مونتجمري وات[٤] والمستشرق كارل بروكلمان[١].

---

(١) صحيح البخاري، ح ٤١٤١، كتاب المغازي، باب حديث الإفك، ٥/ ١١٦، صحيح مسلم، ح ٢٧٧٠، كتاب التوبة، باب حديث الإفك وقبول توبة القاذف، ٤/ ٢١٢٩.

(٢) سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ١/ ٤٥٢، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، ابن سيد الناس، اليعمري الربعي، أبو الفتح، فتح الدين، ، ط١، ٢/ ٨٦، ١٤١٤هـ، (دار القلم – بيروت).

(٣) صحيح البخاري، ح ٤١٤١، كتاب المغازي، باب حديث الإفك، ٥/ ١١٦، صحيح مسلم، ح ٢٧٧٠، كتاب التوبة، باب حديث الإفك وقبول توبة القاذف، ٤/ ٢١٢٩.

(٤) انظر: حديث الإفك في كتاب: محمد النبي ورجل الدولة، مرجع سابق، ص: ٢١١.

يقول المستشرق إميل درمنغم في روايته لحادثة الإفك: «أدرك صفوان العسكر وقت الظهيرة بعد سير مضنٍ، فحار الناس حين رأوا قدوم أم المؤمنين مع رجل شاب، فكان ذلك سببًا لثرثرة بعضهم، فاهتبل أعداء عائشة ومحمداً هذه الفرصة فصار عبد الله بن أبي يقول ساخرًا: «صفوان شاب جميل، فلا عجب إذا ما فضلته على محمد.»، وامتاز الشاعر حسان ابن ثابت ومسطح ابن خالة أبي بكر بين المستهزئين، وبلغ حسان من السخرية ماهجا به صفوان وظنت حمنة بنت جحش أنها تحسن إلى أختها الزوجة الجديدة زينب، التي لم تساويها من أزواج النبي في المنزلة والمحبة عنده غير عائشة، إذا ما وشت بعائشة فذكرت أن صفوان وعائشة كانا يتقابلان كثيرًا، وأن قصة العقد لم تكن إلا من قبيل ذر الرماد في العيون، فلما علمت عائشة من أم مسطح ما يقال مرضت، فصار محمد يزورها غير عاطف عليها كما كانت عادته، وصار يسأل عن صحتها بفتور، فطلبت الانتقال إلى بيت أبيها.

قالت لها أمها: «أي بنيّة خففي عليك الشأن، فوالله لقلمّا كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كثرن وكثر الناس عليها». فقالت عائشة: لقد تحدث الناس بهذا؟ وقد علم به أبي؟» فاستعبرت عائشة وبكت فسمع أبو بكر، وقد كان يتلو القرآن صوتها فنزل وحرض ابنته على الرجوع إلى بيتها، ولم يدر النبي ماذا يصنع، فكان مترددا بين الجزع والحب، فلم يغب عن باله ظرف بنت أبي بكر الصغيرة، وأنه لم يتزوج بكرًا غيرها، وأنه كان له وهو كهل بصباها اللطيف فتنة وترويح للنفس، وأنه فكر فيها حتى في منامه قبل أن يتزوجها فرأى جسمها الرشيق على قطعة ديباج أتاه بها الملك.

«ثم سأل الرسول زينب بنت جحش فلم تقل عن ضرتها عائشة إلا خيرًا، ... ... وما انفكت عائشة تبكي، وأقسم صفوان قائلًا: «سبحان الله، فوالذي نفسي بيده ما كشفت من كنف أنثى قط، «ثم دخل رسول الله على عائشة وجلس عندها لأول مرة منذ أن بلغه ما أشيع، وقال بلطف: «يا عائشة إنه قد كان ما بلغك من قول الناس فاتقي الله، فإن كنت قارفت سوءًا مما يقول الناس فتوبي إلى الله فإن الله يقبل التوبة عن عباده».

=

(١) انظر: حديث الإفك في كتاب: تاريخ الشعوب الإسلامية، مرجع سابق، ص: ٥٤.

قالت عائشة: «ثم سري عن رسول الله ﷺ، فجلس وإنه ليتحدر منه مثل الجمان في يوم شات، فجعل يمسح العرق عن جبينه ويقول: «أبشري يا عائشة فقد أنزل الله براءتك». أوحي إلى محمد بآيات من سورة النور في براءة عائشة وتعزير من جاءوا بالإفك، فقالت أم عائشة لها: «قومي إلى رسول الله ﷺ» فقالت عائشة: والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله. ثم يتبع بقوله: «وصارت عائشة بعد ذلك لا ترافق النبي ﷺ في مغازيه إلا قليلًا»[١].

وبهذه الرواية نلحظ على المستشرق إميل درمنغم أنه أشار إلى خيانة أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - وذلك بقوله على لسان عبد الله بن أبي: «صفوان شاب جميل، فلا عجب إذا ما فضلته على محمد». وقوله على لسان حمنة بنت جحش: «أن صفوان وعائشة كانا يتقابلان كثيرًا، وأن قصة العقد لم تكن إلا من قبيل ذر الرماد في العيون».

وهذا باطل ولا دليل عليه، حيث لم يرد في مصادر السيرة النبوية ما يثبت ذلك، وما كتب المستشرق إميل درمنغم من خياله وأوهامه واختلاقه على السيرة النبوية، والصواب أن عبدالله بن أبيّ بن سلول هو من أشاع وكبّر حديث الإفك، وروج لهذه الإشاعة مسطح بن أثاثه، وحسان بن ثابت، وحمنة بنت جحش.

قالت عائشة - رضي الله عنها -: وكبّر ذلك عند عبد الله بن أبي بن سلول في رجال من الخزرج مع الذي قال مسطح وحمنة بنت جحش، وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله ﷺ، ولم تكن من نسائه امرأة تناصيني في المنزلة عنده غيرها، فأما زينب فعصمها الله تعالى بدينها فلم تقل إلا خيرًا، وأما حمنة بنت جحش فأشاعت من ذلك ما أشاعت، تضادني لأختها، فشقيت بذلك[٢].

ثم إننا نجد في روايته عثرات وأخطاء، وذلك في قوله: «ولم يدر النبي ماذا يصنع، فكان مترددًا بين الجزع والحب». لم يكن النبي ﷺ مترددًا، بل كان عنده من القرائن ما يشهد به في براءة أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - أكثر مما عند المؤمنين، ولكن لكمال صبره وثباته

---

(١) حياة محمد، مرجع سابق، ص: ٣١٦، ٣١٥، ٣١٤، ٣١٣.

(٢) انظر: السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، ٢/ ٣٠٠، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ١/ ٤٥٤.

ورفقه وحسن ظنه بربه وثقته به، وفى مقام الصبر والثبات وحسن الظن بالله حقّه حتى جاءه الوحي بما أقر عينه، وسرَّ قلبه وعظَّم قدره وظهر لأمته احتفال ربه به واعتناؤه بشأنه[(١)].

ثم إنه لم يجزع من هذا، فلم يكن من هدي الرسل والأنبياء الجزع والتسخط عند البلاء، وقوله: «وصارت عائشة بعد ذلك لا ترافق النبي ﷺ في مغازيه إلا قليلًا». وهو بهذا القول قد جانب الصواب، حيث لم تذكر مصادر السيرة النبوية هذا.

ويروي المستشرق بودلي حادثة الإفك بأسلوب الروايات الغربية الفاضحة، ويصور أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – بصورة الخائنة لرسول الله ، ﷺ ويصور الصحابي الجليل صفوان بن المعطل رضي الله عنه بالشاب العاشق، حيث يقول: «ولما كانت عائشة هي موضوع الافتراء فقد كان الشك يحتمل الوجهين، فقد كان في رأس هذه الفتاة من الأفكار أكثر مما في رأس ألف نابه، وكان لها قدرة الحصول على ما تبغي، فقد كانت متمتعة بكل ما يخلب الألباب، وكانت غانية أيضًا ، ففي زمن الحادث الذي نحن بصدده لم تكن تقدر زينب أو أم سلمة حق قدرهما، ولطبيعتها المستقلة وطفولتها كانت قادرة على إتيان أي شيء دون تحمل مسئوليته، وهاك ما حدث.

كان محمد يأخذ دائما معه زوجتين أو زوجة إذا ما قام برحلة أو خرج في إغارة، وكن يرحلن في هودج فوقه مظلة مشدودة على إطار الأغصان، ... ... وكانت المرحلة الأخيرة لبلوغ المدينة، فكان على المسلمين أن يحملوا خيامهم في الفجر، فلما استيقظت عائشة خرجت إلى الخلاء لبعض حاجتها، فلما عادت كانت خيمتها قد رفعت وكان جملها منتظرًا فلما همت بدخول هودجها اكتشفت أن قلادتها قد انسلّت من عنقها، فعادت أدراجها دون أن تخطر أحدًا للبحث عنها، وكان من الصعب رؤية قلادة منسلة في عماية الصبح بين الحصى والأعشاب ولاح نور الصباح قبل أن تعثر عليها، ثم ثبتتها في عنقها وعادت لتلحق بالقافلة، ولكن لم تجد هناك قافلة، وكانت نيران المعسكر هي الدليل على أن أناسًا كانوا هناك، لقد حسب المكلّفون بنقل عائشة أن السيدة عائشة في هودجها، فشدوه إلى بعيره، فقد كانت

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، مرجع سابق، ٣/ ٢٣٥.

عائشة صغيرة خفيفة جدًا، حتى أنه ما كان أحدًا يلحظ وجودها في الهودج من غيابها، فلما تحرّك الركب انطلق الرجال وهم يقودون البعير غير محمل.

وقفت عائشة لحظة تُحدّق في فضاء الصحراء العريض، وقد انسحب الفجر ليفسح لحرارة الصباح، وكانت الشمس ترسل أشعتها الحامية إلى الفضاء الصخري، فلم تجد أثرًا لقومها أو قافلتها، فهزت منكبيها وجلست، فما كان يجدي الذعر، وما كان هناك من فائدة في محاولتها اللحاق بقافلتها، وإنه لمن الأفضل أن تبقى في المكان الذي رؤيت فيه آخر مرة، وإنها لتأمل أن يعود القوم إليها إذا ما افتقدوها فلم يجدوها في الهودج، فلما ارتفعت حرارة النهار استولى عليها الخمول، فالتفت في جلبابها واستظلت تحت شجرة ثم نامت، فلما استيقظت كانت الشمس مرتفعة في السماء ولم تكن وحيدة.

كان ينظر إليها من فوق هجين مرتفع شاب وسيم، ففركت عائشة عينيها، فابتسم الشاب ثم أناخ بعيره، وقال إنه صفوان بن المعطل ولم تقدم عائشة نفسها له تبعًا لما قالته عائشة لما روت القصة، وكان صفوان يعرفها بالنظر فقد خاطبها بعائشة بنت أبي بكر.

سألها صفوان: ما تفعله بجلوسها منفردة في وسط الصحراء؟ فشرحت له عائشة الأمر فضحك صفوان ثم عرض عليها بعيرة ليقودها إلى المدينة فقبلت عائشة، فساعدها صفوان على الركوب ثم انطلقا، وفي نفس الوقت استمرت قافلة المسلمين في طريقها دون أن يفطن أحد إلى أن عائشة ليست فيها، ولم يكتشف اختفاؤها قبل أن يناخ الجمل بالهودج الفارغ أمام مساكن النبي ﷺ ثم ابتدأت الدهشة.

إن قواد الجمل الذين كانوا مقتنعين بأنهم رحلوا من المعسكر بعائشة قد عزوا اختفاؤها إلى الجن، وكان هذا هو الشرح الوحيد المقبول ما دام أنهم لم يقفوا في الطريق أبدًا، وما كان محمد ليوافق على خرافات كهذه، فراح ينظم جماعات للخروج للبحث عن عائشة، فلما أقبل بعير من طرقات المدينة الضيقة يقودها شاب وسيم جميل، وكانت عائشة جالسة على ظهر البعير

حلوة كالفجر، وأنيخ البعير أمام دارها فنزلت عائشة وابتسمت لصفوان ودلفت إلى الدار دون أن تحس أنها عرضة للانتقاد، كأنما اعتادت على السفر مع شبّان أغراب[(١)].

وانتشر اللغط في دور النبي، وانتشر اللغلط في الخارج، وكان كل إنسان في المدينة يروي مسألة عائشة وصفوان، وكما هي العادة فقد كان الزوج آخر من عرف، فلما بلغه الخبر لم يكن يدري ما يفعل. فإن محمدًا يحب عائشة، وإنه ليحبها كما أحب خديجة ولكن بطريقة أخرى، فإنه أحبها أكثر مما أحب امرأة أخرى في حياته، وما كان يستطيع أن يصدّق أن هذه الفتاة الصغيرة التي كانت له دائمًا صديقة كما كانت حبيبة قادرة على أن تخونه متعمده، إن ما بلغه قد أزعجه حتى إنه لم يقدر أن يتهم عائشة مباشرة، ولكنه أعرض عنها، لاحظت عائشة إعراضه عنها فأقسمت وهي تذرف الدمع السخين أنها بريئة، واندفعت إلى بيت أبويها.

وفي هذا الوقت كان صفوان يطوف بالمدينة ويقسم أنه لم يكن بينه وبين عائشة أدنى شيء، وأنه لم يراها أبدًا إلا في هذه المناسبة في الصحراء، ثم عرف محمد أخيرًا أنه الوحيد الذي يلام، فإن الفضيحة ستستمر ما دام مترددًا، فإن من واجبه أن يحكم ببراءة عائشة أو إدانتها فقام بعمل حاسم كما هي عادته، ففي اجتماع الناس للصلاة قام خطيبًا فقال «يأيها الناس ما بال رجال يؤذونني في أهلي... ... ...» ثم ذهب إلى عائشة وقال: يا عائشة إنه قد كان ما بلغك من قول الناس فاتقي الله، وإن كنت قد قارفت سواءً مما يقولون فتوبي إلى الله فإن الله يقبل التوبة من عباده.

ثم نزلت آيات سورة النور على محمد فقال أبشري يا عائشة قد أنزل الله براءتك، وخرج من الدار في خطًا سريعة واسعة، ووقف أمام المسجد، وقرأ الآيات التي أوحيت إليه[(٢)].

وبعد هذه الرواية التي نسجها المستشرق بودلي وضع عدّة افتراءات وتساؤلات شكك فيها في براءة أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – حيث يقول: «إن السؤال الذي يظهر أنه لم يجد الجواب العملي المعقول بعد، هو ما إذا كانت عائشة بريئة أو غير بريئة، كانت حمنة تصر دائمًا على أن مقابلة عائشة لصفوان مدبرة، فلعلها كانت تتألم من الثمانين جلدة، وحتى لو

(١) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٣.

(٢) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٢٦٨.

كان الأمر كذلك فإن في رواية عائشة نقطًا ضعيفة، كيف تنطلق عائشة دون أن تخبر أحدًا وهي تعلم أن القافلة وشيكة الرحيل ثم تضيع وقتًا طويلًا في البحث عن قلادتها؟.

كيف عرف صفوان عائشة بالنظر، وعلى الأخص حسب ما جاء في قوله في المدينة بعد أنه لم تقع عيناه عليها من قبل؟.

إذا كان صفوان وعائشة عاشقين فهل كان يبلغان المدينة معًا ويعرضان مسألتهما في الطرقات؟.

ويصرّ المستشرق بودلي على عدم براءة أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – وذلك بقوله: «إن الأمر جميعه غير واضح، وإننا لن نعرف الصواب أبدًا». ويتبع قائلًا: «كانت عائشة تقول بعد سنين إن صفوان قد ظهر أنه كان حصورًا لا يأتي النساء، أفهذه ملاحظة شريكة بريئة أو شريكة مذنبة؟(١).

وفي رواية المستشرق بودلي عدة افتراءات مقصودة، منها قوله: «كان ينظر إليها من فوق هجين مرتفع شاب وسيم، ففركت عائشة عينيها، فابتسم الشاب ثم أناخ بعيره وقال إنه صفوان بن المعطل»، «سألها صفوان: ما تفعله بجلوسها منفردة في وسط الصحراء؟ فشرحت له عائشة الأمر فضحك صفوان»، «فساعدها صفوان على الركوب»، «فلما أقبل بعير من طرقات المدينة الضيقة يقودها شاب وسيم جميل، وكانت عائشة جالسة على ظهر البعير حلوة كالفجر، وأنيخ البعير أمام دارها فنزلت عائشة وابتسمت لصفوان ودلفت إلى الدار دون أن تحس أنها عرضة للانتقاد كأنما اعتادت على السفر مع شبان أغراب»، «إن السؤال الذي يظهر أنه لم يجد الجواب... ... ... ما إذا كانت عائشة بريئة أو غير بريئة»، «إن الأمر جميعه غير واضح وإننا لن نعرف الصواب أبدا».

وجميع هذه الافتراءات الباطلة كتبت بقلم مستشرق غير منصف، حيث لم يستند في روايته على دليل واحد من مصادر السيرة النبوية، وأراد من كتابته بهذا الأسلوب تشويه سيرة أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – وإظهارها بمظهر المتهتكات عن الستر والحياء، وتطبيق

---

(١) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٢٦٩، ٢٧٠.

حياة الغربيين ورواياتهم العاطفية على حياة أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت أبي بكر رضي الله عنهما، المبرأة من فوق سبع سماوات العفيفة المطهرة زوجة سيد العالمين محمد ﷺ[١].

والحق أن الباحث في سيرة أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها — لا يجد سببًا مقنعًا يدعو هؤلاء المستشرقين إلى هذا القول المغاير للحقيقة والواقع، فكيف أجازوا لأنفسهم أن يقولوا ويفتروا على أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – حبيبة رسول الله ﷺ وهم يعلمون أن الله عز وجل أنزل في شأنها قرآن يتلى، وبرأها من فوق سبع سماوات.

وأما حقيقة حديث الإفك فهو ما جاء في صحيح البخاري عن عائشة – رضي الله عنها –، زوج النبي ﷺ، أنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرا أقرع بين أزواجه، فأيهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه، قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي، فخرجت مع رسول الله ﷺ بعد ما أنزل الحجاب، فكنت أحمل في هودجي وأنزل فيه، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل، دنونا من المدينة قافلين، آذن ليلة بالرحيل، فقمت حين آذنوا بالرحيل، فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي، فلمست صدري، فإذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع، فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه، قالت: وأقبل الرهط الذين كانوا يرحّلوني، فاحتملوا هودجي فرحّلوه على بعيري الذي كنت أركب عليه، وهم يحسبون أني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافا لم يهبلن، ولم يغشهن اللحم، إنما يأكلن العلقة من الطعام، فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه، وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل فساروا، ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش، فجئت منازلهم وليس بها منهم داع ولا مجيب، فتيممت منزلي الذي كنت به، وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إلي، فبينا أنا جالسة في منزلي، غلبتني عيني فنمت، وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش، فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رآني، وكان رآني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمّرت وجهي بجلبابي، ووالله ما تكلمنا بكلمة، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، وهوى حتى أناخ راحلته، فوطئ على يدها، فقمت إليها فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين في نحر

---

(١) انظر: موقف المستشرقين من الصحابة، مرجع سابق، ص: ٥٣٢.

الظهيرة وهم نزول، قالت: فهلك من هلك، وكان الذي تولى كِبر الإفك عبد الله بن أبي ابن سلول، قالت عائشة: فقدمنا المدينة، فاشتكيت حين قدمت شهرا، والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك، لا أشعر بشيء من ذلك، وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل علي رسول الله ﷺ فيسلم، ثم يقول: «كيف تيكم»، ثم ينصرف، فذلك يريبني ولا أشعر بالشر، حتى خرجت حين نقهت، فخرجت مع أم مسطح قبل المناصع، وكان متبرزنا، وكنا لا نخرج إلا ليلا إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكُنُف قريبا من بيوتنا، قالت: وأمرنا أمر العرب الأول في البريّة قبل الغائط، وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا، قالت: فانطلقت أنا وأم مسطح، وهي ابنة أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف، وأمها بنت صخر بن عامر، خالة أبي بكر الصديق، وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب، فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بئس ما قلت، أتسبين رجلا شهد بدرا؟ فقالت: أي هنتاه[١] ولم تسمعي ما قال؟ قالت: وقلت: ما قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك، قالت: فازددت مرضا على مرضي، فلما رجعت إلى بيتي دخل علي رسول الله ﷺ فسلم، ثم قال: «كيف تيكم»، فقلت له: أتأذن لي أن آتي أبوي؟ قالت: وأريد أن أستيقن الخبر من قبلهما، قالت: فأذن لي رسول الله ﷺ، فقلت لأمي: يا أمتاه، ماذا يتحدث الناس؟ قالت: يا بنية، هوني عليك، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها، لها ضرائر، إلا كثرن عليها، قالت: فقلت: سبحان الله، أوقد تحدث الناس بهذا؟ قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحت أبكي، قالت: ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي، يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله، قالت: فأما أسامة فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم لهم في نفسه، فقال أسامة: أهلك، ولا نعلم إلا خيرا، وأما علي فقال: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وسل الجارية تصدقك، قالت: فدعا رسول الله ﷺ بريرة، فقال: «أي

---

(١) يا هنتاه: أي يا بلهاء، كأنها نسبت إلى قلة المعرفة بمكايد الناس وشرورهم، انظر: لسان العرب، مرجع سابق، ٦/ ٤٧١٥، تاج العروس، مرجع سابق، ٤٠/ ٣٢٢.

بريرة، هل رأيت من شيء يريبك؟». قالت له بريرة: والذي بعثك بالحق، ما رأيت عليها أمرا قط أغمصه غير أنها جارية حديثة السن، تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجن فتأكله، قالت: فقام رسول الله ﷺ من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبي، وهو على المنبر، فقال: «يا معشر المسلمين، من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي، والله ما علمت على أهلي إلا خيرا، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا، وما يدخل على أهلي إلا معي». قالت: فقام سعد بن معاذ أخو بني عبد الأشهل، فقال: أنا يا رسول الله أعذرك، فإن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك، قالت: فقام رجل من الخزرج، وكانت أم حسان بنت عمه من فخذه، وهو سعد بن عبادة، وهو سيد الخزرج، قالت: وكان قبل ذلك رجلًا صالحًا، ولكن احتملته الحمية، فقال لسعد: كذبت لعمر الله لا تقتله، ولا تقدر على قتله، ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل. فقام أسيد بن حضير، وهو ابن عم سعد، فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله لنقتلنه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين، قالت: فثار الحيان الأوس، والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر، قالت: فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم، حتى سكتوا وسكت، قالت: فبكيت يومي ذلك كله لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، قالت: وأصبح أبواي عندي، وقد بكيت ليلتين ويومًا، لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، حتى إني لأظن أن البكاء فالق كبدي، فبينا أبواي جالسان عندي وأنا أبكي، فاستأذنت علي امرأة من الأنصار فأذنت لها، فجلست تبكي معي، قالت: فبينا نحن على ذلك دخل رسول الله ﷺ علينا فسلم ثم جلس، قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها، وقد لبث شهرًا لا يوحى إليه في شأني بشيء، قالت: فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس، ثم قال: «أما بعد، يا عائشة، إنه بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة، فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب، فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف ثم تاب، تاب الله عليه»، قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة، فقلت لأبي: أجب رسول الله ﷺ عني فيما قال: فقال أبي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت لأمي: أجيبي رسول الله ﷺ فيما قال: قالت أمي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت: وأنا جارية حديثة السن: لا أقرأ من القرآن كثيرًا: إني والله لقد علمت: لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به، فلئن قلت لكم: إني بريئة، لا تصدقوني، ولئن اعترفت لكم

بأمر، والله يعلم أني منه بريئة، لتصدقني، فوالله لا أجد لي ولكم مثلًا إلا أبا يوسف حين قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يوسف: ١٨] ثم تحولتُ واضطجعتُ على فراشي، والله يعلم أني حينئذ بريئة، وأن الله مبرئي ببراءتي، ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحيًا يتلى، لشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بأمر، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها، فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه، ولا خرج أحد من أهل البيت، حتى أنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء، حتى إنه ليتحدر منه من العرق مثل الجمان، وهو في يوم شاتٍ من ثقل القول الذي أنزل عليه، قالت: فسري عن رسول الله ﷺ وهو يضحك، فكانت أول كلمة تكلم بها أن قال: «يا عائشة، أما الله فقد برأك». قالت: فقالت لي أمي: قومي إليه، فقلت: والله لا أقوم إليه، فإني لا أحمد إلا الله عز وجل، قالت: وأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [النور: ١١] العشر الآيات، ثم أنزل الله هذا في براءتي، قال أبو بكر الصديق: وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره: والله لا أنفق على مسطح شيئًا أبدًا، بعد الذي قال لعائشة ما قال، فأنزل الله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور: ٢٢]، قال أبو بكر الصديق: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبدًا، قالت عائشة: وكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش عن أمري، فقال لزينب: «ماذا علمت، أو رأيت». فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري، والله ما علمت إلا خيرًا، قالت عائشة: وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله بالورع، قالت: وطفقت أختها حمنة تحارب لها، فهلكت، فيمن هلك قال عروة، قالت عائشة: «والله إن الرجل الذي قيل له ما قيل ليقول: سبحان الله، فوالذي نفسي بيده ما كشفت من كنف أنثى قط، قالت: ثم قتل بعد ذلك في سبيل الله»(١).

---

(١) صحيح البخاري، ح ٤١٤١، كتاب المغازي، باب حديث الإفك، ٥/ ١١٦، صحيح مسلم، ح ٢٧٧٠، كتاب =⇦

وبهذا العرض تبين موقف المستشرقين من حادثة الإفك وما حرفت أناملهم بهذه الرواية عن وجهها الصحيح، وما أسفروا به من العداوة والبغضاء للإسلام والمسلمين قاصدين الإساءة إلى آل بيت النبي ﷺ وسيرته وأزواجه أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن –.

=

التوبة، باب حديث الإفك وقبول توبة القاذف، ٤/ ٢١٢٩.

المطلب الثاني

موقفهم من عائشة عند وفاة النبي ﷺ

حازت أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – على مَنقبة عظيمة، وتميزت عن أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن – بمزية حميدة ونعمة جليلة، فقد قبض رسول الله ﷺ بين سحرها ونحرها وفي بيتها ويومها وخالط ريقه ريقها فعن عائشة – رضي الله عنها –، قالت: « توفي النبي ﷺ في بيتي، وفي يومي، وبين سحري ونحري، وكانت إحدانا تعوذه بدعاء إذا مرض، فذهبت أعوذه، فرفع رأسه إلى السماء، وقال: «في الرفيق الأعلى، في الرفيق الأعلى»، ومر عبد الرحمن بن أبي بكر وفي يده جريدة رطبة، فنظر إليه النبي ﷺ، فظننت أن له بها حاجة، فأخذتها، فمضغت رأسها، ونفضتها، فدفعتها إليه، فاستن بها كأحسن ما كان مستنًا، ثم ناولنيها، فسقطت يده، أو سقطت من يده، فجمع الله بين ريقي وريقه في آخر يوم من الدنيا، وأول يوم من الآخرة»(١).

ولقد كتب المستشرقون عن هذه المنقبة وهذا الموقف العظيم «موقف أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – من وفاة رسول الله ﷺ» واعتمد كثير منهم على ما أخرجه ابن سعد(٢) في الطبقات دون نظر وتمحيص لصحة ما ينقلونه أو يكتبونه.

ومن هؤلاء الذين أشرنا إليهم المستشرقة أمسترونج كارين فقد تحدثت عن هذا الموقف بقولها: «أحست عائشة بجسد النبي ﷺ يثقل عليها، وأنه يفقد الوعي، ولكنها لم تدرك ماذا كان يحدث، حتى أنها قالت فيما بعد: لقد كان يحتضر ولم أكن أعلم، وسمعته يتمتم بكلمات الرفيق الأعلى فقد جاء ملك الموت ليأخذ روحه لبارئها، نظرت إليه عائشة، فوجدته قد رحل،

---

(١) صحيح البخاري، ح ٤٤٥١، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ٦/ ١٣.

(٢) سبق ترجمته ص ٩٤

فوضعت رأسه برفق على الوسادة، وبدأت في العويل واللطم على وجهها بالطريقة التقليدية»[١].

ثم نقلت المستشرقة أمسترونج عن ابن إسحاق رحمه الله[١] بقولها: «قالت عائشة – رضي الله عنها – رجع رسول الله في ذلك اليوم حين دخل من المسجد، فاضطجع في حجري، فدخل علي رجل من آل أبي بكر، وفي يده سواك أخضر. قالت: فنظر رسول الله ﷺ إليه في يده نظرًا عرفت أنه يريده، قالت: فقلت يا رسول الله، أتحب أن أعطيك هذا السواك؟ قال: نعم قالت: فأخذته فمضغته له حتى لينته، ثم أعطيته إياه قالت: فاستن به كأشد ما رأيته يستن بسواك قط، ثم وضعه، ووجدت رسول الله ﷺ يثقل في حجري، فذهبت أنظر في وجهه، فإذا بصره قد شخص، وهو يقول: «بل الرفيق الأعلى في الجنة «قالت: فقلت: خيرت فاخترت، والذي بعثك بالحق. قالت: وقبض رسول الله ﷺ»[٢].

وتسترسل أمسترونج في حديثها ووصفها محاولة تهويل موقف أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – من وفاة النبي ﷺ فتقول: «عندما سمع الناس ندب عائشة، أسرعوا منقبضين إلى المسجد وحجرة عائشة، وذاع الخبر سريعًا حتى هرع أبو بكر عائدًا، فنظر إلى وجه محمد ﷺ وقبله، ثم بكى وقال: ما أطيبك حيًا وميتًا بأبي أنت وأمي، لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كتبت عليك فقد متها»[٣].

ونقل المستشرق آتين دينييه نحو ما كتب أصحاب السير فقال: «قالت عائشة: دخل عبد الرحمن بن أبي بكر ومعه قضيب من الأراك الأخضر يستن به، فنظر إليه الرسول فعرفت أنه يريده فتناولته فقضمته ثم مضغته، فاستن به كأشد ما رأيته يستن بسواك ثم وضعه، ووجدت رسول الله يثقل في حجري فذهبت أنظر في وجهه فإذا بصره قد شخص وهو يقول: «بل

---

(١) محمد نبي لزماننا، مرجع سابق، ص: ١٨٧، ١٨٨.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، ٢/ ٦٥٤، مسند أحمد،ح ٢٦٣٤٧، مسند عائشة – رضي الله عنها – ، ٤٣/ ٣٦٧)، في السنن الكبرى للنسائي، ح ٧٠٦٥ ، باب ذكره ﷺ حين شخص بصره ، ٦/ ٣٩٠، المعجم الكبير للطبراني ح٨٠، ٢٣/ ٣٢، مسند أبي يعلى،ح ٤٥٨٥ ،٤ / ٢٤٦، وقال الألباني في فقه السيرة، ح ٤٧٠ ص: ٤٧٠: حديث صحيح.

(٣) محمد نبي لزماننا، مرجع سابق، ص: ١٨٨.

الرفيق الأعلى من الجنة، فقلت: «خيرت فاخترت والذي بعثك بالحق». ثم وضعت رأسه على وسادة وقمت ألتدم مع النساء وأضرب وجهي.»[(١)].

وروى المستشرق إرفنج عن موقف أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – فقال: «أرسلت عائشة تستدعي أباها وحفصة وكانت تضع رأس الرسول في حجرها وإلى جوارها إناء ماء كانت تمسح بمائه وجه الرسول، قالت عائشة: «وجدت رسول الله ﷺ يثقل في حجري فذهبت أنظر في وجهه فإذا بصره قد شخص وهو يقول: بل الرفيق الأعلى من الجنة قلت: خيرت فاخترت والذي بعثك بالحق وقبض رسول الله بين سحري ونحري ودولتي لم أظلم منه أحدًا، فمن سفهي وحداثة سني أنه ﷺ قبض وهو في حجري ثم وضعت رأسه على وسادة وقمت ألتدم مع النساء وأضرب وجهي. «جلبت صيحات عائشة زوجات الرسول، وما لبث أن علم جميع أهل المدينة بوفاة الرسول ﷺ»[(٢)].

ويضيف المستشرق سفاري زيادات مفتريات في روايته فيقول: «وتعلمنا عائشة هذا وهي الأمينة على كلماته وهي تقول: لما جاءته سكرات الموت كنت جالسة بالقرب منه، وكان رأسه في حجري فأغمي عليه ولكنه سرعان ما أفاق، وفتح عينيه ثم شخص بصره إلى سقف البيت، وثبتت جفونه لا تطرف، ثم سمعته يقول بصوت خافت «بل الرفيق الأعلى «فأدركت أنه اختار دار الخلود وتمزق قلبي من الألم، فأمسكت بيده وضغطت عليها وسمعته يردد هذه الآية ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ۩ ﴿٥٨﴾ ﴾ [مريم: ٥٨] لقد أسلم روحه وهو ينطق بهذه الكلمات، وتضيف عائشة: عندئذ وضعت رأسه على وسادة وقمت أضرب صدري، ووجهي وأصرخ وشاركتني زوجاته الأخريات في الحزن وملأن الجو عويلًا وشققن ملابسهن»[(٣)].

(١) انظر: محمد رسول الله، مرجع سابق، ص: ٢٤١، نقلًا عن، السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، ٢/ ٦٥٤، ٦٥٥.

(٢) محمد وخلفاؤه، مرجع سابق، ص: ٢٧٠.

(٣) السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون، مرجع سابق، ص: ٢٤٠.

وبهذه الرواية أراد المستشرق سفاري أن يظهر البيت النبوي وأمهات المؤمنين – رضي الله عنهن – وأم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – على وجهه الخصوص بصورة الذين يقولون مالا يفعلون ويتجزعون ويسخطون من أقدار الله حيث قال عن موقف عائشة – رضي الله عنها –: «وضعت رأسه على وسادة وقمت أضرب صدري، ووجهي وأصرخ وقال: «وشاركتني زوجاته الأخريات في الحزن وملأن الجو عويلًا وشققن ملابسهن». فافترى في قوله على أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – وبقية أمهات المؤمنين معتمدًا على ما أخرجه ابن سعد في الطبقات عن محمد بن عمر الواقدي، ورواية ابن سعد لم تذكر صراخ أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – ولا شق الملابس، ولم تذكر عويل أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن –، ولاشك أن أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن – قد أصابهن الحزن والأسى على فقد رسول الله ﷺ لكن لم يكن بصورة الجزع.

وبهذا العرض نجد أن جمعًا من المستشرقين قد استدلوا على موقف أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – في وفاة النبي ﷺ بما ورد في كتب الحديث والسّير، لكنهم لم يسلموا من التحريف والتقديم والتأخير فقد أخرج ابن سعد في الطبقات عن محمد بن عمر الواقدي عن عبد الله بن عبد الرحمن بن يحنس عن زيد بن أبي عتاب عن عروة عن عائشة قالت: «توفي رسول الله – ﷺ – بين سحري ونحري وفي دولتي لم أظلم فيه أحدا، فعجبت من حداثة سني أن رسول الله ﷺ قبض في حجري فلم أتركه على حاله حتى يغسل، ولكن تناولت وسادة فوضعتها تحت رأسه ثم قمت مع النساء أصيح وألتدم، وقد وضعت رأسه على الوسادة وأخرته عن حجري»[(١)].

وانتقى المستشرقون هذه الرواية «رواية ابن سعد» في موقف أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – دون غيرها؛ ليصلو إلى مرادهم وما يصبون إليه من تحقيق أهدافهم في الطعن في أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها –، وليقولوا إن عائشة – رضي الله عنها – خالفت أمر

---

(١) مسند أحمد، ح ٢٦٩٩٠، ٩/ ١٥٨٨، مسند أبي يعلى، ح ٤٥٨٦، ٨/ ٦٣، وقال الألباني في إرواء الغليل: إسناده حسن، وأخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى، ح ٢٠٢١، ٧/ ٨٦ من طريق عروة عنها –عائشة –، لكن فيه محمد بن عمر، وهو الواقدي، وهو متروك.

رسول الله ﷺ في هديه وسنته بما فعلت من الجزع والتسخط، وهذا من الاختلاق على أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -.

قال السهيلي(١) رحمه الله: «ما نظن أن سيدة في مثل دين عائشة رضى الله عنها وتقواها وأخذها الكتاب بقوة يلدم المصاب عقلها، فيدفعها إلى اقتراف فعل الجاهلية.

هذا وقد روى ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية»(٢) وهل اللدم إلا اللطم؟ قد تبكى، وتطيل البكاء أما أن تلطم، ومع النساء؟ وفى بيت قدسته روح النبوة؟ فلا يجوز تصوره ولا قوله(٣).

ثم إن رواية ابن سعد لم تثبت في الصحيحين ولو افترضنا صحتها لوجدنا أن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قدمت العذر فيما فعلت فقالت في روايتها: «فمن سفهي وحداثة سني» وحداثة السن تستلزم عدم تمام رجحان العقل في الغالب، ولا عجب من ذهول عقل عائشة - رضي الله عنها - في هذا الموقف العصيب، وذهول العقل في هذه المواقف له أحكام تختلف عن الأحكام في حال حضور العقل، وذلك لأن موت النبي ﷺ من الأمور المذهلة التي لا يثبت أمامها إلا الأشداء وموته ﷺ من المصائب العظيمة التي لن يصاب المسلم بمثلها أبدًا مهما عظمت مصيبته، ويحتمل أيضًا خفاء الحكم الشرعي على أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها - فيما حصل حيث عزت فعلها إلى السفه فقالت: «فمن سفهي».

ويرى نزر يسير من المستشرقين رأيًا مخالفًا عن سابقيهم فقد صور قليل منهم موقف أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - من وفاة النبي ﷺ بصورة الزوج الحنون الصابرة المحتسبة على فراق حبيبها محمد ﷺ يقول المستشرق بودلي: «كانت عائشة في العشرين من عمرها وإنها لم

---

(١) عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي (ولد ٥٠٨ - ٥٨١ هـ = توفي ١١١٤ - ١١٨٥ م) من كتبه الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، والتعريف والإعلام في ما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام والإيضاح والتبيين لما أبهم من تفسير الكتاب المبين ونتائج الفكر. انظر: الأعلام، مرجع سابق، ٣/ ٣١٣.

(٢) صحيح البخاري، ح ١٢٩٧، كتاب الجنائز، باب ليس منا من ضرب الخدود ٢/ ٨٢، صحيح مسلم، ح ١٦٥، كتاب الإيمان، باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب ١/ ٩٩.

(٣) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، ٧/ ٥٧٨، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٢ هـ).

تمرض مريضًا من قبل، ولم تكن قريبة من الموت ولكنها اضطلعت بالأمر حتى أخر أيام زوجها المحتضر، وقد استعاد بعض قواه بسبب العطف الذي أظهرته له هذه الفتاة.

استلقى في فراشه عند عائشة، وترك زوجته الشابة تخلع عنه ثيابه، وقد استراح لبرهة وهو يقبض على يد عائشة وزادت الحمى لكنه لم يشتكي ولم يتأوه وكان يبتسم لعائشة التي كانت تلطف حرارة وجهه بخرقة مبللة وراحت الكلمات تتحدر ببط: «اللهم أعني على سكرات الموت يا جبريل أدن مني أدن مني «وكرر ذلك مرارًا وبعد برهة صمت استعاد ثانية وفتح عينيه وقال في وضوح: «اللهم اغفر لي، واجعلني في الرفيق الأعلى». وارتخت أعضاؤه وسقط في حجر عائشة وفقدت اليد التي كانت قابضة عليها حرارتها، وساد صمت قاتل ثم وضعت عائشة رأسه في رفق على وسادة، وأسبلت عليه ثيابه وأغلقت عينيه وتطلعت في قلق وأمل إلى الوجه العزيز، إن هدوء وجهه كان ينفي أية فكرة عن أن محمدًا كان في غيبوبة، وإن الابتسامة الذابلة التي كانت ترسمها شفتا زوجها ما كان لها ارتباط بهذه الدنيا، فأمسكت دموعها وقبلت جبين أول رجل عرفته والرجل الوحيد الذي تعلقت به وأحبته، ثم انطلقت إلى الرحبة التي كانت نساؤه الأخريات ينتظرن فيها في قلق وخوف، وارتفع الصياح والعويل من دور النبي فانتشر في الأحياء المجاورة للمسجد، فبان الذهول والفزع في وجوه الناس(١).

وفي هذه الرواية يرى المستشرق بودلي أن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – كانت صابرة محتملة ما أصابها في مصيبتها من فقد النبي ﷺ وذلك في قوله: «فأمسكت دموعها وقبلت جبين أول رجل عرفته والرجل الوحيد الذي تعلقت به وأحبته». وهذا قولٌ منصف من المستشرق بودلي، لكنه أخطاء في روايته حيث أنه لم يورد هذا الموقف على الوجه الصحيح المعتبر في مصادر السنة والسيرة النبوية وكتب التاريخ.

ويروي المستشرق إميل درمنغم موقف أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – من وفاة النبي ﷺ مقتبسًا من مصادر السنة النبوية ومضيفًا إليها ما ليس منها وذلك بقوله: «نهك المرض النبي ﷺ وهو في بيت ميمونة أخت زوجة عمه العباس بعد أن مكث به سبعة أيام، فلو

(١) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٤٠٠، ٤٠١.

مات في بيتها لكان لتاريخ العالم وجه أخر على ما يحتمل، فالذي نراه أنه كان يدور حول النبي المحتضر نزاع صامت خفي شديد.

استأذن النبي نسائه في أن يمرض في بيت عائشة فأذن له فنقل إليه مزملًا وأخذ أبو بكر وابنته عائشة يرصدان مرض النبي فإذا ما طلب النبي رؤية أحد من آله كعلي أو العباس ذهبت عائشة تبحث عن أبيها أو أخيها عبدالرحمن الحديث العهد بالإسلام.

وطفقت عائشة تساعد النبي على وضع يديه على جسمه لينفث على نفسه بالمعوذات ويمسح عنه بيده وطفقت عائشة تنفث عليه بالمعوذات التي كان ينفث بها، وطفقت عائشة تصب عليه الماء الكثير من القرب تسكينًا للحمى، وكان يغمى عليه كثيرًا ورأسه على فخذها وكان يقول: «ما أزال أجد الطعام الذي أكلته بخيبر، وهذا أوان قطع أبهري من ذلك السم.» وكان النبي ﷺ يئن ويتقلب على فراشه ويقول: «لا إله إلا الله إن للموت لسكرات اللهم أعني على سكرة الموت». وكانت عائشة تلومه على كثرة تألمه بقولها: «كنت تلومنا عندما نصنع مثل ما تصنع»[(١)].

لقد اقتبس المستشرق إميل درمنغم من صحيح البخاري رُقية أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – للنبي ﷺ في مرض موته فقد أخرج في صحيحه عن عائشة، – رضي الله عنها –، قالت: «أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات، ومسح عنه بيده، فلما اشتكى وجعه الذي توفي فيه، طفقت أنفث على نفسه بالمعوذات التي كان ينفث، وأمسح بيد النبي ﷺ عنه»[(٢)] واقتبس أيضًا حديث عائشة – رضي الله عنها –: كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: «يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري[(٣)] من ذلك السم»[(١)].

---

(١) حياة محمد، مرجع سابق، ص: ٣٧٨، ٣٧٧.

(٢) صحيح البخاري، ح ٤٤٣٩، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ٦/ ١١، صحيح مسلم، ح ٢١٩٢، كتاب السلام، باب رقية المريض بالمعوذات ٤/ ١٧٢٣.

(٣) والأبهر: عرق إذا انقطع مات صاحبه انظر:لسان العرب، مرجع سابق، ٤/ ٨٣، وتهذيب اللغة، مرجع سابق، ٦/ ١٥٣.

لكنه أساء في كتابته وأسلوبه إلى أبي بكر الصديق وابنه عبدالرحمن بن أبي بكر وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما وذلك بقوله: «وأخذ أبو بكر وابنته عائشة يرصدان مرض النبي... ... ... ذهبت عائشة تبحث عن أبيها أو أخيها عبدالرحمن الحديث العهد بالإسلام»، وقوله عن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها –: «وكانت عائشة تلومه على كثرة تألمه بقولها: كنت تلومنا عندما نصنع مثل ما تصنع». وهذا افتراء وكذب على أبو بكر الصديق وابنه عبدالرحمن وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما، فلم ترقب أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – النبي ﷺ في مرض موته وتمنع أحدًا من الدخول عليه وزيارته، ولم يمنع أبو بكر وابنه عبدالرحمن رضي الله عنهما أحدًا من آل بيته ﷺ قال ابن هشام رحمه الله في مرض موته ﷺ: «فاجتمع إليه نساء من نسائه: أم سلمة، وميمونة، ونساء من نساء المسلمين، منهن أسماء بنت عميس، وعنده العباس عمه، فأجمعوا أن يلدوه، وقال العباس: لألدنه. قال: فلدوه، فلما أفاق رسول الله ﷺ، قال: من صنع هذا بي؟ قالوا: يا رسول الله، عمك، قال: هذا دواء أتى به نساء جئن من نحو هذه الأرض، وأشار نحو أرض الحبشة، قال: ولم فعلتم ذلك؟ فقال عمه العباس: خشينا يا رسول الله أن يكون بك ذات الجنب، فقال: إن ذلك لداء ما كان الله عز وجل ليقذفني به.»(٢) وهذا دليل على أن أم المؤمنين عائشة وأبي بكر رضي الله عنهما لم يمنعا أحدًا من زيارته ﷺ، ثم إن عبدالرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما كان من السابقين إلى الإسلام.

وأما قوله عن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها –: «وكانت عائشة تلومه على كثرة تألمه» فهذا باطل لم يرد في مصادر السنة والسيرة النبوية وكتب التاريخ.

وبهذه النقول والروايات تبين لنا موقف المستشرقين من أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – عند وفاة النبي ﷺ وما تفوهت به أقلامهم، ونخلص إلى ما جاء في صحيح السنة النبوية فعن عائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها –، قالت: إن كان رسول الله ﷺ ليتعذر في

=

(١) صحيح البخاري، ح ٤٤٢٨، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته ٦/ ٩.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، ٢/ ٦٥١.

مرضه: «أين أنا اليوم، أين أنا غدًا» استبطاء ليوم عائشة، فلما كان يومي، قبضه الله بين سحري ونحري ودفن في بيتي(١).

وقالت – رضي الله عنها –: إن من نعم الله علي: أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي، وفي يومي، وبين سحري ونحري، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته: دخل علي عبد الرحمن، وبيده السواك، وأنا مسندة رسول الله ﷺ، فرأيته ينظر إليه، وعرفت أنه يحب السواك، فقلت: آخذه لك؟ فأشار برأسه: «أن نعم» فتناولته، فاشتد عليه، وقلت: ألينه لك؟ فأشار برأسه: «أن نعم» فلينته، فأمره، وبين يديه ركوة أو علبة – يشك عمر – فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه، يقول: «لا إله إلا الله، إن للموت سكرات» ثم نصب يده، فجعل يقول: «في الرفيق الأعلى» حتى قبض ومالت يده(٢).

وعن عائشة – رضي الله عنها – أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل أن يموت وهو مسند إلى صدرها وأصغت إليه وهو يقول: «اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق»(٣).

وعنها – رضي الله عنها –، قالت: كان رسول الله ﷺ يقول وهو صحيح: «إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده في الجنة ثم يخير» قالت عائشة– رضي الله عنها –: قالت فلما نزل به، ورأسه على فخذي غشي عليه، ثم أفاق فأشخص بصره إلى سقف البيت، ثم قال: «اللهم الرفيق الأعلى». فقلت: إذا لا يختارنا، وعرفت أنه الحديث الذي كان يحدثنا وهو صحيح، قالت: فكانت آخر كلمة تكلم بها: «اللهم الرفيق الأعلى»(٤).

---

(١) صحيح البخاري، ح ١٣٨٩، كتاب الجنائز، باب ما جاء في قبر النبي ﷺ ٢/ ١٠٢، صحيح مسلم، ح ٢٤٤٣، كتاب الفضائل، باب فضل عائشة ٤/ ١٨٩٣.

(٢) صحيح البخاري، ح ٤٤٤٩، كتاب الجنائز، باب مرض النبي ﷺ ووفاته ٦/ ١٣.

(٣) صحيح البخاري، ح ٤٤٤٠، كتاب الجنائز، باب مرض النبي ﷺ ووفاته ٦/ ١١، صحيح مسلم، ح ٢٤٤٤، كتاب الفضائل، باب فضل عائشة – رضي الله عنها – ٤/ ١٨٩٣.

(٤) صحيح البخاري، ح ٤٤٦٣، كتاب المغازي، باب أخر ما تكلم به النبي ﷺ ٦/ ١٥، صحيح مسلم، ح ٢٤٤٤، كتاب الفضائل، باب فضل عائشة ٤/ ١٨٩٤.

المطلب الثالث

موقفهم من علمها وحديثها

دخلت أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – بيت النبوة، ونمت في مهبط الوحي ومنبع العلم تنهل منه ما تريد وما تشاء، أزرتها النجابة والبصيرة على التأثر بهدي النبي ﷺ وإدراك علمه، وشبت مجتهدة في عبادتها وأمور دينها، وكان رسول الله ﷺ حفيًا بها يعلمها ويعتني بها ويخرج بها في مغازيه فأصبحت أعلم الناس بسيرته وهديه.

فلما انتقل النبي ﷺ إلى جوار ربه أمست مرجعًا وحجة يلجأ إليها كبار الصحابة وصغارهم وبلغ علمها ذروة الإحاطة والنضج في كل ما يتصل بأمور الدين والعبادة.

قال مسروق[(١)]: رأيت مشيخة أصحاب محمد الأكابر يسألونها عن الفرائض[(٢)].

وقال عطاء بن أبي رباح[(٣)]: كانت عائشة أفقه الناس، وأعلم الناس، وأحسن الناس رأيا في العامة[(٤)].

وعن هشام بن عروة[(١)]، عن أبيه قال: لقد صحبت عائشة – رضي الله عنها – فما رأيت أحدًا قط كان أعلم بآية أنزلت ولا بفريضة ولا بسنة ولا بشعر ولا أروى له ولا بيوم من

---

(١) مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي (ولد ٠٠٠ – توفي ٦٣ هـ = ٠٠٠ – ٦٨٣ م)، أبو عائشة تابعي ثقة، من أهل اليمن. قدم المدينة في أيام أبي بكر. وسكن الكوفة. وشهد حروب علي. وكان أعلم بالفتيا من شريح، وشريح أبصر منه بالقضاء. انظر: الأعلام للزركلي، مرجع سابق، ٧/ ٢١٥.

(٢) الموطأ، مالك بن أنس، تحقيق محمد الأعظمي، ط الأولى، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، ١٤٢٥. ٦/ ١٢٤.

(٣) ابن أبي رباح عطاء بن أسلم بن صفوان أبو محمد، تابعي، من أجلاء الفقهاء. كان عبدا أسود. ولد في جند باليمن عام (٢٧ – وتوفي ١١٤ هـ = ٦٤٧ – ٧٣٢ م) نشأ بمكة فكان مفتي أهلها ومحدثهم، وتوفي فيها. انظر: الأعلام للزركلي، مرجع سابق، ٤/ ٢٣٥.

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ٣/ ٤٥٧، الإصابة في تمييز الصحابة ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، ٨/ ٢٣٣.

أيام العرب ولا بنسب ولا بكذا ولا بكذا ولا بقضاء ولا طب منها. فقلت لها: يا خالة الطب من أين علمته؟ فقالت: كنت أمرض فينعت لي الشيء ويمرض المريض فينعت له وأسمع الناس ينعت بعضهم لبعض فأحفظه[٢].

وعن أبي بردة بن أبي موسى[٣]، عن أبيه قال: ما أشكل علينا أمر فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها فيه علما[٤].

ويقول الإمام ابن شهاب الزهري[٥]: «لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أزواج النبي ﷺ وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل»[٦].

وكتب المستشرقون عن علم أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – في دائرة المعارف فقالوا: «كانت عائشة على بصر بالشعر وقدرة على الفصاحة والدراية الواسعة بتاريخ العرب وغير ذلك من الموضوعات»[٧].

وأوجزوا في الكتابة عن علم أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – وأهملوا تدوين علمها بأمور العبادة والدين؛ ليقللوا من مكانتها وشأنها بين المسلمين، وليصور في ذهن القارئ الغربي جهل أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – بشرائع الإسلام.

=

(١) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي (ولد ٦١ – توفي ١٤٦ هـ = ٦٨٠ – ٧٦٣ م) أبو المنذر تابعي، من أئمة الحديث. من علماء «المدينة» ولد وعاش فيها، روى نحو أربع مئة حديث وأخباره كثيرة، انظر: الأعلام، مرجع سابق، ٨/ ٨٧.

(٢) سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ٣/ ٤٥٦.

(٣) أبو بردة عامر بن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري، (ولد ٠٠٠ – توفي ١٠٣ هـ = ٠٠٠ – ٧٢١ م) إمام فقيه، ثبت قاضي الكوفة، كانت له مكارم ومآثر وأخبار انظر: الأعلام للزركلي، مرجع سابق، ٣/ ٢٥٣.

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة، مرجع سابق، ٨/ ٢٣٣.

(٥) محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري، من بني زهرة بن كلاب، من قريش، أبو بكر (ولد ٥٨ – توفي ١٢٤ هـ = ٦٧٨ – ٧٤٢ م) أول من دون الحديث، وأحد أكابر الحفاظ والفقهاء. تابعي، من أهل المدينة. كان يحفظ ألفين ومئتي حديث، نصفها مسند. انظر: الأعلام للزركلي، مرجع سابق، ٩٧/٧.

(٦) الموطأ مالك بن أنس، مرجع سابق، ٦/ ١٢٤، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ٣/ ٤٥٧.

(٧) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ٧٠٤٠.

وأما عن حديثها ومروياتها فقد نالت شرف الصحبة للنبي ﷺ وحصلت على العلم الوافر وكان لها النصيب الأكمل في رواية الحديث فقد تلقته مباشرة من في حبيبها رسول الله ﷺ فتبوأت به مكانة رفيعة، وأصبحت به أكثر معرفة واطلاعًا وفاقت به أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن – وأصحابه ﷺ في حفظ السنة والرواية.

واحتلت المرتبة الرابعة في حفظ الحديث وكثرة الرواية وبلغ عدد مروياتها ألفين ومئتين وعشر روايات فمنها في الصحيحين: مئتان وست وثمانون حديثًا، اتفق البخاري ومسلم منها على إخراج مئة وأربع وسبعين حديثًا[١].

قال الذهبي رحمه الله: «اتفق البخاري ومسلم على مائة وأربعة وسبعين حديثًا، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين حديثًا، وانفرد مسلم بتسعة وستين حديثًا[٢].

أما بقية مروياتها فهي موزعة في كتب الأحاديث الأخرى، وتقع مروياتها في المجلد السادس من مسند الإمام أحمد فقط في مئتين وثلاث وخمسين صفحة[٣].

ومع هذه المرتبة والمكانة في العلم والرواية إلا أن المستشرقين قد نالوا من مروياتها وشككوا في الأحاديث النبوية بشكل عام ومروياتها بشكل خاص واختلفت وجهة نظرهم عن نظرة المسلمين للحديث فالمستشرقون يرون أن معظم الأحاديث المنقولة عن النبي ﷺ هي في الحقيقة ليست أقوالًا له، ولكن بعض تلك الأحاديث تنقل لنا أفكاره وتقريرات وتعتمد حجج المستشرقين ونتائجهم حول نظرتهم إلى الحديث النبوي الشريف على النتائج التي وضعها المستشرق إجناتس جولدتسيهر في كتابه: دراسات محمدية[٤].

وذلك حين نقل المستشرقون قوله في دائرة المعارف: «وبعد وفاة محمد لم تستطع الآراء والمعاملات الدينية الأصلية التي سادت في الرعيل الأول أن تثبت على حالها من غير تغير فقد حل عهد التطور جديد وبدأ العلماء يدخلون شيئًا من التطور في نظام مرتب من الأعمال

---

(١) سيرة السيدة عائشة أم المؤمنين، مرجع سابق، ص: ٢٤٥.

(٢) سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ٣/ ١١٨.

(٣) سيرة السيدة عائشة أم المؤمنين، مرجع سابق، ص: ٢٤٥.

(٤) انظر: الاستشراق وموقفه من السنة النبوية، مرجع سابق، ص: ٥١.

والعقائد يتواءم والأحوال الجديدة، فقد أصبح الإسلام بعد الفتوح العظيمة يبسط سيادته على مساحات شاسعة واستعير من الشعوب المغلوبة على أمرها آراء ونظم جديدة وتأثرت حياة المسلمين وأفكارهم حين ذاك في بعض النواحي بالإسرائيليات وغيرها.

وعلى آية حال فإن المسلمين التزموا أيما التزام المبدأ القائل بأن سنة النبي ﷺ والسابقين الأولين في الإسلام هي وحدها التي يمكن أن تكون القانون الخلقي للمؤمنين وسرعان ما أدى هذا بالضرورة إلى وضع الأحاديث فاستباح البعض لأنفسهم اختراع أحاديث تتضمن القول أو الفعل ونسبوها إلى النبي ﷺ لكي تتفق مع آراء العصر[(١)].

وبهذا كان المستشرق جولد تسيهر هو أول من شكك بالاحاديث النبوية والذي يعتبره المستشرقون هو من أجلى حقيقة الأحاديث النبوية وكشفها ممتنين له بهذا الفضل حيث كتبوا في دائرة المعارف (والعلم مدين دينًا كبيرًا لما كتبة جولد تسيهر في هذا الموضوع)[(٢)].

وأما عن موقفهم من حديث أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – ومروياتها فقد كتبوا عن عدد مروياتها وأحاديثها فقالوا: «ويقال إن عائشة روت ١٢١٠ من الأحاديث النبوية الشريفة على أن البخاري ومسلم لم يحتفظا من هذه الأحاديث إلا بثلاثمائة حديث وحسب. ويقال أيضًا: أنه كان لديها نسخ خطية من القرآن، كما أن قليلًا من القراءات تعتمد على روايتها»[(٣)].

وهم بهذا القول قد جانبوا الصواب وأرادوا أن يكتبوا هذا العدد المقارب لئلا يلاحظ افتراهم ودسهم في السيرة النبوية فلم يكن عدد مرويات أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – ألف ومئتين وعشرة أحاديث فقط، بل بلغ ألفين ومئتين وعشرة أحاديث اتفق البخاري ومسلم على مائة وأربعة وسبعين حديثًا، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين حديثًا، وانفرد مسلم بتسعة وستين حديثًا[(٤)].

---

(١) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ٣٤٩٧.

(٢) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ٣٤٩٩.

(٣) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ٧٠٤٠.

(٤) سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ٣/ ١١٨.

كما أنهم قد شككوا في روايات أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – ونقلها عن النبي ﷺ ومنها روايات أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – لكيفية نزول الوحي.

– فقد أخرج البخاري في صحيحه عن عائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها – أنها قالت: «أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه – وهو التعبد – الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: «فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني، فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ [العلق: ١ – ٥] فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد – رضي الله عنها –، فقال: زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم(١)، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان امرئ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية(٢) ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعًا، ليتني أكون حيًا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: أو مخرجي هم، قال: نعم، لم

(١) المعدوم: الفقير الذي صار من شدة حاجته كالمعدوم نفسه، انظر: لسان العرب، مرجع سابق، ١٢/ ٣٩٣.

(٢) العبرانية: لغة اليهود انظر: تاج العروس، مرجع سابق، ١٢/ ٥٠٧، والمعجم الوسيط، مرجع سابق، ٢/ ٥٨٠.

يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرًا، ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي»[(١)].

– وعن عائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها –، أن الحارث بن هشام ﷺ سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانًا يتمثل لي الملك رجلًا فيكلمني فأعي ما يقول» قالت عائشة – رضي الله عنها –: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا[(٢)].

يقول المستشرق نولدكه[(٣)] في هذه الروايات: «أن عائشة غير ثقة بالمرة لأنها قد ولدت فيما بعد، وأن النبي ذكر لها هذه التفاصيل بعد فترة طويلة جدًا من حدوثها»[(٤)].

وبهذا القول نجد أن المستشرق نولدكه قد أخطئ في تشكيكه إذ لا يلزم من أن تكون عائشة – رضي الله عنها – موجوده في وقت الحدث، وما دام أن النبي ﷺ ذكر لها كيفية نزول الوحي فهو ثقه حتى ولو كان بعد فترة طويلة لأن النبي هو صاحب الموقف ويستبعد إمكان النسيان فالله لم يكل نبيه إلى نفسه وقدراته بل نهاه عن ذلك قال الله تعالى.

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة: ١٦] – وقال ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾﴾ [الأعلى: ٦].

---

(١) صحيح البخاري، ح ٣، باب كيف كان بدء الوحي، ١/ ٧، صحيح مسلم، ح ٢٥٢، كتاب الوحي، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ١/ ١٤٠.

(٢) صحيح البخاري، ح ٢، باب كيف كان بدء الوحي ٦/١، صحيح مسلم، ح ٢٣٣٣، كتاب الفضائل، باب طيب عرق النبي صلى الله عليه وسلم في البرد وحين يأتيه الوحي ٤/ ١٨١٦.

(٣) المستشرق ثيودور نولدكه (ولد ١٨٣٦ ــ توفي ١٩٣٠) أتقن العربية من آثاره العلمية تاريخ النص القرآني، وتاريخ الفرس والعرب، وتاريخ الشعوب السامية واللغات السامية وألف في العربية منتخبات من الأغاني العربية القديمة (العصر الأموي)، وقواعد اللغة العربية الفصحى انظر: معجم أسماء المستشرقين، مرجع سابق، ص: ١٠٥٣.

(٤) تاريخ القرآن، المستشرق نولدكه، ترجمة ونقد الوحي إلى محمد بين الأنكار والتفسير، د/ رضا محمد الدقيقي ط ٢، ١/ ٩٤، (دار النوادر ١٤٣٢هـ).

ثم إن المستشرق نولدكه لا يستند في تشكيكه برواية عائشة إلى عدم معاصرة عائشة لواقعة الوحي فقط، وإنما إلى طول الفترة بين حصول تلك الواقعة وحديث النبي ﷺ عنها؛ وهو بهذا لا يطرح الثقة من عائشة وحدها، بل يشكك في قدرة النبي ﷺ على الاحتفاظ بالواقعة حية في ذهنه طوال هذه المدة.

وأم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها — لا تروي هنا مدعية كونها شاهدة عيان لواقعة الوحي؛ لأن المعاينة لم تحصل لها ولا لغيرها، وإنما تروي باعتبار سماعها من النبي ﷺ وهو يحدث فيما بعد عن ما حصل له في شأن الوحي[١].

ونلحظ أن هذه الشكوك في روايات عائشة – رضي الله عنها – في كيفية بدء نزول الوحي قد اقتبسها المستشرق نولدكه من الشيعة. حيث يقول السيد مرتضى العسكري في كتابة أحاديث أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها –: ولعل تضافر هذه الروايات في كتب الصحاح، والسنن، والتفسير، والسيرة، والتاريخ بمدرسة الخلفاء وتعاضد بعضها بعضًا الآخر يكون سببًا لاطمئنان الباحثين إلى محتواها غير أنها تنهار لدى تمحيصها، ويستدل بضعف روايات كيفية بدء نزول الوحي بقوله أن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – ولدت بعد البعثة وهذا أكبر دليل على عدم صحة هذه الروايات[٢].

(١) انظر: تاريخ القرآن، مرجع سابق، ١ /١٣٦.

(٢) انظر: أحاديث أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها –، مرتضى العسكري، ط٥، ٢٥٥/٢، (مكتبة أهل البيت الإسلامية).

المبحث الثالث

موقفهم من مناقب بقية أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن –

اصطفى الله عز وجل لنبيه محمد ﷺ زوجات مؤمنات قانتات عابدات أكرمهن الله بالمناقب الجليلة والمأثر الحميدة وفضلهن بالأخلاق الزكية، وسلمهن من الأخلاق البذيئة، وطهرهن من الدنس، وضاعف لهن الأجر، فكن نجومًا لامعة في وهج السماء تطل على الإسلام وتعاليمه وأحكامه وآدابه، واختصت كل واحدة منهن بميزة وخلة تامة تتميز بها عن غيرها من نساء العالمين وكيف لا وقد زكاهن الله في محكم التنزيل ودون لهن هذا الفضل فقال الله تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٢، ٣٣].

والوحي المبارك يتنزل في بيوتهن، أناء الليل وأطراف النهار، سرًا وعلانية، فليس بعد هذا الفضل شرف ومنقبة، فقد درجن في بيت النبوة والعلم والحكمة، وارتوينا من نبعها الصافي، ونقلنا ما يدور في بيته ﷺ من الهدى والسمت إلى الأمة الإسلامية، حيث أبصرن أعماله وسمعن أقواله وتأملن تصرفاته، فأصبحن معلمات ومفتيات لرجال الأمة ونسائها، ولما أكرمهن الله عز وجل بهذه المناقب الرفيعة أوجب لهن التعظيم والمبرة والإجلال.

قال ابن كثير رحمه الله: وقوله ﴿وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ ﴾[سورة الأحزاب: ٦]، أي في الحرمة والاحترام، والتوقير والإكرام والإعظام(١).

وقال القرطبي: شرَّف الله تعالى أزواج نبيه ﷺ بأن جعلهن أمهات المؤمنين، أي في وجوب التعظيم والمبرة والإجلال وحرمة النكاح على الرجال، وحجبهن – رضي الله تعالى عنهن – بخلاف الأمهات. وقيل: لما كانت شفقتهن عليهم كشفقة الأمهات أنزلن منزلة الأمهات(١).

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، مرجع سابق، ٦/ ٣٤٠.

هذا وقد أوصى نبينا محمد ﷺ بأخذ العلم والنور من آل بيته بعد كتاب الله عز وجل فقد أخرج مسلم في صحيحه عن زيد ابن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ: «أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به - فحث على كتاب الله ورغب فيه -، ثم قال: «وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي» فقال له حصين: ومَنْ أهل بيته؟ يا زيد أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس قال: كل هؤلاء حُرم الصدقة؟ قال: نعم»[٢].

وكتب المستشرقون عن هذه المناقب «مناقب أمهات المؤمنين رضوان الله تعالى عليهن» وجاء ذكر مناقب أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن - على سبيل ذكر أحداث السيرة وتسلسلها، ونقلًا عنها حيث لم يذكروها على سبيل المناقب والمميزات والخصائص التي اختصت بها أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن -، بل إنهم تغافلوا عن كثيرًا منها وصنفوها على ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: المناقب المجتزأة والمبتورة.

ويحتوي هذا الصنف على ذكر مناقب أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن - وإهمال أكثرها ويتمثل في: أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما -، وأم المؤمنين أم سلمة - رضي الله عنها -، وأم المؤمنين زينب بنت جحش - رضي الله عنها -، وأم المؤمنين جويرية - رضي الله عنها -، وأم المؤمنين رملة بنت أبي سفيان أم حبيبة - رضي الله عنها -.

=

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، ١٤/ ١٢٣. (دار الكتب المصرية – القاهرة- ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م).

(٢) صحيح مسلم، ح ٢٤٠٨، كتاب الفضائل، باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ٤/ ١٨٧٣.

أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب – رضي الله عنهما –.

لقد كتب المستشرقون عن مناقب أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب – رضي الله عنهما – في:

– هجرتها وسبقها إلى الإسلام.

سطر المستشرقون عن سبق أم المؤمنين حفصة – رضي الله عنها – إلى الإسلام، وهجرتها إلى المدينة فقالوا: «لقد هاجرت حفصة مع أبيها إلى المدينة وتحلت بفضائل الإسلام وكانت منصرفة إلى الصلاة والصوم»(١).

وروى ابن سعد في الطبقات بإسناده عن أبي الحويرث قال: تزوج خنيس بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم حفصة بنت عمر بن الخطاب فكانت عنده وهاجرت معه إلى المدينة فمات عنها بعد الهجرة مقدم النبي ﷺ من بدر(٢).

– ثناء جبريل عليه السلام على عبادتها وأمره لرسول الله ﷺ بمراجعتها حين طلقها.

كتب المستشرقون في موجز دائرة المعارف عن عبادتها وفضلها فقالوا: «هجر النبي ﷺ حفصة بنت عمر لأسباب مجهولة ثم عاد إليها بوحي كريم لما تحلت به من فضائل الإسلام، فقد كانت منصرفة إلى الصلاة والصوم، والواقع أن النبي ﷺ خشى أن يباعد ذلك ما بينه وبين عمر»(٣).

وأصل هذه المنقبة ما ورد في السنة عن قيس بن زيد، أن رسول الله ﷺ طلق حفصة تطليقة فأتاها خالاها قدامة وعثمان ابنا مظعون، فقالت: والله ما طلقني عن شبع، فجاء النبي

(١) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ٤٠٧٤، ٤٠٧٥.

(٢) الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ٨/ ٦٥.

(٣) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ٤٠٧٣.

ﷺ فدخل، فتجلببتُ فقال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريل عليه السلام فقال: راجع حفصة فإنها صوامة قوامة، وإنها زوجتك في الجنة»(١).

- حفظ نسخة من المصحف عندها، وأتمانها عليها وصيانتها وحرصها الشديد عليها.

يقول المستشرق إميل درمنغم: «أشار عمر بن الخطاب على أبي بكر بجمع القرآن مع كره أبي بكر لذلك ومع ما خامر زيد بن ثابت من الوساوس، ففوض أبو بكر إلى زيد بن ثابت أن يجمع القرآن بجمعه ما هو مكتوب من آياته على الفخار والخوص وعظام الكتف وما هو محفوظ في صدور الرجال ثم عهد الخليفة عثمان بن عفان إلى زيد بن ثابت وثلاثة من قريش في إقرار نسخة واحدة للقرآن معتمدين في ذلك على النسخة التي حفظت عند زوجة النبي حفصة، ثم أمر عثمان بحرق النسخ الأخرى(٢).

وكتب المستشرق بودلي عن النسخة التي عند حفصه لكنه ذكره ضمن كلامه عن القرآن الكريم ولم يعتبر حفظ القرآن منقبة أو فضلًا اختصت به أم المؤمنين حفصة - رضي الله عنها -: «وليس هناك أدنى شك في أن القرآن الذي يقرأ اليوم أينما يكون المسلمون هو نفس المصحف الذي نسخ من مصحف حفصة»(٣).

ويكتفي المستشرق إرفنج بالإشارة إلى حفظ القرآن الكريم عند إحدى زوجات النبي ﷺ فقط ولم يُكلف نفسه كتابة اسمها - رضي الله عنها - وذلك للتقليل من قدرها.

حيث يقول: «قام بعض المسلمين بتدوين القرآن على الجلود وسعف الخيل أو العظام، واحتفظوا بذلك كله في صندوق كانت تحرسه إحدى زوجات الرسول ﷺ»(٤).

---

(١) المعجم الكبير للطبراني، ح ٩٣٤، ١٨/ ٣٦٥، المعجم الأوسط للطبراني، ح ١٥١، ١/ ٥٥ ، مسند البزار ١٤٠١، ٤/ ٢٣٧، المستدرك على الصحيحين للحاكم، ح٦٧٥٣، ٤/ ١٦، وقال الألباني: حديث حسن، انظر: صحيح وضعيف الجامع الصغير ص ٤٤٧.

(٢) حياة محمد، مرجع سابق، ص: ٢٨٧.

(٣) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٢٨٣.

(٤) محمد وخلفاؤه، مرجع سابق، ص: ٢٧٩.

وفي موجز دائرة المعارف ينقل لنا المستشرقون من كتب السيرة نقلًا مباشرًا دون تعليق أو اعتبار لأمهات المؤمنين – رضي الله عنهن – «كانت أول مجموعة من نصوص القرآن التي جمعها زيد بن ثابت بأمر من أبي بكر من ممتلكات حفصة الخاصة، وظلت هذه المجموعة في حوزة أبي بكر، وانتقلت بعد وفاته إلى أيدي عمر ثم إلى حفصة، وقد أفادت الجماعة التي عهد إليها عثمان بجمع أول نسخة رسمية من القرآن بهذه الصحف وأعادتها إلى حفصة بعد أن انتهت هذه المهمة. فلما ماتت حفصة انتقلت إلى مروان ابن الحكم الذي أعدمها » (١).

فالمستشرقون لم يهتموا بهذه المنقبة العظيمة لأم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب – رضي الله عنهما – ولم يقدرها حق قدرها وإنما أوردوها نقلًا لما جاء في السيرة النبوية، كما حاول بعضهم التشكيك في الصحف التي كانت في حيازتها فقالوا: وضع الصحف عند حفصة عمل غير رسمي واحتجوا بأن هذه الصحف لم تكن في الحيازة الرسمية ولا أماكن الحفظ الخاصة بالدولة.

و هذا التشكيك في حفظ المصحف لم يكن من أجل عناية المستشرقين بالصحف القرآنية وإنما للتقليل من شأن وقدر أم المؤمنين حفصة – رضي الله عنها –، وإلا من أحق من أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب – رضي الله عنهما –، زوج رسول الله ﷺ وأم المؤمنين – رضي الله عنها – الحافظة لكتاب الله المتمكنة من القراءة والكتابة وهي التي أوصى أبيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن تكون الصحف عندها فقد توافرت فيها جميع مقومات حفظ المصحف إضافة إلى حرصها الشديد على حفظه بعناية(٢)، كما نجد أن المستشرقين قد أغفلوا فضل أم المؤمنين حفصة – رضي الله عنها – في رواية أحاديث رسول الله ﷺ.

أم المؤمنين أم سلمة – رضي الله عنها –.

دون المستشرقون منقبة واحدة من مناقب أم المؤمنين أم سلمة – رضي الله عنها – وهي منقبة

---

(١) موجز دائرة المعارف ص: ٤٠٧٩، نقلًا عن فتوح البلدان ١ /٤٢٥.

(٢) انظر: آراء المستشرقين حول القرآن الكريم، عمر رضوان، ١ /٤٦١، (دار طيبة الرياض)، قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية نقد مطاعن ورد شبهات، فضل حسن عباس، ، ص: ١٧١، (دار البشير).

- الصواب والسداد في الرأي والمشورة وتمثل هذا في فتح مكة (صلح الحديبية).

يقول المستشرق إميل درمنغم: «ومما زاد المسلمين استياءً أمر النبي ﷺ إياهم بأن يحلقوا رؤوسهم وينحروا بدنهم دون بلوغ الكعبة وجبل عرفات، فلم يمتثل المسلمون أمره، مع تكرير النبي له ثلاث مرات. فتذمر الناس ولم يأتمروا ما أمرهم به النبي ﷺ، فدخل النبي على زوجته أم سلمة في خيمتها فذكر لها مالقي من الناس، ثم خرج وعمل بما رأته فنحر بدنه ودعا حالقه فحلقه، فلما رأى الناس ما صنع قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضًا.»[١]

وتتحدث المستشرقة أمسترونج عن هذه المنقبة فتقول: «أعلن محمد ﷺ أنه برغم أنهم لم يصلوا إلى الكعبة فعمرتهم تمت حيث هم في الحديبية وعليهم أن يحلقوا رؤوسهم وينحروا هديهم كما لو كانوا في مكة جاء رد المسلمين في صمتهم التام وحملقتهم فيه في تهجم، رجع النبي حزينًا إلى خيمته ماذا يستطيع أن يفعل وذكر لأم سلمة ما لقى من الناس أشارت عليه أم سلمة أن لا يكلم أحدًا وإنما تنحر هديك ثم تحلق رأسك فاستمع لمشورتها وفعل ذلك، فاتبعه الناس فنحروا وحلق بعضم بعضًا حتى كادوا أن يقتلوا أنفسهم في حميتهم[٢].

ويروي المستشرق بودلي فيقول: «وأمر محمد الحجاج أن يحلقوا رؤوسهم، وأن ينحروا هديهم وأن يقوموا بمراسيم الحج التقليدية حيث هم فرفض الحجاج ذلك فأمرهم ثلاث مرات دون أن ينفذوا شيئًا فأصبح الموقف من أسوأ المواقف التي واجهت محمدًا فانسحب إلى خيمته ليفكر في الأمر. وهنا استغلت أم سلمة بداهة المرأة لتنقذ الموقف فقالت: يا رسول الله لا تلمهم فإنه قد دخلهم أمر عظيم مما أدخلت على نفسك من المشقة في أمر الصلح ورجوعهم بغير فتح اخرج ولا تكلم أحدًا منهم وانحر بدنك، واحلق رأسك حيث يراك الناس، رأى محمد ما في هذه النصيحة من حكمة ففعل بها[٣]، وفي هذه الرواية تظهر العناية أكثر ممن سابقها في مشورة أم المؤمنين أم سلمة - رضي الله عنها - وامتداح حكمتها والثناء على رأيها.

---

(١) حياة محمد، مرجع سابق، ص: ٣٤٠، ٣٤١.

(٢) محمد نبي لزماننا، مرجع سابق، ص: ١٧٢.

(٣) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٣٠١.

وأصل هذه الرواية ما أخرجه البخاري في صحيحه في الحديث الطويل عن المسور ومروان وفيه:

«قال: فلما فرغ من قضية الكتاب، قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قوموا فانحروا ثم احلقوا»، قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله، أتحب ذلك، اخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة، حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا، فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضًا غمًا»(١).

كما أنهم قد أغفلوا الكتابة عن:

- شرف رؤيتها لجبريل عليه السلام في صورة دحية الكلبي.

فقد روى الشيخان بإسنادهما عن أبو عثمان(٢) قال: أنبئت أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ، وعنده أم سلمة - رضي الله عنها - فجعل يحدث ثم قام، فقال النبي ﷺ لأم سلمة: «من هذا؟» أو كما قال، قال: قالت: هذا دحية، قالت أم سلمة: ايم الله ما حسبته إلا إياه، حتى سمعت خطبة نبي الله ﷺ يخبر جبريل، أو كما قال، قال: فقلت لأبي عثمان: ممن سمعت هذا؟ قال: من أسامة بن زيد(٣).

- شهادة الرسول ﷺ لها بأنها على خير.

فقد روى الإمام الترمذي في سننه عن عمر بن أبي سلمة، ربيب النبي ﷺ قال: لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ

---

(١) صحيح البخاري، ح ٢٧٣١، كتاب المغازي، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط ٣/ ١٩٣.

(٢) أبو عثمان النهدي عبد الرحمن وقيل ابن ملي، ابن عمرو بن عدي البصري أمام حجة مخضرم معمر أدرك الجاهلية والإسلام، غزا في خلافة عمر وبعدها، انظر: سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ٤/١٧٥.

(٣) صحيح البخاري، ح ٣٦٣٤، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ٤/ ٢٠٦، صحيح مسلم، ح ٢٤٥١، كتاب الفضائل، باب فضل أم سلمة - رضي الله عنها - ٤/ ١٩٠٦.

تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٣] في بيت أم سلمة، فدعا فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكساء، وعلي خلف ظهره فجلله بكساء ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا. قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله، قال: «أنت على مكانك وأنت على خير»[١].

أم المؤمنين زينب بنت جحش – رضي الله عنها –.

كتب المستشرقون عن مناقب أم المؤمنين زينب بنت جحش – رضي الله عنها – نقلًا عن كتب السيرة النبوية والتاريخ والتراجم وذلك في:

– أن الله تبارك وتعالى هو الذي تولى تزويجها.

ذكر المستشرقون في موجز دائرة المعارف زواج أم المؤمنين زينب بنت جحش – رضي الله عنها – وما أمتن الله به عليها في زواجها إذا أن الله سبحانه هومن تولى تزويجها فقالوا: «كانت فخورة بالظروف التي أحاطت بزواجها، كما كانت تردد القول بأن محمدا ﷺ تزوج أزواجه من آبائهم وإخوتهم أما زواجها به فكان بوحي من الله.»[٢]

وهذه المنقبة ثابتة لأم المؤمنين زينب بنت جحش – رضي الله عنها – وذلك في قول الله تعالى ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

قال ابن القيم[٣]: ومن خواصها أن الله سبحانه وتعالى كان هو وليها الذي زوجها لرسوله ﷺ من فوق سماواته[٤].

---

(١) سنن الترمذي، ح ٣٢٠٥، أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ومن سورة الأحزاب، ٥/ ٢٠٤، وقال الألباني في الروض النضير ٩٧٦ و١١٩٠: صحيح.

(٢) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ٥٤١٥ .

(٣) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الدمشقيّ (ولد ٦٩١ – وتوفي ٧٥١ هـ = ١٢٩٢ – ١٣٥٠ م) في دمشق ألف تصانيف كثيرة منها إعلام الموقعين ،الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ،شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ،كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء انظر الاعلام للزركلي (٥٦/٦)

(٤) زاد المعاد، مرجع سابق، ١/ ١٠٥.

وبهذه المنقبة كانت - رضي الله عنها - تفتخر على أزواج النبي ﷺ وحق لها أن تفتخر بهذا الفضل والشرف.

فعن أنس رضي الله عنه، قال: جاء زيد بن حارثة يشكو، فجعل النبي ﷺ يقول: «اتق الله، وأمسك عليك زوجك»، قال أنس: لو كان رسول الله ﷺ كاتمًا شيئًا لكتم هذه، قال: فكانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات، وعن ثابت: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، «نزلت في شأن زينب وزيد بن حارثة»[١].

- نزول آيات الحجاب في زواجها.

كتب المستشرقون في موجز دائرة المعارف فقالوا: «ويقال أن آيات الحجاب سورة الأحزاب نزلت في مناسبة عرس زينب»[٢] وهذا ثابت في حديث أنس ﷺ أن قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسَـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣] نزلت في قصة زواجها.

فعن أنس بن مالك قال: أنا أعلم الناس بهذه الآية: آية الحجاب «لما أهديت زينب بنت جحش - رضي الله عنها - إلى رسول الله ﷺ، كانت معه في البيت صنع طعامًا ودعا القوم، فقعدوا يتحدثون، فجعل النبي ﷺ يخرج ثم يرجع، وهم قعود يتحدثون، فأنزل الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ﴾ إلى قوله ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسَـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣] فضرب الحجاب وقام القوم»[٣].

- اتصافها بالتقوى والجود في الصدقة والإنفاق.

(١) صحيح البخاري، ح ٧٤٢٠، كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء ٩/ ١٢٤.

(٢) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ٥٤١٥.

(٣) صحيح البخاري، ح ٤٧٩٢، باب {لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه } [الأحزاب: ٥٣]، ٦/ ١١٩.

كتب المستشرقون في موجز دائرة المعارف فقالوا: «اشتهرت زينب بنت جحش بجودها وثمة حديث بأن أكرم زوجات النبي ﷺ هي واسبقهن في اللحاق به في الجنة والحديث يشير إلى ذلك، وقد أخذت زينب ١٢ ألف درهم من عمر عام ٢٠ للهجرة، ولكنها لم تترك شيئًا، ذلك أنها تصدقت بكل ما في يدها على الفقراء»(١).

وأصل هذا ما روى مسلم في صحيحه عن عائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها –، قالت: قال رسول الله ﷺ: «أسرعكن لحاقًا بي أطولكن يدًا» قالت: فكن يتطاولن أيتهن أطول يدا، قالت: فكانت أطولنا يدا زينب، لأنها كانت تعمل بيدها وتصدق(٢).

كما أنهم أغفلوا الكتابة عن:

– شهادة الله لها بحقيقة الإيمان واستجابتها لأمر الله ورسوله ﷺ.

قال الله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦].

– أن النبي ﷺ أولم بوليمة خاصة في عرسها تميزت عن سائر ولائمه.

فعن أنس رضي الله عنه، قال: «ما أولم النبي ﷺ على شيء من نسائه ما أولم على زينب، أولم بشاة»(٣).

أم المؤمنين جويرية – رضي الله عنها –

كتب المستشرقون عن منقبة من مناقب أم المؤمنين جويرية بنت الحارث – رضي الله عنها – ألا وهي:

– عظم شأنها وبركتها على قومها.

---

(١) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ٥٤١٥.

(٢) صحيح مسلم، ح ٢٤٥٢، باب فضائل زينب بنت جحش – رضي الله عنها – ٤/ ١٩٠٧.

(٣) صحيح البخاري، ح ٥١٦٨، كتاب النكاح، باب الوليمة ولو بشاة ٧/ ٢٤ ، صحيح مسلم، ح ١٤٢٨، كتاب النكاح، باب زواج زينب بنت جحش – رضي الله عنها – ونزول الحجاب ٢/ ١٠٤٩.

قال المستشرق إرفنج: لقد امتنت جويرية بنت الحارث على قومها بإطلاق سراحهم واعتناق معظمهم الإسلام. «وأطلق المسلمون سراح الأسرى بسبب زواج النبي ﷺ من جويرية واعتنق معظمهم الإسلام»(١).

ويروي المستشرق إميل درمنغم ما حدث في غزوة بني المصطلق فيقول: «فرأى المسلمون أن يوكدوا أمر هذه المصاهرة فأعتقوا مئة أهل بيت من بني المصطلق، فلم يلبث سيدهم الحارث وأولاده وأناس من قبيلته أن أسلموا»(٢).

وهذه المنقبة ظاهرة لأم المؤمنين جويرية بنت الحارث – رضي الله عنها – حيث كان زواجها بالنبي ﷺ خيرًا لها ولقومها فما أن علم الصحابة – رضي الله عنهم أجمعين – بذلك حتى أطلقوا الأسارى الذين كانوا في أيديهم من قومها إجلالًا وتعظيمًا لسيد الخلق المصطفى ﷺ لأنهم صاروا أصهاره فكان خيرها شاملًا لقومها.

فعن عائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها – قالت: لما قسم رسول الله ﷺ سبايا بني المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن الشماس أو لابن عم له وكاتبته على نفسها، وكانت امرأة حلوة ملاحة لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها، قالت: فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتي فكرهتها، وعرفت أنه سيرى منها ما رأيت، فدخلت عليه، فقالت: يا رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك، فوقعت في السهم لثابت بن قيس بن الشماس – أو لابن عم له – فكاتبته على نفسي، فجئتك أستعينك على كتابتي. قال: «فهل لك في خير من ذلك؟». قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: «أقضي كتابتك وأتزوجك» قالت: نعم يا رسول الله. قال: «قد فعلت» قالت: وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله ﷺ تزوج جويرية بنت الحارث، فقال الناس: أصهار رسول الله ﷺ فأرسلوا ما بأيديهم،

---

(١) محمد وخلفاؤه، مرجع سابق، ص: ١٦٨.

(٢) حياة محمد، مرجع سابق، ص: ٣١٠.

قالت: فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق، فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها»[١].

كما أنهم أغفلوا الكتابة عن:

- كثرة عبادتها وطاعتها.

فعن ابن عباس ﷺ قال: عن جويرية - رضي الله عنها - قالت: أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح، وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى، وهي جالسة، فقال: «ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟» قالت: نعم، قال النبي ﷺ: «لقد قلت بعدك أربع كلمات، ثلاث مرات، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده، عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته»[٢].

- تسمية النبي ﷺ لها بهذا الاسم (جويرية).

فقد روى مسلم بإسناده إلى عبد الله بن عباس ﷺ قال: «كانت جويرية اسمها برة، فحول رسول الله ﷺ اسمها جويرية، وكان يكره أن يقال: خرج من عند برة»[٣].

أم المؤمنين رملة بنت أبي سفيان أم حبيبة - رضي الله عنها -.

كتب المستشرقون عن منقبة من مناقب أم المؤمنين أم حبيبة - رضي الله عنها - وذلك في:

- إكرامها لفراش رسول الله ﷺ من أن يجلس عليه أبوها لما قدم المدينة لعقد الهدنة بين الرسول ﷺ وبين قريش ومنعته أم حبيبة - رضي الله عنها - من الجلوس عليه لأنه كان يومئذ على الشرك ولم يكن قد أسلم.

---

(١) مسند أحمد، ح ٢٦٣٦٥، مسند عائشة - رضي الله عنها - ٤٣/ ٣٨٤، وقال الألباني في إرواء الغليل ٥/ ٣٨: وهذا إسناده حسن.

(٢) صحيح مسلم، ح ٢٧٢٦، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التسبيح في أول النهار وعند النوم، ٤/ ٢٠٩٠.

(٣) صحيح مسلم، ح ٢١٤٠، كتاب الآداب، باب استحباب تغير الاسم القبيح ٣/ ١٦٨٧.

يقول المستشرق إرفنج: «وطوت أم حبيبة التي أذن النبي ﷺ لها في قبول والدها أبي سفيان الفراش الذي ذهب أبو سفيان ليجلس عليه قائلة «أنت رجل مشرك نجس فلم أحب أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ»[١].

ويشاركه المستشرق إميل درمنغم في ذكر هذه المنقبة حيث يقول: «بل إن ابنته أم حبيبة زوجة النبي ﷺ الذي كان يعتمد على تأثيرها على رسول الله ﷺ خيبت رجاءه، فعندما جلس على فراش الرسول ﷺ طوته عنه فقال: يا بنية والله ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني قالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك نجس فلم أحب أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ[٢].

وأصل هذا ما رواه ابن سعد عن الزهري قال: لما قدم أبو سفيان بن حرب المدينة جاء إلى رسول الله ﷺ وهو يريد غزو مكة فكلمه أن يزيد في هدنة الحديبية فلم يقبل عليه رسول الله. فقام فدخل على ابنته أم حبيبة. فلما ذهب ليجلس على فراش النبي ﷺ طوته دونه فقال: يا بنية أرغبت بهذا الفراش عني أم بي عنه؟ فقالت: بل هو فراش رسول الله وأنت امرؤ نجس مشرك. فقال: يا بنية لقد أصابك بعدي شر[٣].

كما أنهم قد تغافلوا عن الكتابة في:

- الهجرة وذلك بأنها كانت ممن هاجر في الله الهجرة الثانية إلى الحبشة فارة بدينها - رضي الله عنها -. قال ابن سعد رحمه الله: وكان عبيد الله بن جحش هاجر بأم حبيبة معه إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية فتنصر وارتد عن الإسلام وتوفي بأرض الحبشة، وثبتت أم حبيبة على دينها الإسلام وهجرتها[٤].

- شدة خوفها من الله عز وجل.

---

(١) محمد وخلفاؤه، مرجع سابق، ص: ٣٥٠، الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٣٤٧.

(٢) حياة محمد، مرجع سابق، ص: ٢٠٤.

(٣) الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ٨/ ٧٩، وانظر: سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ٢/ ٢٢٣.

(٤) الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ٨/ ٩٦.

ومنه ما رواه ابن سعد عن عوف بن الحارث قال: سمعت عائشة – رضي الله عنها – تقول: دعتني أم حبيبة زوج النبي – ﷺ – عند موتها فقالت: قد كان يكون بيننا وبين الضرائر فغفر الله لي ولك ما كان من ذلك. فقلت: غفر الله لك ذلك كله وتجاوز وحللك من ذلك. فقالت:

سررتني سرك الله. وأرسلت إلى أم سلمة فقالت لها مثل ذلك[١].

صفية بنت حيي – رضي الله عنها –:

كتب المستشرقين عن منقبة من مناقب أم المؤمنين صفية بنت حيي – رضي الله عنها – وذلك في:

– صدق حبها للنبي ﷺ وشهادة النبي لها بهذا.

فقالوا: «يبدو أنها عاشت بعد ذلك في عزلة عما حولها لأننا لا نعثر على أي ذكر لها خلال السنوات التي سبقت وفاة النبي ﷺ فيما عدا رواية تبين كيف أنها قد أعربت أثناء مرضه الأخير عن حبها له كما كانت على علاقة طيبة بفاطمة بنت النبي ﷺ»[٢].

وأصل هذه المنقبة ما ورد عن ابن سعد عن زيد بن أسلم أن نبي الله ﷺ في الوجع الذي توفي فيه اجتمعت إليه نساؤه فقالت صفية بنت حيي: أما والله يا نبي الله لوددت أن الذي بك بي فغمزنها أزواج النبي ﷺ وأبصرهن رسول الله ﷺ فقال: مضمضن. فقلن: من أي شيء يا نبي الله؟ قال: من تغامزكن بصاحبتكن والله إنها لصادقة[٣].

كما أنهم قد أنكرو بقية مناقب أم المؤمنين صفية بنت حيي – رضي الله عنها – ومنها.

– شرف نسبها.

روى الترمذي بإسناده إلى أنس بن مالك ﷺ قال: بلغ صفية أن حفصة قالت: بنت يهودي فبكت فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي فقال: فما يبكيك؟ قالت: قالت لي حفصة

---

(١) الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ٨/ ٧٩.

(٢) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ٦٥٤٨.

(٣) الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ١٢٩/٨، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ٣/ ٢٠٦.

أني ابنة يهودي فقال النبي ﷺ: «وإنك لابنة نبي، وأن عمك لنبي، وإنك لتحت نبي، ففيم تفخر عليك؟» ثم قال: «اتقي الله يا حفصة»(١).

- خشيتها على النبي ﷺ من غدر اليهود.

فقد روى ابن سعد في حديث طويل وفيه: «لم يخرج رسول الله من خيبر حتى طهرت من حيضتها فخرج رسول الله من خيبر ولم يعرس بها فلما صار إلى منزل يقال له تبار على ستة أميال من خيبر مال يريد أن يعرس بها فأبت عليه فوجد النبي ﷺ في نفسه من ذلك فلما كان بالصهباء وهي على بريد من خيبر قال رسول الله ﷺ لأم سليم: عليكن صاحبتكن فامشطنها وأراد رسول الله أن يعرس بها هناك. قالت أم سنان الأسلمية: وكنت فيمن حضر عرس رسول الله ﷺ بصفية مشطناها وعطرناها. وكانت جارية تأخذ الزينة من أوضاء ما يكون من النساء فسألتها عما رأت من رسول الله ﷺ فذكرت أنه سر بها ولم ينم تلك الليلة ولم يزل يتحدث معها وقال لها: ما حملك على الذي صنعت حين أردت أن أنزل المنزل الأول فأدخل بك؟ فقالت: خشيت عليك قرب يهود. فزادها ذلك عند رسول الله(٢).

الصنف الثاني: المناقب المقدوحة والمنقوصة.

ويحتوي هذا الصنف على ذم وقدح أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن - في شأن المناقب ويتمثل في: أم المؤمنين سودة بنت زمعة - رضي الله عنها -، وأم المؤمنين زينب بنت خزيمة - رضي الله عنها -.

فقد كتب المستشرقون عن هاتين الزوجتين - رضي الله عنهن - وطعنوا في مناقبهن وانتقصوا من قدرهن وأنكروا مآثرهن حيث يقول المستشرق بودلي في شأنهن: أن لكل أزواج النبي ﷺ مناقب وفضائل ماعدا هاتين الزوجتين «وقليل من الناس حتى بين المسلمين من

(١) سنن الترمذي، ح ٣٨٩٤، باب فضل أزواج النبي ﷺ ٦/ ١٩٢، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وقال الألباني في كتاب المشكاة ح٦١٨٣: صحيح.

(٢) الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ٨/ ٩٦.

يستطيع أن يذكر أسماء أزواج النبي ﷺ سريعًا وعلى الرغم من ذلك فإن كلًا منهن إلا سودة وزينب بنت خزيمة قد لعبت أدوارًا تختلف أهمية في تكوين الإسلام»[(١)].

ويقول عن سودة: «وبقيت في الحريم إلى أن ماتت دون أن تجد من يلحظ موتها أو يحزن عليها»[(٢)].

فافتروا على أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن – بهذه الكتابات، فقد حظيت كل واحدة منهن بمناقب ومحامد ميزتها عن غيرها، واجتمعن في فضل وشرف الأمومة للمؤمنين واختصصن بصحبة رسول الله ﷺ.

ومن المناقب التي جحدها المستشرقون وأنكروها لأم المؤمنين سودة بنت زمعة – رضي الله عنها –.

– حرصها على البقاء في عصمة النبي ﷺ وإيثارها يومها في القسم لعائشة – رضي الله عنهن – إيثارًا منها لرضاه عليه الصلاة والسلام وحبًا في البقاء معه لتكون من أزواجه في الدنيا والآخرة.

عن عائشة – رضي الله عنها –، قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه، وكان يقسم لكل امرأة منهن يومها وليلتها، غير أن سودة بنت زمعة وهبت يومها وليلتها لعائشة زوج النبي ﷺ، تبتغي بذلك رضا رسول الله ﷺ»[(٣)].

– أن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – تمنت أن تكون في مثل هديها وطريقتها.

فقد روى مسلم بإسناده عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: ما رأيت امرأة أحب إلي أن أكون في مسلاخها من سودة بنت زمعة، من امرأة فيها حدة، قالت: فلما كبرت، جعلت

---

(١) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٢١٠.

(٢) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ١٢٧.

(٣) صحيح البخاري، ح ٢٥٩٣، كتاب الهبة والترغيب فيها، باب هبة المرأة لغير زوجها وعتقها ٣/ ١٥٩.

يومها من رسول الله ﷺ لعائشة، قالت: يا رسول الله، قد جعلت يومي منك لعائشة، «فكان رسول الله ﷺ، يقسم لعائشة يومين، يومها ويوم سودة»(١)

واختلفوا في:

- سبقها إلى الإسلام.

قال ابن سعد: «وأسلمت بمكة قديما وبايعت وأسلم زوجها السكران بن عمرو وخرجا جميعا مهاجرين إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية(٢).

- حبها للإنفاق والصدقة.

قال ابن سعد في بذلها وإنفاقها - رضي الله عنها -: أن عمر بن الخطاب ﷺ بعث إلى سودة بنت زمعة بغرارة من دراهم فقالت: ما هذه؟ قالوا: دراهم. قالت: في الغرارة مغل التمر يا جارية بلغيني القنع. قال: ففرقتها(٣).

وأما أم المؤمنين زينب بنت خزيمة - رضي الله عنها - فقد أنكر المستشرقون منقبة إنفاقها وصدقاتها وشذا عنهم المستشرق آتين دينيه فقال: «ولم يمكث النبي ﷺ طويلًا على ذلك حتى بنى بأرملة عبيدة الذي مات شهيدًا يوم بدر وكانت تقية رحيمة بالفقراء والضعفاء كثيرة الصدقات، ولقد لقبت من أجل هذا بأم المساكين»(٤).

الصنف الثالث: المناقب المسكوت عنها.

ويحتوى هذا الصنف على من سكت عنهن المستشرقون ولم يكتبوا عنهن في المناقب والمآثر ويتمثل هذا الصنف في: أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث - رضي الله عنها -، وإيمائه ﷺ مارية القبطية - رضي الله عنها -، وريحانة بنت زيد - رضي الله عنها - حيث لم يتخذ المستشرقون أي موقف نحوهن.

---

(١) صحيح مسلم،ح ١٤٦٣، كتاب النكاح، باب جواز هبتها نوبتها لضرتها ٢/ ١٠٨٥.

(٢) الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ٨/ ٤٢.

(٣) الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ٨/ ٤٥.

(٤) محمد رسول الله، مرجع سابق، ص: ٢١٧.

وأما أهل السنة والجماعة فقد كتبوا عنهن في المناقب والفضائل كبقية أزواج النبي ﷺ (أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن –).

ومما تميزت به أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث – رضي الله عنها –.

– تسمية النبي ﷺ لها باسم ميمونة بدلًا من الاسم السابق لها.

عن ابن عباس ﵄ قال: «كان اسم خالتي ميمونة برة فسماها رسول الله ﷺ ميمونة»(١).

– شهادة أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – لها بالتقوى وصلة الرحم.

فقد روى الإمام الحاكم عن يزيد بن الأصم، ابن أخت ميمونة قال: تلقيت عائشة، وهي مقبلة من مكة أنا وابن لطلحة بن عبيد الله وهو ابن أختها وقد كنا وقعنا في حائط من حيطان المدينة فأصبنا منه، فبلغها ذلك، فأقبلت على ابن أختها تلومه وتعذله، وأقبلت علي فوعظتني موعظة بليغة، ثم قالت: «أما علمت أن الله تعالى ساقك حتى جعلك في أهل بيت نبيه، ذهبت والله ميمونة ورمي برسنك على غاربك، أما أنها كانت من أتقانا لله عز وجل وأوصلنا للرحم»(٢).

وأما ما ورد في مناقب إمائه ﷺ، فقد ورد في مناقب مارية القبطية – رضي الله عنها –

– أنها رزقت من النبي ﷺ الولد.

قال ابن سعد رحمه الله عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: ثم رزق الله منها الولد وحرمنا منه(٣).

– في شأنها نزلت آيات التحريم.

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم، ح ٦٧٩٣، ٤/ ٣٢، قال الحاكم صحيح ووافقه الذهبي في التلخيص.

(٢) المستدرك على الصحيحين، ح ٦٧٩٩ ، ٤/ ٣٤، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وقال الذهبي في التلخيص على شرط مسلم.

(٣) الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ٨/ ١٧١.

قال ابن سعد أخبرنا محمد بن عمر قال: أخبرنا مالك بن أنس عن زيد بن أسلم أن النبي ﷺ حرم أم إبراهيم فقال: هي علي حرام. وقال: والله لا أقربها. قال فنزلت: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَـٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [التحريم: ٢][١]

وأما ريحانة بنت زيد فقد حظيت بعتق النبي ﷺ لها وإسلامها وشرفت بفضل معايشة النبي ﷺ وإعجابه ﷺ بها، وضرب الحجاب عليها.

قال ابن سعد: «أعتق رسول الله ريحانة بنت زيد بن عمرو بن خنافة وكانت ذات جمال فلما سبيت بنو قريظة عرض السبي على رسول الله قالت: فكنت فيمن عرض عليه فأمر بي فعزلت وكان يكون له صفي من كل غنيمة، فلما عزلت خار الله لي فأرسل بي إلى منزل أم المنذر بنت قيس أياما حتى قتل الأسرى وفرق السبي ثم دخل علي رسول الله فتحييت منه حياء فدعاني فأجلسني بين يديه فقال: إن اخترت الله ورسوله اختارك رسول الله لنفسه.

فقلت: إني أختار الله ورسوله فلما أسلمت أعتقني رسول الله وتزوجني وأصدقني اثنتي عشرة أوقية ونشا كما كان يصدق نساءه وأعرس بي في بيت أم المنذر وكان يقسم لي كما كان يقسم لنسائه وضرب علي الحجاب، وكان رسول الله معجبا بها»[٢].

وبهذا العرض نجد أن المستشرقين قد سلكوا مسلك التقاعس والإغفال، والتقصير والتهميش في كتابة مناقب أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن –، حيث لم يرتضوا لأنفسهم تدوين مآثر ومحامد أزواجه ﷺ على الوجه الصحيح، بل إنهم قد تغافلوا وسكتوا عن أغلب المناقب والمحاسن وعن فضلهن في نقل هديه وعلمه ونشر سنتة الفعلية التي لم يطلع عليها أحدًا سوى أزواجه ﷺ أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن –.

---

(١) الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ٨/ ١٧١.

(٢) الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ٨/ ١٠٢.

الفصل الخامس
مواقف المستشرقين من صلة أمهات المؤمنين بالصحابةرضي الله عنهم

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: موقفهم من صلة عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها.

المبحث الثاني: موقفهم من صلة حفصة بنت عمر بن الخطاب - رضي الله عنها -

المبحث الثالث: موقفهم من صلة بقية أمهات المؤمنين بالصحابة رضي الله عنهم .

المبحث الأول
موقفهم من صلة عائشة بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنها-

المطلب الأول: موقفهم من صلتها بالخلفاء الراشدين.

المطلب الثاني: موقفهم من مشاركتها في سياسة أمر الخلافة.

المطلب الثالث: موقفهم من وقعة الجمل.

المطلب الرابع: موقفهم من صلتها ببقية الصحابة.

المطلب الأول

موقفهم من صلتها بالخلفاء الراشدين

لقد أجل الخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم نبيهم محمد ﷺ وآل بيته الأطهار، وأنزلوهم منازلهم وقدروا لهم قدرهم وحفظوا مكانتهم، واهتموا بأم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – بمزيد من العناية والرعاية وذلك لفضلها ومنزلتها عند نبيهم محمد ﷺ، فقد كانت مرجعًا لهم في السير على منهجه والاقتداء بسنته بعد وفاته ﷺ، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»(١).

ولما كان الناس يعلمون فضلها وقدرها عند نبيهم محمد ﷺ كانوا يتحرون بهداياهم للنبي ﷺ يومها وليلتها» كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، قالت عائشة: فاجتمع صواحبي إلى أم سلمة، فقلن: يا أم سلمة، والله إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، وإنا نريد الخير كما تريده عائشة، فمري رسول الله ﷺ أن يأمر الناس: أن يهدوا إليه حيثما كان، أو حيثما دار، قالت: فذكرت ذلك أم سلمة للنبي ﷺ، قالت: فأعرض عني، فلما عاد إلي ذكرت له ذلك فأعرض عني، فلما كان في الثالثة ذكرت له فقال: يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة، فإنه والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها»(٢).

وعندما أصبحت – رضي الله عنها – مرجعًا للسائلين ومأوى للمسترشدين في عهد الخلفاء الراشدون ومن بعدهم كان يحصل لها بعض المواقف مع الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

ومن المواقف والصور التي وقعت في تفضيل الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم لأم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها — ما ذكره ابن سعد رحمه الله في تفضيل عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأم

(١) سبق تخريجه ١٦٤.

(٢) سبق تخريجه ١٦٢.

المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – قال في الطبقات الكبرى: «لما كان عمر بن الخطاب ﷺ أميرًا للمؤمنين كتب لآل بيت رسول الله ﷺ من بيت المال وكتب لسائر أزواج النبي ﷺ عشرة آلاف وكتب لعائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها – اثني عشر ألفًا وقال إنها حبيبة رسول الله ﷺ»[(١)].

وتناول المستشرقون بعض هذه المواقف والصور في صلة أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – بالخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وكتبوا عن صلة أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – بأبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب.

– موقفهم من صلة أم المؤمنين عائشة بأبيها أبو بكر الصديق رضي الله عنهما:

احتل أبو بكر الصديق ﷺ مكانة كبرى في الإسلام فهو الرجل الثاني بعد رسول الله ﷺ وهو أحب الناس وأقربهم إلى نبيه عليه الصلاة والسلام فهو خليله وخليفته من بعده.

ولما كان بهذا الفضل والمكانة سطر المستشرقون عنه وعن صلة أم المؤمنين عائشة ﷺ به وتمثلت هذه الصلة في عدة مواقف وآراء، صورها المستشرقون بالملاطفة الأبوية الحانية بين أب وابنته، والمناصحة بين المربي ورعيته.

يقول المستشرق إميل درمنغم: «وكانا أبو بكر يتدخل في الغالب ليدعوا ابنته إلى محجة الصواب، وكانت عائشة تعمل بحذق وبراعة على ما فيه مصلحة آله وتحقيق آمالهم الخفية»[(٢)].

ويتحدث المستشرق بودلي عن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – في حادثة هجر النبي ﷺ لنسائه ونُصح أبا بكر لابنته فيقول: «ولما هجر محمد نساءه لم تخفف عائشة من غلوائها، فقد كانت تعلم أنه سيعود إليها دوامًا، ولقد فعلت أشياء تخالف مبادئ الإسلام جميعًا، وكان أبوها ينكر ما تفعله إنكارًا شديدًا»[(٣)].

---

(١) الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ٨/ ٥٣.

(٢) حياة محمد، مرجع سابق، ص: ٣٢٤.

(٣) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ١٧٥.

ويقول إميل درمنغم: «وأبدت عائشة ذات مرة نحو زوجها النبي ﷺ من مجاوزة الحد ما لطمها معه أبو بكر فقال النبي ﷺ «مهلًا يا أبا بكر إن الغيرة لا تبصر أسفل الوادي من أعلاه»(١).

ويتهم لامانس(٢) أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – بالتجسس على النبي ﷺ لمصلحة أبيها كي تخبره بما يجب معرفته وقال: استمعت والرسول يتحدث مع عثمان ابن عفان ويعني بذلك ما جاء في مسند الإمام أحمد أنها قالت – رضي الله عنها –: ما استمعت على رسول الله ﷺ إلا مرة فإن عثمان جاء في نحر الظهيرة فظننت أنه جاءه في أمر النساء فحملتني الغيرة على أن أصغيت إليه فسمعته يقول: «إن الله عز وجل ملبسك قميصًا تريدك أمتي على خلعه فلا تخلعه» فلما رأيت عثمان يبذل لهم ما سألوه إلا خلعه علمت أنه من عهد رسول الله ﷺ الذي عهده إليه(٣).

ويقدح لامانس في عائشة – رضي الله عنها – وذلك بعدم حفظها لسر النبي ﷺ وإفضاؤه إلى أبيها بما لم يكن النبي ﷺ قد أفضاه لأحد وجاء هذا بعزم النبي على فتح مكة إذ دخل عليها أبوها أبو بكر فوجدها تدبر جهاز الرسول فقال: يا بنيه آمركم رسول الله أن تجهزوه؟ قالت نعم فتجهز قال: فأين ترينه يريد؟ قالت لا والله ما أدري(٤).

وفي هذه المواقف افترى المستشرقون على أم المؤمنين عائشة وأبي بكر الصديق رضي الله عنهما فلم تكن عائشة – رضي الله عنها – تمطع في ولاية أبيها في شأن الخلافة، ولم تفعل شيئًا يخالف تعاليم الإسلام أو مبادئه، وأبو بكر الصديق لم ينكر ما فعلته إذ لم تفعل منكرًا أو قبيحًا ولو صح هذا فهو أب مشفق ناصح لابنته.

---

(١) حياة محمد، مرجع سابق، ص: ٣٢٢.

(٢) لامانس مستشرق فرنسي بلجيكي المولد (ولد ١٨٦٢– توفي ١٩٣٧) له كتاب فرائد اللغة، وتاريخ الشرق الأدنى، وتاريخ سوريا، الحكام الثلاثة أبو بكر عمر وأبو عبيدة، بن محمد وتاريخ السيرة ومهد الإسلام، فاطمة وبنات محمد. انظر: معجم أسماء المستشرقين، مرجع سابق، ص: ٩٤٠، موسوعة المستشرقين، مرجع سابق، ص: ٥٠٣.

(٣) مسند أحمد،ح ٢٤٨٣٧، مسند الصديقة عائشة ٤١/ ٣٣٣. فضائل الخلفاء الراشدون لأبي نعيم الأصبهاني ، ح٣٧، ١/ ٥٥، تاريخ دمشق لابن عساكر ١٦/ ١٧٩، وقال شعيب الأرناؤوط: حديث ضعيف بهذه السياق.

(٤) السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون، مرجع سابق، ص: ١٢٢.

وأما حديث إميل درمنغم «وأبدت عائشة... ... ... مالطمها معه أبو بكر» واتهام لامانس أم المؤمنين عائشة بالتجسس وذلك بقوله «استمعت والرسول يتحدث مع عثمان بن عفان... ... ...».

نقول إن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – امرأة جبلت على الغيرة كما جبلت عليها جميع النساء ثم إن عائشة – رضي الله عنها – بينت في سياق الحديث أن سبب السماع هو الغيرة فقالت: «وما حملني إلا الغيرة» وحاشاها أن تتجسس على النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم لغير هذا السبب، كما أن هذا الحديث لم يرد في صحيح السنة.

وأما حديث المستشرق إميل درمنغم «إن الغيرى لا تبصر أسفل الوادي... ... ...» حديث ضعيف يستدل به كثير من الروافض على خلق أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – ومعاملتها مع النبي ﷺ وقد سبق لنا تخريجه.

وأما ما نسبة المستشرق لامانس لأم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – من إفشاء سر رسول الله ﷺ فهو زور وبهتان لا حقيقة له إذ أن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – لم تخبر أباها بوجهة النبي ﷺ بل أخبرته باستعداده فقط والاستعداد للسفر رأه أبو بكر دون سؤال لعائشة رضي الله عنهما.

– موقفهم من صلة أم المؤمنين عائشة بعمر بن الخطاب رضي الله عنهما:

وهو ثاني الخلفاء الراشدون وأعظم رجالات الإسلام بعد أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وأحد العشرة المبشرين بالجنة، كان مثالًا للعدل والإنصاف والزهد والتقشف في الدولة الإسلامية.

ولما كان له هذا التميز والسبق والإطراء كتب المستشرقون عنه وعن علاقة أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – به فقالوا في موجز دائرة المعارف: «ترك النبي عائشة أرملة لا عقب لها وقد وبلغت من العمر حوالي ثمانية عشر عامًا وظل أبوها يلي الخلافة سنتين ثم وليها عمر عشر سنين وكانت تربط عائشة بعمر علاقات ودية طيبة، وإن كانت لم تشارك فيما يبدو في

الشؤون العامة على أنها شاركت بنصيب بارز في المعارضة التي قامت في وجه الخليفة عثمان، ولو أنها لم تكن على اتفاق مع جماعة المتمردين المسئولين عن مقتله ولامع حزب عليّ»[١].

ويرى المستشرق بودلي أن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - أصبح لها مركزًا رسميًا في الدولة على عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ حيث يقول: «أن عائشة لم يتح لها حكم أبيها القصير الوقت لتكون لنفسها أي مركز رسمي في المدينة ثم رأت أنه من الآمن أن تتعاون والخليفة الجديد»[٢].

لقد أساء المستشرق بودلي في تصوره فلم تكن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - تتطلع لمكانة ومركز في الدولة الإسلامية إذ أن مكانتها ومنزلتها باقية في قلوب المؤمنين فلم تكن بحاجة إلى هذا ولم يكن هاجسها الحياة الفانية، ولم تشغلها الدنيا عن الآخرة.

وتزعم المستشرقة كارين أمسترونج بأن العلاقة بين أم المؤمنين عائشة وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما لم تكن ودية وأن عمر بن الخطاب ﷺ كان قاسيًا مع أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - وذلك بقولها: «كانت الحرية مألوفة لنساء الطبقة العليا قبل الإسلام، ولكن أثار ذلك عمر فصاح مرة في عائشة وهي في طرف المعسكر قريبًا من العدو: «جرأتك تجاوزت الحد ماذا يحدث لك لو حاقت بنا مصيبة أو أخذوك أسيرة؟»[٣].

وهذا باطل حيث لم يرد هذا القول وهذا الحدث في كتب السنة والسيرة النبوية، وإنما هو من نسج خيال المستشرقة وأوهامها.

ويقول بودلي وفي أخر لحظات عمر بن الخطاب ﷺ استأذن عائشة أن يدفن في حجرتها: «استأذن عمر بن الخطاب عائشة أن يدفن في بيتها جوار صاحبيه فوافقت عائشة على ذلك، فلما فاضت روحه قبر أمير المؤمنين في حجرة عائشة»[٤].

(١) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ٧٠٣٩.

(٢) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٤١٨.

(٣) محمد نبي لزماننا، مرجع سابق، ص: ١٣٦.

(٤) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٤١٩.

وهـذا حـق وقـد ورد في السـنة والسـيرة النبويـة مـا يتضـمن ذلـك فقـد روى البخـاري في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب ﷺ وفيه أن عمر قال لابنه عبد الله: «انطلق إلى عائشة أم المؤمنين، فقل: يقرأ عليك عمر السلام، ولا تقل أمير المؤمنين، فإني لست اليوم للمؤمنين أميرًا، وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه، فسلم واستأذن، ثم دخل عليها، فوجدها قاعدة تبكي، فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام، ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه، فقالت: كنت أريده لنفسي، ولأوثرن به اليوم على نفسي، فلما أقبل، قيل: هذا عبد الله بن عمر، قد جاء، قال: ارفعوني، فأسنده رجل إليه، فقال: ما لديك؟ قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين أذنت، قال: الحمد لله، ما كان من شيء أهم إلي من ذلك، فإذا أنا قضيت فاحملوني، ثم سلم، فقل: يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لي فأدخلوني، وإن ردتني ردوني إلى مقابر المسلمين»[١].

- موقفهم من صلة أم المؤمنين عائشة بعثمان بن عفان - رضي الله عنهما -:

كانت خلافة عثمان بن عفان ﷺ أطول مدة زمنية بين الخلفاء الراشدين الثلاثة، وكانت مليئة بالفتوحات الإسلامية، والإنجازات الحضارية، وكذلك الأحداث السياسية المهمة في تاريخ المسلمين، ولهذا كتب كثير من المؤرخين في هذا المجال وتعثرت بعض أقلامهم في الضلال والزيغ عن الحق.

ولهذا تلقف المستشرقون هذه الكتابات بصدر رحب وكتبوا عن صلة وعلاقة أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - بالخليفة الراشد عثمان بن عفان ﷺ وتمثلت هذه الصلة في توليه الخلافة وفي فتنة مقتله رضي الله عنه.

يقول المستشرق بودلي: «لقد ارتكب عثمان بن عفان خطأ بتحديه عائشة كانت الحادثة طفيفة في حد ذاتها، ولكنها كانت من النوع الذي يثير جميع غرائز الحقد في عائشة فإن عثمان قد خفض عطاءها حتى أصبح يساوي عطاء زوجات النبي الأخريات»[٢].

---

(١) صحيح البخاري، ح ٣٧٠٠، كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان ٥/ ١٦.

(٢) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٤٢٠.

وهنا يزعم المستشرق بودلي بأن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – اتخذت موقفًا سلبيًا من الخليفة عثمان بن عفان ﵁ بعد أن ساوى عطاءها مع عطاء غيرها من أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن –، وقد أوردت بعض المصادر الغير موثوقة بأن عثمان بن عفان ﵁ قد أنقص أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – حقها في العطاء الذي تحصل عليه خلال خلافة عمر بن الخطاب حيث أصبحت متساوية مع باقي نساء النبي ﷺ في العطاء(١).

وهذا الادعاء لا يمكن أن يثبت أمام أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – حيث إنها لفظت الدنيا بما فيها واختارت الآخرة ونعيمها وذلك حين خيرها رسول الله ﷺ قال الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢٨، ٢٩].

كما أنه في زمن الخليفة عثمان بن عفان ﵁ أصبحت الدولة الإسلامية في سعة رزق ورغد عيش، وعم الخير وكثرت الأموال في أيدي الناس حيث وسع عليهم الخليفة عثمان بن عفان ﵁ في القوت والكسوة(٢).

ويتحدث المستشرق كلود كاهن(٣) عن فتنة مقتل عثمان ﵁ ويدعي أن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – من أكبر الخصوم فيقول: «تعرض عثمان لتهمة محاباة أقربائه كما تعرض لمناهضة متزايدة من قبل أولئك الخصوم، وهي زوجة الرسول التي ما زالت آنئذ في ريعان شبابها»(٤).

ويتبع المستشرق بودلي قائلًا عن عائشة – رضي الله عنها –: «لما هاجمها عثمان هجومه غير المباشر قررت عائشة أنه لا يستحق أن يكون خليفة لزوجها، فما إن قررت ذلك حتى لم

---

(١) انظر: تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، ١/ ١٧٦.

(٢) انظر: الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ٣/ ٢٢٦.

(٣) كاهن كلود مستشرق فرنسي متخصص بتاريخ الشرق الأدنى في عهد الحروب الصليبية من آثاره الإسلامية، أسهم في كتابة دائرة المعارف الإسلامية، انظر: موسوعة المستشرقين، مرجع سابق، ص: ٤٦٠.

(٤) موقف المستشرقين من الصحابة، مرجع سابق، ص: ٤١٦.

يبق إلا أن تجد أفضل طريقة لتتخلص من العدو، إن الاتهام أو الوسائل المستعملة ما كان لها من أثر في الموقف، فإن عائشة إذا ما شاءت فعل شيء فإنها تفعله دون اعتبار لفلسفة السلوك والآداب، وقد أمد عثمان عائشة بكل معاونة في هذه القضية.

وكانت المحاباة أخذة في الذيوع يومًا عن يوم، فكان يضحى يوميًا بصحاب محمد والمقاتلين القدماء والقضاة إرضاء لبعض نزوات الخليفة، فلم تدع عائشة شاردة ولا واردة من سياستها المذبذبة إلا احصتها وعرضتها على كبار الصحابة ولم تدع سانحة تثير الاستياء المتزايد إلا اهتبلتها.

إن قصة تقلبات عثمان وبغيه ودسائس عائشة طويلة جدًا، فلن نقص نبأها وسارت الأمور حتى وجد المسلمون أنفسهم يحقدون على مسلك عثمان فطلبوا خلعه فرفض عثمان ذلك فثارت ثائرة الناس وفي زمن قصير وجد الخليفة نفسه محاصرًا في داره، فانقلب الجو من جو التماس إلى جو وعيد.

انزعج عثمان فبعث رسالة إلى عائشة يطلب منها التدخل في الصلح فردت عائشة عليه بأنها آسفة لما حدث ولكنها مشغولة، فإنها تتأهب للحج وقبل أن يتمكن عثمان من أن يكتب لها ثانية خرجت فعلًا للحج، وقبل أن تبتعد كثيرًا بلغها أن الأمور أصبحت في أيدي أهل المدينة وأنهم قتلوا عثمان خليفتهم، وزيادة على ذلك فقد كان حقدهم على مسلكه عظيمًا حتى أنهم لم يشيعوه ودفن جثمانه في المقابر العامة.

«كانت أفعال عائشة بعد ذلك غير منتظرة فإنها لعنت قتلة عثمان ودعت الأمويين إلى الثأر لعثمان وفي أيام قليلة من موت رجل حرضت على قتله بطريقة غير مباشرة استغلت هذا الموت لتبذر حروب أهلية»[١].

ويدعي بروكلمان أن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – من أكبر المحرضين على مقتل عثمان بن عفان ﷺ حيث يقول: «وماهي إلا فترة قصيرة حتى وجد عثمان نفسه في المدينة وليس حوله إلا نفر من الأصدقاء، وخاصة بعد أن وقفت عائشة أم المؤمنين أرملة النبي الشابة

(١) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٤٢١، ٤٢٢، ١٢٠.

المحبة للفتنة في جانب خصومه كذلك استطاع أعداء الخليفة أن يستثيروا العرب في الولايات فانقلبوا على عثمان»(١).

«وعندما حوصر عثمان في بيته لم يكن هناك من يدافع عنه إلا نفر قليل من أنسابه وبعض... ... ...، وأما المحرضون الفعليون على الثورة... ... ...، وأما عائشة الداهية فتركت المدينة تحت ستار الحج إلى مكة لكي لا تشهد الوقائع في ما بعد»(٢).

وفي موجز دائرة المعارف كتبوا عن موقف عائشة – رضي الله عنها – من الخليفة عثمان ﷺ فقالوا: «قد أعلنت عائشة صراحتها في معارضتها لمقتل عثمان، ومع ذلك فإنها تركت المدينة إلى مكة قاصدة الحج، وقد رويت عدة بواعث لخروجها من المدينة إلى مكة في هذه الأزمة، ولعل أهمها هو رغبتها في أن تساعد في مكة على تنظيم جماعة القوم الذين كانوا يرون رأيها»(٣).

وكل هذا من البهتان العظيم على أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – إذ لا دليل عليه، وهو محاولة جادة من المستشرقين لتشويه سيرة أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها –، وحتى يقضون على القدوات والعظماء الذين يعتز المسلمون بهم وبتاريخهم، وبجهادهم في سبيل الله والدعوة إلى دينه.

– موقفهم من صلة أم المؤمنين عائشة بعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما:

الخليفة الرابع من الخلفاء الراشدون، ابن عم رسول الله ﷺ وصهره من آل بيته وثالث الناس دخولًا في الإسلام وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، نام في فراش رسول الله ﷺ ليلة الهجرة.

ولهذه الصفات والمناقب دون المستشرقون عنه وعن علاقة أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – به وأوردوا عدة مواقف وأراء تمثلت في بيعته وتوليه الخلافة.

---

(١) تاريخ الشعوب الإسلامية، مرجع سابق، ص: ١١١.

(٢) تاريخ الشعوب الإسلامية، مرجع سابق، ص: ١١٤.

(٣) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ٧٠٣٩.

يقول المستشرق بودلي: «لم يكن علي رجل نساء وكان محاربًا مسلمًا لا يعتقد في جميع هؤلاء النسوة التي يخلطن حياتهن بحياة القائد الأعلى له، وكان يعكس كره فاطمة لزوجة أبيها الشابة فأجاب على استشارة محمد بأن جميع النساء سواء، وأن عائشة لا تختلف عن الأخريات، وقد بلغ هذا القول عائشة فلم تنسه أبدًا فلما بويع لعلي بالخلافة بعد ثلاثين سنة عارضته بشدة حتى إنها أثارت حربًا أهلية دموية بين المسلمين، ولازال ترجيع هذه الملاحظة والغضبة التي أثارتها عائشة ظاهرة حتى اليوم في بعض الشقاق الإسلامي»[١].

يرى المستشرق بودلي أن علي بن أبي طالب كان يكره أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - مؤازرة لزوجته فاطمة - رضي الله عنها - التي كانت تغار من زوجة أبيها المفضلة عائشة - رضي الله عنها -، فلما وقعت حادثة الإفك استغل علي بن أبي طالب هذا الموقف وأشار على النبي ﷺ أن يفارقها بقوله إن النساء سواء، ثم إن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - لم تصفح عن هذا الموقف من علي وعارضته في شأن الخلافة.

وهذا إفك وبهتان باطل على علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - فلم يكن علي بن أبي طالب يكره أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - وإنما أجب رسول الله ﷺ حسبما يراه وقد تقدم الكلام عن هذا في الفصل السابق في حادثة الإفك.

ويؤكد المستشرق إميل درمنغم غيرة فاطمة من زوجه أبيها المفضلة وكره علي بن أبي طالب لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما برواية من نسج الخيال حيث يقول: «... ... ... فلم تلبث عائشة أن أسكتت أم سلمة المخزومية وشتمت فيما قالته، ما يحاك في منزلة فاطمة وعلي الذي مازال النبي يراعيه.

فأسرعت أم سلمة إلى ابنة النبي وصهره تخبرهما بما قالته عائشة فيهما فأرسل علي زوجته فاطمة لتحتج فقال النبي ﷺ «ورب الكعبة إن عائشة زوجة أبيك المفضلة». فلما رأى علي تلك الجرأة حضر فقال بمرارة: ألا يكفينا سب عائشة إيانا فتقول أمام فاطمة إنها زوجتك

---

(١) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٢٦٦،

المفضلة. هنالك أراد النبي أن يحول دون تكرر ذلك العتاب فسد الباب الذي يصل منزله بمنزل ابنته»[١].

ويكاد يتفق المستشرقون على أن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – كانت تكره علي بن أبي طالب ﷺ وتخالفه وتعارضه في تولي الخلافة ويرجعون السبب إلى رأيه وموقفه في حادثة الإفك.

يقول المستشرق سفاري: «وكان محمد قد استشار عليًا في هذا الموضوع الدقيق، فأشار عليه بأن يسأل خادمتها، ولم تنس عائشة لعلي هذه المشورة، وفيما بعد كان لدسائسها دور كبير في إبعاده عن الخلافة»[٢].

ويقول المستشرق جون جلوب: «ويقال أن عليًا (في حادثة الإفك) اقتراح على محمد أن يستخلف عائشة قائلًا له إن النساء كثير، وبعد شهر من القلق نزل الوحي ببراءة عائشة وعاد الانسجام إلى صفوف المسلمين، لكن موقف علي أحدث جفاء بينه وبين عائشة قدر له أن يترك آثارا مفجعة بعد وفاة الرسول ﷺ»[٣].

ويشاركهما المستشرق إرفنج بقوله: «وبرغم أن عليًا قد اقتنع ببراءة عائشة بعد نزول الوحي، فإن عائشة لم تسامحه أبدًا على شكه فيها بل وقفت عائشة من علي موقف عداء في كثير من المواقف الهامة بعد وفاة الرسول»[٤].

ويصور المستشرق بودلي موقف أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – من علي بن أبي طالب ﷺ عندما بويع للخلافة فيقول: وفي السنة الخامسة والثلاثين من الهجرة نصب الخليفة الرابع للإسلام، ساء النبأ عائشة كثيرًا، فإنها لم تنس أبدًا ولم تصفح عن موقف علي من حديث الإفك، وكانت دائمًا غيورًا من نظرة محمد إليه كرجل وكزوج ابنته، وإنها ما كانت قادرة على أن

(١) حياة محمد، مرجع سابق، ص: ٣٢٥.

(٢) السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون، مرجع سابق، ص: ١٥٢.

(٣) الفتوحات الكبرى، مرجع سابق، ص: ١١٩.

(٤) حياة محمد، مرجع سابق، ص: ١٧٢، ومحمد وخلفاؤه، مرجع سابق، ص: ٢٧٨.

تقبل أن يكون أمير المسلمين، لذلك عزمت على أن تزيحه من طريقها بأية طريقة كانت، وقد كان علي كما كان عثمان ألعوبة في يدي عائشة[١].

ويفتري المستشرق بودلي بذكر موقف أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – حين بلغها خبر وفاته ﷺ فيقول: «وقد بلغ نبأ مقتل عليّ المدينة في أوائل عام ٦٦١ فهز النبأ الناس فإن عليًا كان الحلقة الأخيرة التي تذكرهم بالأيام العظام أيام كان محمد حيًا، وكان رد فعل هذا النبأ بالنسبة لعائشة غير متوقع كما هي العادة ومهما كان إحساسها الشخصي بالنسبة لموت عدوها فإنها قد أمرت بجمع الناس في الصباح فاجتمع المدنيون الحريم وقامت على قبر النبي ورثت الخليفة المقتول وعددت أفعاله المجيدة للإسلام، وبدأ كأنما معارك أخرى بين المسلمين وشيكة الوقوع، ولكن تفكير عائشة غالبًا ما يقود إلى المفاجآت، ففي أيام قليلة من مرثيتها بايعت معاوية ليكون خليفة المسلمين وبذلك انزاح من طريقه العقبة الوحيدة التي كانت تعترض بسط سلطانه على المسلمين أجمعين، وقد كان ذلك في صالح عائشة ولاريب فقد تخلصت من الرجلين اللذين أساء إليها»[٢].

وكل هذه الأقوال إنما هي سلسة من بغض وحقد المستشرقين على عائشة – رضي الله عنها – الصديقة بنت الصديق زوج رسول الله وأحب نسائه إليه، لذلك سعى الأعداء للنيل من الرسول ﷺ بتشويه سيرة زوجه عائشة – رضي الله عنها –، ومحاولة منهم لإدخالها في جميع عهود الخلفاء الراشدين الأربعة، حيث يظهرونها بصورة الماكرة والحقود التي تدير المؤامرات والخطط للقضاء على خلافة عثمان وعلي رضي الله عنهم، وهي بريئة من ذلك[٣].

---

(١) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٤٢٢.

(٢) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٤٢٦، ٤٢٧.

(٣) انظر: موقف المستشرقين من الصحابة، مرجع سابق، ص: ٤٣٨.

المطلب الثاني

موقفهم من مشاركتها في سياسة أمر الخلافة

اجتمع الأنصار بعد وفاة محمد ﷺ في سقيفة بني ساعدة وتشاوروا في أمر الخلافة ومن يكون بعد رسول الله ﷺ وكان ذلك قبل دفن النبي ﷺ خشية الوقوع في الفتنة، وبينما هم كذلك وقبل البيعة التحق المهاجرون بالأنصار ودارت المناقشات بينهما على من له الحق في تولي الخلافة بعد رسول الله ﷺ، وغلب المهاجرون الأنصار بسلطان النص الشرعي، وانتهى الأمر بمبايعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

روى الإمام البخاري في صحيحه بسنده عن عائشة – رضي الله عنها – في حديث طويل وفيه: «اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة، فقالوا: منا أمير ومنكم أمير، فذهب إليهم أبو بكر، وعمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح، فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلا أني قد هيأت كلاما قد أعجبني، خشيت أن لا يبلغه أبو بكر، ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس، فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، فقال حباب بن المنذر: لا والله لا نفعل، منا أمير، ومنكم أمير، فقال أبو بكر: لا، ولكنا الأمراء، وأنتم الوزراء، هم أوسط العرب دارا، وأعربهم أحسابا، فبايعوا عمر، أو أبا عبيدة بن الجراح، فقال عمر: بل نبايعك أنت، فأنت سيدنا، وخيرنا، وأحبنا إلى رسول الله ﷺ، فأخذ عمر بيده فبايعه، وبايعه الناس، فقال قائل: قتلتم سعد بن عبادة، فقال عمر قتله الله»[1].

ولما وقع هذا الحدث للمسلمين بعد وفاة رسول الله ﷺ التقمه المستشرقون واعتنوا به حيث ساهموا في الكتابة عنه واعتبروه مدخلًا يلجون منه للطعن في قامات الصحابة الكبار وأمهات المؤمنين – رضي الله عنهن – وأم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – على وجه الخصوص.

---

(١) صحيح البخاري، ح ٣٦٦٨، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: لو كنت متخذًا خليلًا ٥/ ٧.

وزعموا أن لأم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنها - يدًا في شأن الخلافة بعد وفاة رسول الله ﷺ وأن أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب - رضي الله عنها - ساعدتها على ذلك.

وانقسموا في هذا إلى قسمين:

الأول: يرى أن النبي ﷺ عين علي بن أبي طالب خليفة من بعده، لكن بسبب دسائس عائشة ومعاونة حفصة رضي الله عنهما اغتصبت الخلافة لأبي بكر ثم لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

يقول المستشرق سفاري: «وبعد أن هدأ الناس اتخذت الترتيبات لانتخاب من يخلفه ﷺ وهنا وقعت مناقشات عنيفة بين الأطراف، وكان عليّ بن أبي طالب الذي عينه محمد بنفسه خليفة، وهو زوج ابنته وابن عمه أحق من غيره بهذا الشرف العظيم، ولكن شبابه ودسائس عائشة أدت إلى استبعاده، وتغلب أبو بكر وبويع خليفة، واعترف المسلمون بخلافته وبايعوه على السمع والطاعة.»(١)

وفي موجز دائرة المعارف كتب المستشرقون فقالوا: «في مرض النبي ﷺ الأخير تذكر الأحاديث المحاولات التي بذلتها عائشة وحفصة لتدبير أن يقع حديث خاص بين النبي ﷺ وبين أبويهما قبل وفاته مع استبعاد أصحابه الآخرين وعليّ بخاصة وهذا أمر محتمل بالتأكيد رغم أن هذه الأحاديث تناقضها أحاديث أخرى فيما يتعلق بالأشخاص الذين دعاهم النبي ﷺ ليكونوا بجواره، ويستحيل علينا القول أي هذه الأحاديث أقرب للصحة وتذكر بعض الأحاديث أن النبي ﷺ أرسل حفصة إلى أبي بكر ليؤم الناس في الصلاة في أثناء مرضه، ويقال إن حفصة اقترحت على النبي بناء على نصحية عائشة أن يكلف عمرًا بهذا الأمر بدلًا من أبي بكر نظرًا لضعف صحته الشديد وأن صوته قد تخنقه العبرات ويبدو غريبًا أن تصدر هذه النصيحة من عائشة، على أنه قد أشير إلى أن من اختير لإمامة الناس في الصلاة لابد من أن

---

(١) السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون، مرجع سابق، ص: ٢٤٢.

يحس بالضر أكثر من إحساسه بما يصيبه من فضل بخلاف النبي ﷺ في وقت لم يكن فيه لهذه المهمة أي مغزى سياسي بعد»[١].

وفي هذا النص حرف المستشرقون بالسنة وأبدلوا في السيرة حسبما اشتهت أنفسهم ومزجوا جزءً من السنة بأقوالهم وأكاذيبهم، ليظهروا أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - بالجانب السيئ وذلك في قولهم: «تذكر الأحاديث المحاولات التي بذلتها عائشة... ... ... وقولهم «ويبدو غريبًا أن تصدر هذه النصيحة من عائشة».

والصحيح في هذا ما أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - ، أنها قالت: «إن رسول الله ﷺ قال في مرضه: مروا أبا بكر يصلي بالناس. قالت عائشة: قلت إن أبا بكر إذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكاء، فمر عمر فليصل للناس، فقالت عائشة: فقلت لحفصة: قولي له: إن أبا بكر إذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكاء، فمر عمر فليصل للناس، ففعلت حفصة، فقال رسول الله ﷺ: «مه إنكن لأنتن صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصل للناس» فقالت حفصة لعائشة: ما كنت لأصيب منك خيرًا»[٢].

ويتحدث المستشرق إميل درمنغم فيقول: «وهل كان أبو بكر وعمر يتطلعان إلى خلافة صهرهما النبي؟ لقد قيل إنهما كانا متفقين مع أبي عبيدة على نيل خلافته بالتناوب بعد وفاته فوفقوا لذلك، وكان لأبي بكر وعمر بابنتيهما عائشة وحفصة المعين على موازنة نفوذ فاطمة وعلي[٣].

ويقول أيضًا: «وعملت عائشة وحفصة على أن ينيب عنه فيها أبا بكر أو عمر فأرسل أبا بكر، ثم ساوره القلق ثم تحسن قليلًا فاستطاع أن يتوضأ مالكًا حواسه وأن يخرج إلى المسجد

(١) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ٤٠٧٨.

(٢) أخرجه البخاري، ح ٦٧٩، كتاب الأذان، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة ١/ ١٣٦ رقم الحديث ، صحيح مسلم، ح ٤١٨، كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عارض ١/ ٣١٣.

(٣) حياة محمد، مرجع سابق، ص: ٣٢٤.

معتمدًا على علي بن أبي طالب والفضل بن العباس ومن هنا ترى هذين الهاشميين قد حضرا ليوازنا نفوذ عائشة وحفصة»(١).

وهذا القول فيه ادعاء وبهتان على الصحابة رضي الله عنهم بأنهم متفقون على أمر الخلافة بالتناوب فيما بينهم إذ لم يدل دليل عليه، ولم يرد في كتب السيرة والتراجم والتاريخ ما يؤكده.

ويقول المستشرق بودلي: «كان هناك أربع طلاب للخلافة، هم على ابن محمد المتبنى وابن عمه وزوج ابنته، ثم الزبير وطلحة قريبًا من عائشة وكانت سندهما، وأخيرًا معاوية»(٢).

ويزعم بودلي أن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – تأسفت وندمت على مشاركتها في سياسة الخلافة فأصبحت تبذل الخير للناس حتى يغفل الناس عما فعلت، حيث يقول: «كانت عائشة تود أن ينسى الناس أيام أن اشتركت في السياسة فراحت تعطف على قومها وتعاونهم بالإحسان والنصيحة، وما كانت نصائحها دائمًا ذات طبيعة روحية فكان بعضها نصائح مالية وتجارية»(٣).

وبعد عرض هذه الأقوال نجد أن المستشرقين يرون أن الخلافة حق لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، لكن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – انتزعتها منه ووهبتها لأبيها أبي بكر الصديق بعد عدة مؤامرات دبرتها هي وحفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهم وهذا رأي متأثر بالرافضة وعاريً من الصحة، حيث إن النبي ﷺ توفي ولم ينص على من يلي الخلافة من بعده، وإنما تمت البيعة باتفاق الصحابة رضي الله عنهم.

---

(١) حياة محمد، مرجع سابق، ص: ٣٨٠.

(٢) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٤٢٢.

(٣) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٤٢٨.

فعن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما –، قال: قيل لعمر ألا تستخلف؟ قال: «إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني أبو بكر، وإن أترك فقد ترك من هو خير مني، رسول الله ﷺ»[١].

كما أن عائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر وفاطمة – رضي الله عنهن – أجمعين لم يكن لهن دور في اختيار الخليفة ومن يكون بعد وفاة النبي ﷺ[٢].

الثاني: يرى أن النبي ﷺ لم يعين أحدًا من بعده لكن هناك اتفاق مسبق من أبي بكر وعمر وابنتيهما وأبي عبيدة – رضي الله عنهم –، وكان لأم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – النصيب الأكبر في تهيئة أمر الخلافة لأبيها.

حيث زعم المستشرق لامانس أن عائشة كانت تناصر ما سماه الحكومة الثلاثية بين أبي بكر وعمر وأبي عبيدة إذ اتفقوا على تولية الخلافة بالترتيب السابق، وأن عائشة كانت تهيئ الجو لنجاح ذلك الاتفاق في منزل الرسول ﷺ وكان اتفاق الثلاثة في عهد النبي ﷺ، وقد عملوا لذلك: ففسخ أبو بكر خطبة عائشة لجبير بن مطعم ليزوجها الرسول بالرغم من امتناعها واشمئزازها لتكون أكبر معين له على تحقيق أطماعه، وزعم أن عائشة وحفصة بالرغم مما بينهما من تباغض لم يختلفا في أداء ما يجب لتحقيق هذا المطمع، مما أدى إلى وقوف معظم زوجات النبي ﷺ ضد حزب عائشة وحفصة وقد كان محمد عاطفيًا، ولاسيما بعد أن كبر ورق عوده فكان لعائشة سلطان كبير عليه[٣].

ويقول: «حزب الثالوث المؤلف من عائشة وحفصة الدساستين المخوفتين»[٤].

وهذا الرأي رأى باطل ولا أصل له من الصحة بشيء إذا لم يكن هناك اتفاق مسبق بين الصحابة رضي الله عنهم ولم يكن لأم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – دور في هذا ومما يدل

---

(١) صحيح البخاري، ح ٧٢١٨، كتاب الصلاة، باب الاستخلاف ٩/ ٨١، صحيح مسلم، ح ١٨٢٣، باب الاستخلاف وتركه ٣/ ١٤٥٤.

(٢) انظر: موقف المستشرقين من الصحابة، مرجع سابق، ص: ٣٤٣.

(٣) السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون، مرجع سابق، ص: ١١٨.

(٤) محمد رسول الله، مرجع سابق، ص: ٥٤.

على بطلان هذا القول مناقضة المستشرق نفسه بنفسه حيث يقول في موجز دائرة المعارف: «كانت بين زوجات النبي ﷺ فيما يبدو حزبان أحدهما تقوده عائشة وحفصة بنت عمر وينتصر لسياسة أبويهما والأخر تقوده أم سلمة من قبيلة مخزوم والراجح أن التنافس بين هذين الحزبين لم يكن له في السياسة إلا أثر ضئيل»[١].

---

(١) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ٧٠٣٩.

المطلب الثالث

موقفهم من وقعة الجمل

اهتم المستشرقون بالحروب والخلافات التي وقعت بين الصحابة رضي الله عنهم اهتمامًا بالغًا، وذلك باعتبارها جزءًا من التاريخ الإسلامي، وباعتبارها مسلكًا للطعن والخوض في الصحابة وأمهات المؤمنين رضي الله عنهم أجمعين.

ولما كانت كتب التاريخ والسير مشحونة بكثير من الأخبار المكذوبة والتي تحط من قدر الصحابة الأخيار رضي الله عنهم، وتصوير ما جرى بينهم على أنه نزاع شخصي أو دنيوي حيث كانت أغلب الروايات في وقعة الجمل روايات مغلوطة لم تنقل إلينا نقلًا أمينًا خاليًا من الأهواء.

لهذا تلقف المستشرقون هذه الكتابات المكذوبة والمغلوطة وأبدلوا وحرفوا فيها حسب ما أملت عليهم أنفسهم وشهواتهم.

ومن أهم كتاباتهم في وقعة الجمل ما جاء في موجز دائرة المعارف حيث كتبوا: «اسم معركة الجمل المشهورة التي وقعت في جماد الأخر سنة ٣٦ للهجرة بالقرب من البصرة، كانت بين الخليفة علي بن أبي طالب والسيدة عائشة زوجة النبي ﷺ وصاحبيه طلحة بن عبيد الله التميمي والزبير بن العوام، وكان هذان الصحابيان في ذلك الوقت أوسع المسلمين نفوذاً بعد علي.

وكانت عائشة تتم العمرة في مكة عندما علمت باغتيال الخليفة عثمان ابن عفان، كما علمت في عودتها من مكة إلى المدينة بمبايعة علي بن أبي طالب بالخلافة وقيام الشغب في المدينة الذى أدى إلى اضطراب حبل الأمن فيها، وهنالك عادت عائشة أدراجها دون أن تفصح عن نواياها، ولما بلغت مكة ألقت بحديث ملتهب بالقرب من الكعبة تتهم فيه الغوغاء بمقتل عثمان وتطالب بدم المجرمين قائلة إن عثمان قتل مظلومًا، وكانت بقولها هذا تشير إلى آية من القرآن في سورة الإسراء آية ٣٣ ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ ﴾ توسل

بها من بعد معاوية بن أبي سفيان، ونصت هذه الآية على القصاص فرضًا واجبًا في مثل هذه الحالة وبذلك قررت هذه الآية حدًا، وكانت عائشة من معارضي عثمان وقد اتخذ هذا حجة عليها لنقض حقها في الاحتجاج، ولكنها لم تكن لتفصح عن مقتله وأدلت في هذا الأمر بملاحظات مشهودة.

ثم هي لم تستطع أن تحتمل بصفة خاصة أن يستغل عليّ بن أبي طالب الذي كانت تكن له منذ مدة طويلة عداوة فرصة قتل عثمان، وقد حدث بعد ذلك ببضعة أشهر، أربعة أشهر فيما يقال بعد مصرع عثمان إلى أن وصل طلحة والزبير إلى مكة وقامت مناقشات حادة بينهما وبين عليّ الذي أبى أن يقيمهما في مناصب في الحكومة، طلبا على إثرها الإذن منه بالمضي إلى مكة لأداء العمرة فسمح لهما بذلك، ودُبرت مؤامرة على عليّ اشتركا فيها علاوة على ما اسلفنا بعض الأمويين وغيرهم من المسلمين الذين راعهم ما انقلبت إليه الحوادث، صحيح أن اغتيال عثمان كان فضيحة ولكن الأسباب الحقيقية للفتنة كانت فوق كل شيء هي موقف عليّ بن أبي طالب المتساهل مع المجرمين مما أشار إلى أنهم سوف يذهبون بلا عقاب.»[١]

«وافقت عائشة على الانضمام إلى هذه الحملة، وقدر لها أن تثير الجماهير لأن طلحة والزبير لم يكونا فيما يظهر مؤهلين كل التأهيل للقيام بهذا الدور ذلك أنهما لم يكونا قد أمعنا في أثارة الرأي العام على عثمان حتى أصبح من الممكن اتهامهما بقتل عثمان، بل هما قد بايعا علياً أيضًا بعد انتخابه خليفة مباشرة، ومن ثم فإنهما بانتفاضهما عليه كان ينفضان عهدهما فيقتضيهما الأمر أن يدعيا تبريرًا لموقفهما أنهما كانا قد أجبرا إجبارًا على مبايعته»[٢].

«وجمع الثوار عدة مئات من الرجال وخرجوا للقتال وسمع بذلك عليّ بن أبي طالب فأدرك أن الأمر يقتضي التحرك حتى لا ينعزل في المدينة وجيش في بطء ومشقة جيشًا من سبعمائة مقاتل ثم خرج للقتال، وكان غرضه أن يقطع الطريق على المتمردين، ولكنه لم ينجح في بلوغهم، وعلم وهو في الربذة أنهم كانوا قد مروا بالفعل من هذه المحطة، وأحس هو الأخر

(١) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ٣٢٠٣.

(٢) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ٣٢٠٤.

بحاجته للمال والجنود فسار مرة أخرى في اتجاه العراق، وكان المتمردون في هذه الأثناء يهرعون إلى البصرة فلما بلغوا مكانًا يعرف باسم الحوأب نبحت الكلاب على الجند وأوشكت عائشة أن تتخلى عن هذه المغامرة، ذلك أنها تذكرت ضربًا من النذير كان قد أوجس به النبي ﷺ، ولكن المتمردين أقسموا لها بأن هذا المكان ليس هو الحوأب فلما أطمان بالها مضت في سبيلها».

«وبعثت عائشة بمبعوث ورسائل إلى بعض وجهاء البصرة محاولة إقناع البصريين بالانضمام إلى الفتنة التي كان غرضها -كما قالت - الإصلاح وكانت هذه الكلمة تتضمن عند المنتفضين عودة الشريعة والحدود إلى نصابهما والثأر لعثمان»[١].

ويدعون أن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – هي المدبرة في هذه الفتنة وذلك بقولهم: «كانت عائشة هي الشخصية البارزة في فتنة الجمل، وقد ظهرت في ذلك نشطة مصممة فيما عدا لحظة بدا ترددها عند الحوأب على بلوغ غرضها كما أن قرارتها كانت تحترم على حين أن طلحة والزبير اللذين ائتمرا بأمرها كانا يتشاجران فيما بينهما متعللين بأسباب واهية قوامها أنهما يدفعان عنهما تهمة الإخلال بمعدهما لعلي، وينسحبان من المعركة بدلا من أن يقاتلا حتى الموت فظهرا في ذلك بمظهر الرجال الذين تحركهم الأطماع ويفتقدون في الوقت نفسه العزيمة والثبات المؤديين إلى النجاح»[٢].

وفي نهاية رواية واقعة الجمل افتروا على أم المؤمنين عائشة فقالوا: «أسرت عائشة، ولكنها لم يسأ إليها بحال بل عوملت باحترام كبير، على أن عليًا قرر أن تعود إلى المدينة ولم يقبل في ذلك أية مراجعة»[٣].

وأتبعوا بقولهم: «وعاشت عائشة بعد هذه الهزيمة حياة هادئة في المدينة أكثر من عشرين سنة ولم تشارك في السياسة بعد مشاركة فعالة، ذلك أنها تصالحت مع عليّ ولم تعارض معاوية، ومع ذلك فقد ظل اعتراضهما أو موافقتهما على الأمور له بعض الوزن»[١].

---

(١) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ٣٢٠٤، ٣٢٠٥.

(٢) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ٣٢٠٩.

(٣) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ٣٢٠٨.

ويتحدث المستشرق بودلي عن وقعة الجمل فيقول: «لم يبد علي بن أبي طالب أي ميل لمعاقبة عثمان، فاستغلت عائشة مباشرة هذه الأخطاء لتنال من الخليفة الجديد وقالت إن لعليّ ضلعًا في مقتل عثمان، وقد سندها في ذلك معاوية لأنه شيخ الأمويين يمثل المطالبين بدم عثمان ولأنه كان يطمع بالخلافة، وإن ما تبع ذلك كان كقصة خيالية لا تحاكيها أية قصة خرافية خرجت من بلاد العرب.

كونت عائشة بمعاونة طلحة والزبير جيشًا في مكة وانطلقت إلى البصرة عند تلاقي الدجلة والفرات كانت البصرة معقلًا قويًا وكانت منقسمة في ولائها لعلي، وإن عون أهلها سيشد من أزر عائشة على المدينة وقد تبع وصول عائشة فترة دسائس نسوية عاونت على استيلاء عائشة على المدينة وقد كره عليّ أن يستعمل القوة في ذلك الوقت كرهًا شديدًا ضد زوجة الرسول الأثيرة عنده، ولكنه ما كان بمستطيع أن يسمح بتمرد سافر فخرج إلى البصرة وحاول أن ينهي الأمر بحنكة وسياسة وكان في كلا المعسكرين كثير من المتهورين ورجال كثيرون يحبون المغامرة، وقليلون ممن كانوا يهدفون إلى الوحدة الإسلامية التي غرسها محمد، وقد دفعت بعض المناوشات في غفلة من القوم وأدت إلى اشتباك الجيشين في قتال.

قادت عائشة جيشها بنفسها فدخلت في هودج أحمر، وقد ستر الهودج بالدروع وشد إلى ظهر جملها كانت الموقعة طويلة وشديدة وقاسية وكانت قيادة عليّ المتفوقة ترغم جنود عائشة على التقهقر المرة تلو المرة فكانوا يلمون شعثهم المرة بعد المرة على صوت قائدتهم، واشتدت المعركة حول جمل عائشة حتى أصبح الهودج الأحمر كالقنفذ من الرماح والسهام والحراب المغروسة فيه، وقد سقط المقاتلون مقاتلا بعد مقاتل عند أقدام الجمل، وقد جرحت عائشة جرحًا طفيفًا وأخيرًا جاء رجل فضرب الجمل على قوائمه فعقره، وكان ذلك علامة للهجوم العام لجيش عليّ، فانهزم رجال عائشة وتفاروا فلم يعد هناك من يشجع على القتال، ولم يبق إلا القليلون من بجوار قائدتهم وقد عاون هؤلاء الرجال أخاها محمد بن أبي بكر على حمل هودجها والدخول بها إلى المدينة، وقد تبعها عليّ وجنوده.

=

(١) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ٧٠٤٠.

ولما كان عليّ جنديًا باسلً بقدر ما كان حاكمًا فاشلًا كبح جماح جنده فلم تكن هناك مذابح ولم يستول الجنود على غنائم وأسلاب وذهب لزيارة عائشة كما كان يزورها في الأيام الخوالي في دور النبي الملتصقة بالمسجد فلم ترحب عائشة بالزيارة الكريمة واستقبلت عليًا في غطرسته وصمت وقد كان كل ما قالته» يا بن طالب ملكت فأسجح «فصفح عليّ وجهزها بجمال وحرس وأرسلها إلى مكة ثم إلى المدينة»[١].

ومن خلال هذه النصوص نجد أن المستشرقين افتروا وادعو على أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – وعلى الصحابة الكرام رضي الله عنهم، وأنقصوهم قدرهم وحطوا من مكانتهم، وصورهم بصورة الراغبين في الدنيا القاصدين لملذاتها.

فزعموا أن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – هي رأس الفتنة في وقعة الجمل، وأنها هي من ألبت على قتال عثمان ﷺ والتنازع الذي حصل، ثم حرضت على علي ﷺ وخرجت للمطالبة بدم عثمان ﷺ وذلك حين قالوا: «كانت عائشة هي الشخصية البارزة في فتنة الجمل... ... ...» وقول بودلي: «فاستغلت عائشة مباشرة هذه الأخطاء... ... ...» «وقد تبع وصول عائشة فترة دسائس نسوية عاونت على استيلاء عائشة على المدينة... ... ...» ووصفوا الصحابة رضوان الله عليهم بالمتهورين الداعين إلى النزاع والفرقة وذلك حينما وصفهم بودلي فقال: «وكان في كلا المعسكرين كثير من المتهورين... ... ...».

وتبين لنا أن هؤلاء المستشرقين نقلوا من تاريخ الطبري وغيره من كتب التاريخ غير الموثوقة وما جاء في تاريخ الطبري وغيره عن موقعة الجمل جاء عن رواة ترك العلماء الأخذ عنهم من أمثال أبي مخنف، وسيف بن عمر التميمي وغيرهما، وذلك لما نسب إليهما من الكذب والتشيع الرافضي، أو الضعف فتركوا الأخذ عنهما[٢]، ومع أخذهم وتلقفهم لهذه الروايات المغلوطة، إلا إنها أيضًا لم تسلم من التبديل والتحريف والتزييف والافتراء.

وأصل وقعة الجمل كما جاءت في الروايات الصحيحة بإيجاز «لما قتل عثمان بعد أيام التشريق، كان أزواج النبي ﷺ أمهات المؤمنين قد خرجن إلى الحج في هذا العام فرارا من الفتنة،

---

(١) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٢.

(٢) انظر: موقف المستشرقين من الصحابة، مرجع سابق، ص: ٤٤٥.

فلما بلغ الناس أن عثمان قد قتل أقمن بمكة بعد ما خرج الناس منها، وأصبح الناس يتجسسون الأخبار في مكة، فلما بويع لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، استأذن طلحة والزبير عليا ﷺ في الذهاب إلى مكة فأذن لهما، فالتقيا هناك بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما، واجتمعوا في مكة وعزموا على الأخذ بثأر عثمان، وخرجوا من مكة بمن تابعهم من المسلمين إلى البصرة يريدون قتلة عثمان، وذلك أنهم يرون أنهم قد قصروا في الدفاع عن عثمان رضي الله عنه، وكان علي ﷺ في المدينة، وكان عثمان بن حنيف ﷺ واليا على البصرة من قبل علي بن أبي طالب.

فلما وصلوا إلى البصرة أرسل إليهم عثمان بن حنيف: ماذا تريدون؟ قالوا: نريد قتلة عثمان فقال لهم: حتى يأتي علي، ومنعهم من الدخول.

ثم خرج إليهم جبلة، وهو أحد الذين شاركوا في قتل عثمان فقاتلهم في سبع مئة رجل فانتصروا عليه، وقتلوا كثيرا ممن كان معه، وانضم كثير من أهل البصرة إلى جيش طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم أجمعين.

وخرج علي ﷺ من المدينة إلى الكوفة وذلك لما سمع أنه وقع هناك قتال بين عثمان بن حنيف وهو والي علي على البصرة وبين طلحة والزبير وعائشة ومن معهم، فخرج علي ﷺ وجهز جيشا قوامه عشرة آلاف لمقاتلة طلحة والزبير.

وهنا يظهر لنا جليا أن علي بن أبي طالب هو الذي خرج إليهم ولم يخرجوا عليه، ولم يقصدوا قتاله كما تدعي بعض الطوائف ومن تأثر بهم، ولو كانوا يريدون الخروج على علي لذهبوا إلى المدينة مباشرة وليس إلى البصرة.

فطلحة، والزبير، وعائشة ومن كان معهم لم يحدث قط أنهم أبطلوا خلافة علي ولا طعنوا عليه ولا ذكروا فيه جرحا ولا بايعوا غيره ولا خرجوا لقتاله إلى البصرة فإنه لم يكن بالبصرة يومئذ.

وأرسل علي ﷺ المقداد بن الأسود والقعقاع بن عمرو ليتكلما مع طلحة والزبير، واتفق المقداد والقعقاع من جهة وطلحة والزبير من جهة أخرى على عدم القتال وبين كل فريق وجهة نظره، فطلحة، والزبير يريان أنه لا يجوز ترك قتلة عثمان، وعلي ﷺ يرى أنه ليس من المصلحة

تتبع قتلة عثمان الآن، بل حتى تستتب الأمور، فقتل قتلة عثمان متفق عليه، والاختلاف إنما هو في متى يكون ذلك.

وبعد الاتفاق نام الجيشان ليلة خير، وبات السبئية (وهم قتلة عثمان) بشر ليلة؛ لأنه تم الاتفاق عليهم؛ عند ذلك أجمع السبئيون رأيهم على أن لا يتم هذا الاتفاق، وفي السحر والقوم نائمون، هاجم مجموعة من السبئيين جيش طلحة والزبير وقتلوا بعض أفراد الجيش وفروا، فظن جيش طلحة أن جيش علي غدر بهم، فناوشوا جيش علي في الصباح، فظن جيش علي أن جيش طلحة والزبير قد غدر، فاستمرت المناوشات بين الفريقين حتى كانت الظهيرة فاشتعلت المعركة.

وحاول الكبار من الجيشين وقف القتال، ولكن لم يفلحوا، فكان طلحة يقول: يا أيها الناس أتنصتون؟ فأصبحوا لا ينصتونه فقال: أف أف فراش نار، وذبان طمع، وعلي يمنعهم ولا يردون عليه، وأرسلت عائشة كعب بن سور بالمصحف لوقف المعركة، فرشقه السبئيون بالنبال حتى أردوه قتيلا.

فأصبحوا عاجزين عن إطفاء الفتنة وكف أهلها فقتل كثير من المسلمين، وقتل طلحة والزبير، فأما الزبير فلم يشارك في هذه المعركة ولا طلحة، وذلك لما روي أن الزبير ﷺ لما جاء إلى المعركة لقي علي بن أبي طالب فقال له علي: أتذكر أن الرسول ﷺ قال: تقاتل عليا وأنت ظالم » فرجع الزبير في ذلك اليوم ولم يقاتل، وإنما قتل غدرا على يد رجل يقال له ابن جرموز.

وأما طلحة فقد قتل بسهم غرب بسهم غير مقصود فمات منه رضي الله عنه، وهو يحاول منع الناس من القتال ولما انتهت هذه المعركة وقتل الكثير خاصة في الدفاع عن جمل عائشة لأنها كانت تمثل رمزا لهم فكانوا يستبسلون في الدفاع عنها.

ولذلك بمجرد أن سقط الجمل هدأت المعركة وانتهت، وانتصر علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وإن كان الصحيح أنه لم ينتصر أحد، ولكن خسر الإسلام وخسر المسلمون في تلك

المعركة، ثم إن كل الصحابة الذين شاركوا في هذه المعركة ندموا على ما وقع، وأخذ علي ﷺ أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها –، وأرسلها معززة مكرمة إلى مدينة الرسول ﷺ»(١).

وأصح ما جاء في سبب مشاركة أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – في وقعة الجمل ما أخرجة الإمام أحمد في مسنده عن قيس بن حازم قال: «لما أقبلت عائشة بلغت مياه بني عامر ليلا نبحت الكلاب، قالت: أي ماء هذا؟ قالوا: ماء الحوأب قالت: ما أظنني إلا أني راجعة فقال بعض من كان معها: بل تقدمين فيراك المسلمون، فيصلح الله عز وجل ذات بينهم، قالت: إن رسول الله ﷺ قال لنا ذات يوم: «كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب؟»»(٢).

ويظهر من هذا الحديث أن خروجها – رضي الله عنها – كان من أجل الإصلاح بين الناس والتأليف فيما بينهم بعد أحداث فتنة مقتل عثمان ﷺ.

قال ابن تيمية رحمه الله عن وقعة الجمل وما حدث فيها من الاختلاف بين الصحابة رضي الله عنهم والاقتتال: «ولكن حرب الجمل جرى بغير اختياره ولا اختيارهم فإنهم كانوا قد اتفقوا على المصالحة وإقامة الحدود على قتله عثمان فتواطأت القتلة على إقامة الفتنة آخرا كما أقاموها أولا فحملوا على طلحة والزبير وأصحابهما فحملوا دفعا عنهم وأشعروا عليا أنهما حملا عليه فحمل على دفعا عن نفسه وكان كل منهما قصده دفع الصيال لا ابتداء القتال

هكذا ذكر غير واحد من أهل العلم بالسير فإن كان الأمر قد جرى على وجه لا ملام فيه فلا كلام وإن كان قد وقع خطأ أو ذنب من أحدهما أو كليهما فقد عرف أن هذا لا يمنع

---

(١) انظر: الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري ٢/ ٥٦٨، ط١،(١٤١٧هـ، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان). وانظر: البداية والنهاية، مرجع سابق، ٧/ ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١،(١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦ م، دار الفكر). حقبة من التاريخ، عثمان بن محمد الخميس، ط ٣، ص: ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، (مكتبة الإمام البخاري مصر–الإسماعيلية).

(٢) مسند أحمد، ح ٢٤٢٥٤، ٤٠/ ٢٩٩، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/ ٨٤٦: إسناده صحيح جدًا، ورجاله ثقات أثبات من رجال الستة: الشيخين والأربعة رواه السبعة من الثقات عن إسماعيل بن أبي خالد وهو ثقة ثبت كما في التقريب ١/ ٨٤٧، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين.

ما دل عليه الكتاب والسنة من أنهم من خيار أولياء الله المتقين وحزبه المفلحين وعباهة الصالحين وأنهم من أهل الجنة»[١].

وعلى هذا يجب الإمساك عما جرى بين أصحاب النبي ﷺ والترضي عنهم أجمعين، واعتقاد أنهم مجتهدون في طلب الحق، مريدون للخير والإصلاح بين المسلمين.

(١) منهاج السنة النبوية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ط١، ٦/ ٣٦٣، (مؤسسة قرطبة، ١٤٠٦هـ).

المطلب الرابع

موقفهم من صلتها ببقية الصحابة

اختص الله سبحانه وتعالى أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – بالفضل وعلو الشأن، وأجرى على يديها من الفضائل والخصال مالم يكن لغيرها، فقد ارتبط الصحابة الكرام بها ارتباط وثيقًا بعد وفاة نبيهم محمد ﷺ إذ هي حبيبته وزوجه وأقرب الناس إليه، وكانت علاقتهم بها علاقة الأم بأبنائها والمعلم بتلاميذه، حيث أصبحت حجرتها المباركة دارًا للفتيا ومرجعًا للسائل، ونبراسًا منيرًا لأهل العلم وطلابه.

وكان الصحابة الأكابر رضي الله عنهم يستفتونها فتفتيهم ويسألونها فتجيبهم، كما أنها تروي لهم أحاديث لم يعلموها، وتنقل لهم مواقف في بيته ﷺ لم يبصروها.

فعن أبي بردة بن أبي موسى(١)، عن أبيه قال: ما أشكل علينا أمر فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها فيه علما(٢).

ولهذا اهتم المستشرقون بتدوين ما جرى من مواقف وقعت بين أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – والصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم، وحاولوا أن يقدحوا في صلة وعلاقة أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – بالصحابة وظهرت كتاباتهم في علاقة وصلة عائشة بالصحابة رضي الله عنهم في حادثة الإفك، وعلاقة وصلة عائشة بالصحابة رضي الله عنهم بعد استشهاد عثمان بن عفان رضي الله عنه.

- صلة عائشة بالصحابة في حادثة الإفك.

يقول المستشرق بودلي في علاقة وصلة أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – بحسان بن ثابت رضي الله عنه: «كان حسان بن ثابت شاعر النبي ﷺ الذي ندين له كثيرًا بالأدب

---

(١) أبو بردة عامر بن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري، (ولد ... – توفي ١٠٣ هـ = ... – ٧٢١ م) إمام فقيه، ثبت قاضي الكوفة، كانت له مكارم ومآثر وأخبار انظر: الأعلام، مرجع سابق، ٣/ ٢٥٣.

(٢) الإصابة في تمييزأسماء الصحابة، مرجع سابق، ٨/ ٢٣٣.

المعاصر لهذه الحقبة وكان حسان صديقًا شخصيًا لمحمد، ولكنه لم يستطع أن يقاوم إغراء نظم الشعر اللاذع عن الحادثة، وقد كلفه ذلك أن ضربه صفوان والظاهر أنه كان يستحق ذلك[١].

وبعد أن نزول الآيات التي أوحيت إليه ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [النور: ٤] أمر النبي ﷺ بتنفيذ العقوبة التي شرعها الله في حسان بن ثابت وحمنة ومسطح وكانوا ممن أفصح بالفاحشة، ولم يحمل أحدًا منهم حقدًا بسبب ذلك ولم يتبدل إخلاص حسان لمحمد، وقد وضع شعرًا بعد ذلك يمتدح فيه فضائل عائشة»[٢].

وهذا حق فلم تحمل أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - على حسان بن ثابت في حادثة الإفك، ولم يحمل هو عليها بسبب إقامة حد القذف عليه، ويتبين من هذا الموقف نقاء وصفاء قلوب الصحابة - رضي الله عنهم - فقد كانوا على قلب واحد.

روى البخاري ومسلم في صحيحهما عن هشام عن أبيه عن عائشة - رضي الله عنها - ، قالت: استأذن حسان النبي ﷺ في هجاء المشركين قال: «كيف بنسبي» فقال حسان: لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين، وعن أبيه قال: ذهبت أسب حسان عند عائشة، فقالت: «لا تسبه فإنه كان ينافح عن النبي ﷺ»[٣].

ويصور المستشرق بودلي العلاقة بين أم المؤمنين عائشة وصفوان بن المعطل رضي الله عنهما بصورة العشق والغرام، والحب والهيام فيقول: «كان ينظر إليها من فوق هجين مرتفع شاب وسيم، ففركت عائشة عينيها، فابتسم الشاب ثم أناخ بعيره وقال إنه صفوان بن المعطل ولم تقدم عائشة نفسها له تبعًا لما قالته عائشة لما روت القصة، وكان صفوان يعرفها بالنظر فقد خاطبها بعائشة بنت أبي بكر.

---

(١) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٢٦٦.

(٢) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٢٦٨.

(٣) صحيح البخاري، ح ٣٥٣١، كتاب المناقب، باب من أحب أن لا يسب نسبه ٤/ ١٨٥، صحيح مسلم، ح ٢٤٨٧، باب فضائل حسان ٤/ ١٩٣٣.

سألها صفوان: ما تفعله بجلوسها منفردة في وسط الصحراء؟ فشرحت له عائشة الأمر فضحك صفوان ثم عرض عليه بعيرة ليقودها إلى المدينة فقبلت عائشة، فساعدها صفوان على الركوب ثم انطلقا... ... ... فلما أقبل بعير من طرقات المدينة الضيقة يقودها شاب وسيم جميل، وكانت عائشة جالسة على ظهر البعير حلوة كالفجر، وأنيخ البعير أمام دارها فنزلت عائشة وابتسمت لصفوان ودلفت إلى الدار دون أن تحس أنها عرضة للانتقاد كأنما اعتادت على السفر مع شبان أغراب.

وفي هذا الوقت كان صفوان يطوف بالمدينة ويقسم أنه لم يكن بينه وبين عائشة أدنى شيء وأنه لم يراها إلا في هذه المناسبة في الصحراء.

ثم يطرح المستشرق بودلي عدة تساؤلات ليؤكد العلاقة بين صفوان وعائشة رضي الله عنهما فيقول: كيف تنطلق عائشة دون أن تخبر أحدًا وهي تعلم أن القافلة وشيكة الرحيل ثم تضيع وقتًا طويلًا في البحث عنها؟

كيف عرف صفوان عائشة بالنظر وعلى الأخص حسب ما جاء في قوله في المدينة بعد ذلك أنه لم تقع عيناه عليها من قبل؟

وكانت عائشة تقول بعد سنين إن صفوان قد ظهر أنه كان حصورًا لا يأتي النساء أفهذه ملاحظة شريكة بريئة أو شريكة مذنبة؟

ثم يقول إننا لا نعرف الصواب أبدًا وإن هذا الأمر جميعًا غير واضح ثم استشهد بمقالة يعضد فيها قوله ويصر على خيانة عائشة وعلاقتها بصفوان بن المعطل رضي الله عنهما حيث يقول: هناك ثلاثة أشياء لا يراها إلا الله وحده هي أثر السمك في الماء، وأثر الطير في الهواء، وأثر الرجل في المرأة»[1].

ويشاركه المستشرق سفاري بقوله: وكان صفوان الذي يقاسمني همومي قد بقي في مؤخرة الجيش... ... ...»[2].

---

(١) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٢٦٤، وص: ٢٦٦، ٢٦٩، ٢٧٠.

(٢) السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون، مرجع سابق، ص: ١٥١.

فالمستشرق بودلي من خلال هذا النص يرى أن صلة وعلاقة أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – بصفوان بن المعطل علاقة صداقة وحب وخيانة كما يملي عليه فكره الغربي، حيث يصور عائشة – رضي الله عنها – بالمرأة الخائنة لزوجها المعتادة على الخروج مع الرجال لقضاء وطرها إذ يقول «كأنما اعتادت على السفر مع شبان أغراب». ويؤكد تصوره هذا بطرح تساؤلات عقيمة ومثله المستشرق سفاري.

وهذا من البهتان العظيم والإفك المبين على أمنا أم المؤمنين عائشة الصديقة – رضي الله عنها – المبرأة من فوق سبع سموات، فلم يكن هناك أي علاقة بين عائشة وصفوان ابن المعطل رضي الله عنهما لا من قبل الحادثة ولا من بعدها وقد تقدم لنا بيان هذا الإفك.

وأما علاقة وصلة أسامة بن زيد بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما فقد امتدحوها وأثنوا عليها فقالوا: «ولما سأله النبي ﷺ عما نسب إلى عائشة في حديث الإفك ذكرها بالخير»[1].

– صلة عائشة بالصحابة رضي الله عنهم بعد استشهاد عثمان بن عفان رضي الله عنه.

كتب المستشرقون عن صلة عائشة – رضي الله عنها – بالصحابة وذكروا عدة مواقف كانت بينها وبين الصحابة رضوان الله عليهم بعد استشهاد عثمان بن عفان رضي الله عنه.

يقول المستشرق بروكلمان كانت عائشة – رضي الله عنها – تحكم بين الصحابة رضي الله عنهم فيما اختلفوا فيه فقد حكمت بين أكابر سادات الصحابة في خروجهم للبصرة: «حيث نشب خلاف بين طلحة والزبير في البصرة على إمامة الناس في الصلاة، ولكن عائشة حسمت الخلاف موقتًا بأن سمت لهذه المهمة ابن أختها عبد الله بن الزبير»[2].

وجاء في موجز دائرة المعارف أن علاقة عائشة بطلحة رضي الله عنهما علاقة دم ونسب لذلك كانت تناصره في دعوى الخلافة: طمع طلحة رضي الله عنه بالخلافة بعد استشهاد عمر بن الخطاب فقد كان من المرشحين للخلافة، لكن الاختيار وقع على عثمان بن عفان رضي الله عنه فأحس طلحة بمرارة الخيبة عندما وقعت من نصيب عثمان واندمج طلحة في صفوف المعارضة فاستغل

(١) موجز دائر المعارف، مرجع سابق، ص: ٦٩٧.

(٢) تاريخ الشعوب الإسلامية، مرجع سابق، ص: ١١٥.

السخط الذي سرعان ما دب في نفوس الناس على حكم عثمان وسعى إلى تولي الخلافة مرة أخرى، ثم لما قتل عثمان ظن طلحة أن حلمه أوشك أن يتحقق بل لقد بدأ أن مبايعته بالخلافة باتت قاب قوسين أو أدنى، وإذا بعلي يبايع بالخلافة دونه.

ومهما يكن من شيء فقد وجد طلحة ألا مناص له من الاعتراف بالخليفة الجديد، ولكنه لم يلبث أن فر من المدينة هو والزبير وبلغ مكة حيث انضم إلى عائشة، وكانت عائشة تقف موقف العداء من علي كما كان هذا شأنها مع عثمان التي كانت فيما يبدو تناصر دعوى طلحة في الخلافة، وربما كان السبب في ذلك رابطة الدم التي كانت تربطها به فقد كان كلاهما من عشيرة يم بن مرة»[١].

وهذا القول غير صحيح وتصوير للأمر على غير وجهه، فلم تنصب أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – العداء لعثمان بن عفان ولا لعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما ولم تناصر طلحة في دعوى الخلافة من أجل النسب ولا غيره، إذ أن ما كتبة المستشرقون في طمع طلحة بن عبيد الله ﷺ بالخلافة باطل حيث لم يكن بين الصحابة رضي الله عنهم تنافس على الخلافة والامتلاك، وإنما كان هدف طلحة بن عبيد الله وعائشة رضي الله عنهما الإصلاح بين الناس.

وهذا كله من اتهامات المستشرقين للصحابة وأمهات المؤمنين رضي الله عنهم وتزوير وتلفيق حسب ما أملت عليهم أهوائهم.

وكتب المستشرقون عن صلة وعلاقة أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – بالصحابي الجليل عبد الله ابن الزبير ﷺ فقالوا: «كان له علاقة نسب وقرابة مع أم المؤمنين عائشة الصديقة – رضي الله عنها – فهي خالته أخت أمه، صحبها وشارك معها في وقعة الجمل مع أبيه، وتعود شهرته أيضًا إلى قرابته من الرسول ﷺ فجدته لأبيه صفية بنت عبدالمطلب عمة النبي ﷺ[٢].

---

(١) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ٦٩٠١.

(٢) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ٧١٦٩.

وصدقوا في هذا فقد تكنت أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – بابن أختها عبد الله بن الزبير، فعن عائشة– رضي الله عنها –، قالت: لما ولد عبد الله بن الزبير أتيت به النبي ﷺ، فتفل في فيه، فكان أول شيء دخل جوفه، وقال: «هو عبد الله، وأنت أم عبد الله، فما زلت أكنى بها وما ولدت قط»[١].

كما أن عمار ابن ياسر ﷺ كان واحدًا من الذين صحبوا السيدة عائشة – رضي الله عنها – زوجة الرسول ﷺ إلى البصرة»[٢].

وفي علاقة وصلة أم المؤمنين عائشة بمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما يقول المستشرق بودلي: بايعت عائشة معاوية بن أبي سفيان ليكون خليفة المسلمين الخامس، وبذلك انزاح من طريقه العقبة الوحيدة التي كانت تعترض بسط سلطانه على المسلمين أجمعين، وقد كان ذلك في صالح عائشة ولاريب، فقد تخلصت من الرجلين اللذين أساء إليها، وجعلت أزواج محمد الأحياء ينكمشن ويصبحن لا وزن لهن، وجعلت المسلمين يرون أنها شخص يحسب له حساب، وأنها لتود أن تنهي أيامها كشخصية دينية باقية كأم المؤمنين، وكخليفة غير رسمية للرسول»[٣].

وفي هذا النص يرى المستشرق بودلي بأن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – لم ترتضي مبايعة عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وأنها نصبت العداء لهما وعملت جاهدة على إزاحتهما من الخلافة، ومن ثم استقر لها الأمر ورضيت بمبايعة معاوية بن أبي سفيان لتصبح خليفة للمسلمين من بعد نبيهم.

وهذا افتراء واختلاق على أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – فقد رضيت بأصحاب رسول الله ﷺ وخلفائه من بعده، ثم إن أم المؤمنين عائشة لم تكن تتطلع إلى الخلافة والإمارة ولا ينبغي لها هذا حيث كانت تسعى لطلب الآخرة وترك الدار الفانية، وتدعو إلى الإصلاح بين

---

(١) صحيح البخاري، ح ٣٩١٠، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة، ٥ / ٦٢.

(٢) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ٧٥١٠.

(٣) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٤٢٧.

المسلمين ما استطاعت إلى ذلك سبيلا، ثم إنه لم يعرف عنها طلب الخلافة ولم تنقل لنا كتب السيرة والتاريخ والتراجم أنها سعت إلى تولي الخلافة يوما ما.

ويختم المستشرق بودلي صلة أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - بالصحابة بقوله: «ولقد نجت من الموت موتة عنيفة ويرجع ذلك إلى حظها وإلى ولاء صحابة زوجها، فعلى الرغم من اقتناعهم بأنها لا تستحق إلا حربة تنفذ إلى صدرها إلا أنهم ذبوا عنها إكرامًا للصداقة القديمة»[١].

وفي هذا القول قدح وسب صريح لأم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - من حاقد ومبغض لأمهات المؤمنين - رضي الله عنهن - بشكل عام وعائشة - رضي الله عنها - بشكل خاص، حيث رفع من قدر الصحابة رضي الله عنهم ليقع في أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - ويفتري عليها ويتهمها بالسوء.

(١) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ١٧٥، ١٧٦،

المبحث الثاني

موقفهم من صلة حفصة بنت عمر بن الخطاب - رضي الله عنها-

المطلب الأول: موقفهم من صلتها بالخلفاء الراشدين.

المطلب الثاني: موقفهم من صلتها ببقية الصحابة.

المطلب الأول

موقفهم من صلتها بالخلفاء الراشدين

اهتم الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم بزوجة نبيهم وابنة خليفتهم وحافظة كتاب ربهم حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما؛ وذلك لفضلها ومنزلتها عند ربها وعند رسوله محمد ﷺ حيث شهد لها جبريل عليه السلام بالصلاح والتقوى.

فعن قيس بن زيد رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ طلق حفصة تطليقة فأتاها خالاها قدامة وعثمان ابنا مظعون، فقالت: والله ما طلقني عن شبع، فجاء النبي ﷺ فدخل، فتجلببت فقال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريل عليه السلام فقال: راجع حفصة فإنها صوامة قوامة، وإنها زوجتك في الجنة»(١).

وعن أنس رضي الله عنه، قال: «لما طلق النبي صلى الله عليه وسلم حفصة أمر أن يراجعها فراجعها» (٢).

---

(١)المعجم الكبير للطبراني، ح ٩٣٤، ١٨/ ٣٦٥ ، وقال الألباني في صحيح الجامع، ح ٤٣٥١: حسن .

(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى ح ١٥٥٥٠ ، كتاب الرجعة باب قولة تعالى ﴿إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصۡلَٰحٗا﴾ ٣٦٧/٧ ، وأبي يعلى في مسنده ،ح ٣٨١٥ ، ٤٣٦/٦ ، والهيثمي في مسنده ح ١٠٠٣ ، ٢/ ٩١٥ والحاكم في مستدركه ح ٢٧٩٦ ، ٢/ ٢١٥ وقال :حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وصححه الألباني في السلسة الصحيحة (١٦/٥).

وعن ابن عباس عن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « طلق حفصة ثم راجعها »أخرجه ابن حبان في صحيحه ح ٤٢٧٥، ١٠/ ٩٩، وأبي داود في سننه ح٢٢٨٣، ٢٨٥/٢ ، والنسائي في سننه ح٣٥٦٠ ، ٢١٤/٦ وابن ماجه في سننه ، ح ٢٠١٦، ١/ ٦٥٠ ،والدارمي في سننه ،ح ٢٢٦٤ ، ٢/ ٢١٤ ، وابن حنبل في مسنده ،ح ١٥٩٢٤، ٢٥/ ٢٧١، والحاكم في المستدرك ح ٢٧٩٧، ٢١٥/٢ وقال :على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه .

ولما كان لها هذا الفضل والشرف كتب المستشرقون عنها، وتناولوا بعض مواقفها مع الخلفاء الراشدين الكرام رضي الله عنهم وميزوها بمزيد من العناية والتفضيل عن سائر أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن – بعد عائشة – رضي الله عنها –؛ وذلك لاعتقاد طائفة منهم بأنها أقرب زوجات النبي ﷺ إليه بعد أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها –.

يقول المستشرق إرفنج: «وصارت حفصة من نسائه المفضلات بعد عائشة – رضي الله عنها –، وهي التي أودع عندها الرسول ﷺ نسخة من القرآن الأساسية كما أنزلت عليه ﷺ وهذا يدل على مدى ثقته بها»[1].

ومن المواقف والصور التي دونها المستشرقون في صلة أم المؤمنين حفصة – رضي الله عنها – بالخلفاء الراشدون رضي الله عنهم

– موقفهم من صلة أم المؤمنين حفصة بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

كتب المستشرقون عن مشاركة أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنهما في شأن الخلافة وعلاقتها بالخلفاء الراشدون رضي الله عنهم واتهموها بأن لها يدًا في استخلاف أبي بكر الصديق وأبيها عمر بن الخطاب رضي الله عنهما بعد وفاة زوجها محمد ﷺ، وأنها كانت تسعى إلى تحقيق ما تريد.

فقالوا: «وضعت حفصة كل مالها من سلطان في خدمة حكومة الثلاثة وهو الحزب الذي كان يسعى إلى استخلاف أبي بكر وعمر بعد محمد ﷺ.»[2].

ولما وقع لها ما تريد وما تسعى إلى بلوغه في أمر الخلافة لم يكن لها شأن كبير كعائشة لا في خلافة أبي بكر الصديق ﷺ ولا حتى في خلافة أبيها عمر بن الخطاب رضي الله عنهما» وصفوة القول أنه لم يكن لها شأن كبير حتى في خلافة أبيها، وهي في ذلك على طرفي نقيض من عائشة التي كان لها شأن خطير في كثير من النواحي... ... ...»[3].

---

(١) محمد وخلفاؤه، مرجع سابق، ص: ٢٤١،

(٢) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ٤٠٧٤.

(٣) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ٤٠٧٤.

وفي هذا النص صور المستشرقون أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنهما بأنها راغبة بالدنيا متطلعة إليها حريصة على مكانتها ومنصبها؛ ولهذا حرصت على استخلاف أبي بكر الصديق وأبيها عمر بن الخطاب رضي الله عنهما لتنال حظها ونصيبها من متاع الدنيا.

وهذا كلام باطل لا دليل عليه، إذ أن المتأمل لحال أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن - وحال الصحابة رضي الله عنهم ليجد أنهم كانوا زاهدين في الدنيا طالبين للآخرة، ولا سيما في عهد أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وكيف تكون أم المؤمنين حفصة - رضي الله عنها - طامعة في الدنيا وقد شهد جبريل عليه السلام بتقواها وعبادتها واجتهادها في الطاعة.

وأما قولهم: أنه «لم يكن لها شأن كبير حتى في خلافة أبيها» فهذا يحتمل أمرين

الأول: أنه لم يكن لها مكانة وقدرًا في قلوب الخلفاء الراشدين والصحابة رضي الله عنهم. وهذا باطل فمكانتها باقية في أنفسهم إذ هي أمهم وزوجة نبيهم أمرهم الله عز وجل باحترامهم وتوقيرهم.

الثاني: أنه لم يكن لها قدر كبيرًا من المال في خلافة أبيها عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وهذا حق فقد أنقصها عمر رضي الله عنه عطاءها من بيت المال.

قال ابن تيمية رحمه الله: «وأما حفصة فكان ينقصها من العطاء لكونها ابنته، كما نقص عبد الله بن عمر، وهذا من كمال احتياطه في العدل، وخوفه مقام ربه، ونهيه نفسه عن الهوى، وهو كان يرى التفضيل في العطاء بالفضل، فيعطي أزواج النبي ﷺ أعظم مما يعطي غيرهن من النساء»(١).

ويرى المستشرق بودلي أن علاقة وثقة أبو بكر الصديق بحفصة - رضي الله عنها - أكثر من ثقته بابنته عائشة حيث يقول: «وعرفت حفصة بأنها الحافظة لأول نسخة خطية للقرآن، فقد اقترح عمر بعد موت زوجها محمد أن تجمع نسخة أصلية من القرآن قبل أن ينسى ما قاله محمد أو ذكره، فنفذ أبو بكر هذا الاقتراح وأودع المصحف عند حفصة، ولا يعرف سبب عدم

(١) منهاج السنة النبوية، مرجع سابق، ٦/ ٣٧.

إعطاء المصحف لابنته ولعله كان يعرف طبيعتها المتقلبة، وعلى ذلك أصبحت حفصة مسؤولة عن عمل عاش ثلاثة عشر قرنًا»[١].

وهذا افتراء وبهتان على أبي بكر الصديق ﷺ فلم يعطي المصحف لحفصة - رضي الله عنها - وإنما أودعه عند عمر بن الخطاب ﷺ ومن ثم أودعه عمر بن الخطاب عند ابنته حفصة رضي الله عنما.

وكل هذا من محاولات المستشرقين في تشويه سير أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن - والصحابة رضي الله عنهم ومحاولة التشكيك في أمانة أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - وتوتر علاقتها وصلتها بأبيها أبي بكر الصديق رضي الله عنهما.

- موقفهم من صلة أم المؤمنين حفصة بعثمان بن عفان رضي الله عنهما:

دون المستشرقون عن صلة وعلاقة أم المؤمنين حفصة - رضي الله عنها - بعثمان بن عفان ﷺ وتمثلت هذه الصلة بجمع المصحف.

يقول المستشرق كارل بروكلمان: عزم عثمان على اعتماد نسخة رسمية من القرآن، والواقع أن أجزاء كثيرة من الوحي كانت قد دونت بشكل منجم متفرق حتى في أيام النبي، فلما كانت خلافة عمر عهد إلى زيد بن ثابت المدني الشاب الذي كان يكتب الوحي للرسول بأن يجمع صحف القرآن كلها، ولكن ذلك لم يعد أن يكون عملًا شخصيًا ليس له صفة رسمية عامة حتى إذا توفي عمر انتقلت هذه الصحف إلى ابنته حفصة، ثم إن عثمان حصل على هذه المجموعة الأولى فعهد إلى زيد وثلاثة نفر من جلة القرشيين بأن يعيدوا النظر فيها مرة أخرى»[٢].

ويقول بودلي: «فبعث عثمان من فوره إلى زيد بن ثابت وكلفه وثلاثة من علماء قريش بنسخ نسخة من القرآن من الصورة الأصلية المحفوظة في صندوق حفصة وقد كتبت بلسان قريش[٣].

---

(١) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٢١٠.

(٢) تاريخ الشعوب الإسلامية، مرجع سابق، ص: ١١٢.

(٣) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٢٨٣.

وهذا حق فقد أرسل الخليفة عثمان بن عفان ﷺ في وقت خلافته إلى أم المؤمنين حفصة – رضي الله عنها – يطلب منها المصحف لينسخه ويعيده إليها.

فعن أنس بن مالك ﷺ، قال: أن حذيفة بن اليمان، قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشأم في فتح أرمينية، وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة، قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة: «أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك»، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف»، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم» ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف، أن يحرق[1].

وأما قول المستشرق بروكلمان: «أن القرآن لم يجمع إلا في عهد عمر «فلما كانت خلافة عمر عهد إلى زيد بن ثابت... ... ...» فهذا باطل، وذلك لأن القرآن جمع أولًا في عهد أبو بكر الصديق ﷺ لما كثر استشهاد الصحابة رضي الله عنهم في معركة اليمامة، وكان باقتراح من عمر بن الخطاب ﷺ ثم جمع في عهد عثمان بن عفان ﷺ.

فقد روى الإمام البخاري في صحيحه: أن زيد بن ثابت الأنصاري ﷺ – وكان ممن يكتب الوحي – قال: أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة وعنده عمر، فقال أبو بكر: إن عمر أتاني، فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن، فيذهب كثير من القرآن إلا أن تجمعوه، وإني لأرى أن تجمع القرآن»، قال أبو بكر: قلت لعمر: «كيف أفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ؟» فقال عمر: هو والله خير، فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله لذلك صدري، ورأيت الذي رأى عمر، قال زيد بن ثابت: وعمر عنده جالس لا يتكلم، فقال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل، ولا نتهمك،

(١) صحيح البخاري، ح ٤٩٨٧، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن ٦/ ١٨٣.

«كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ»، فتتبع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن، قلت: «كيف تفعلان شيئًا لم يفعله النبي ﷺ؟«فقال أبو بكر: هو والله خير، فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر، فقمت فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف، والعسب وصدور الرجال، حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الأنصاري لم أجدهما مع أحد غيره، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨] إلى آخرهما، وكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر(١).

- موقفهم من صلة أم المؤمنين حفصة بعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

جاء في موجز دائرة المعارف أن حفصة أم المؤمنين - رضي الله عنها - همت بالخروج مع عائشة لكنها لم تخرج ولم يكن لها علاقة وصلة بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه فلم تناصره وتؤيده ولم تكن من المطالبين بدم عثمان رضي الله عنه: «وعندما انتقضت عائشة وطلحة والزبير على عليّ أرادت حفصة الانضمام إلى هذه الجماعة، ولكن أخاها عبد الله ألح عليها ألا تتورط في هذا الأمر، ... ... ويبرهن هذا الحادث على أنها لم تشترك في الأحداث التي وقعت في أثناء الفتنة الكبرى(٢).

وهذا حق فقد اعتزلت أم المؤمنين حفصة - رضي الله عنها - الفتنة التي وقعت بعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكان ذلك بأمر من أخيها عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حينما همت بالخروج إلى البصرة مع أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - فمنعها عبد الله بن عمر وسار بها إلى المدينة.

---

(١) صحيح البخاري، ح ٤٦٧٩، كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ ٦/ ٧١.

(٢) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ٤٠٧٩.

قال ابن كثير رحمه الله: «وكانت حفصة بنت عمر أم المؤمنين قد وافقت عائشة على المسير إلى البصرة، فمنعها أخوها عبد الله من ذلك، وأبى هو أن يسير معهم إلى غير المدينة.»(١).

وقال ابن تيمية رحمه الله: خرجت حفصة زوج النبي ﷺ من مكة إلى المدينة، فأخبرت أن عثمان قد قتل، فرجعت حفصة وقالت: ارجعوا بي عن المدينة، فوالذي نفسي بيده إنها للقرية التي قال الله: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [النحل: ١١٢]، ولم ترد حفصة – رضي الله عنها – أن الآية خصت المدينة بالذكر، بل هذا مثل ضربه الله لمن كان كذلك، وكان أهل مكة لما كانوا كفارًا كذلك فأصابهم ما أصابهم، فلما قتل عثمان علمت حفصة أن سيصيب أهل المدينة من البلاء ما يناسب حالهم بعد ما كانوا فيه من الأمن والطمأنينة وإتيان رزقهم من كل مكان(٢).

---

(١) البداية والنهاية، مرجع سابق، ٧/ ٢٣٠.

(٢)الإخنائية أو الرد على الإخنائي، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق أحمد بن مؤنس العنزي، ط١، ص: ١٩٥، (١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م، دار الخراز جدة).

المطلب الثاني

موقفهم من صلتها ببقية الصحابة رضي الله عنهم

اهتم النبي ﷺ بأم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وحرص على تعليمها القراءة والكتابة فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده عن الشفاء بنت عبد الله قالت: دخل علينا النبي ﷺ وأنا عند حفصة فقال لي: «ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتيها الكتابة؟»[١].

وبهذا كانت أم المؤمنين حفصة – رضي الله عنها – متعلمة للقراءة والكتابة وهو أمر نادر بين النساء في تلك الفترة الزمنية، ومما ساعد على نمو علمها وتوافره وجودها في بيت النبوة واستقائها من معينه الصافي حيث كان الوحي يتتابع في النزول على نبينا محمد ﷺ وهي شاهدة في بيته عليه الصلاة والسلام.

وقد نتج عن هذا حفظ القرآن عندها حتى لقبت بحارسة القرآن وأصبحت إحدى أهم الفقيهات في العصر الأول في صدر الإسلام، فقد ورد أن أبيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه سألها عن أقصى مدة تحتمل فيها المرأة غياب زوجها فقال: يا بنية، كم تصبر المرأة عن زوجها؟ فقالت: سبحان الله، مثلك يسأل مثلي عن هذا، فقال: لولا أني أريد النظر للمسلمين ما سألتك. قالت: خمسة أشهر، ستة أشهر، فوقت للناس في مغازيهم ستة أشهر؛ يسيرون شهرا، ويقيمون أربعة، ويسيرون شهرًا راجعين[٢].

ولما تميزت بهذه المكانة وهذا العلم الوافر ارتبط الصحابة رضي الله عنهم بها وصاروا يستفتونها فيما استشكل عليهم ويرجعون إليها فيما اعتراض لهم، فكانت تفتيهم وتجيبهم وتروي

---

(١) سبق تخريجه، ص ١١٦.

(٢) المغني لابن قدامة، مرجع سابق، ٧/ ٣٠٥.

لهم أحاديث النبي ﷺ وشأنه في بيته حيث وصل عدد مروياتها إلى ستون حديثًا اتفق الشيخان على أربعة أحاديث وانفرد مسلم بستة أحاديث[١].

ولذا كتب المستشرقون عن صلة وعلاقة أم المؤمنين حفصة - رضي الله عنها - بالصحابة رضي الله عنهم، ونقلوا عن كتب التاريخ والسير باقتضاب وكانت كتابتهم ما بين التزوير والتلفيق وشيء من الإنصاف والعدل.

ومن أهم كتابتهم التي بينت موقفهم من صلة أم المؤمنين حفصة بالصحابة رضي الله عنهم ما جاء في موجز دائرة المعارف حيث قالوا: «وبعد موت النبي ﷺ خصص لحفصة مثل سائر زوجات النبي راتب سنوي وحظيت باحترام المسلمين ولكنها لم تقم بدور سياسي حتى في أثناء خلافة أبيها، ويتعلق كل ما روي عنها خلال هذه الفترة بأمور غير ذات بال، فقد سألها بعض الصحابة أن تلح على عمر في أن يخصص لنفسه من بيت المال راتبًا أسخى لكن عمر لم يكن بالذي يقتنع بذلك. لأنه انتهج نهج النبي ﷺ وعاش عيشة غاية الاقتصاد في مطعمه وملبسه وكان يأكل القليل... ... ... على أن حفصة حضته على أن يوسع على نفسه دون جدوى[٢].

وفي هذا النص افترى المستشرقون على أم المؤمنين حفصة - رضي الله عنها - وذلك بقولهم: «ويتعلق كل ما روي عنها خلال هذه الفترة بأمور غير ذات بال«حيث قدحوا في نقلها ورواياتها عن النبي ﷺ واستحقروا كل ما رواته وأبلغته للصحابة رضي الله عنهم، وهذا مخالف لما ورد عن أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها في نقل هدية ﷺ وسنته فقد روى عنها الصحابة والتابعين جملة من الأحاديث التي تتعلق بالأحكام والعبادات[٣].

أما في قولهم: «فقد سألها بعض الصحابة أن تلح على عمر في أن يخصص لنفسه... ... ...» فهذا فيه شيء من الإنصاف فقد أخرج ابن سعد رحمه الله في الطبقات الكبرى «أن حفصة بنت عمر - رضي الله عنها - قالت لأبيها إنه قد أوسع الله الرزق وفتح عليك الأرض

(١) انظر: سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ٢/ ٢٣٠.

(٢) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ٤٠٧٨.

(٣) انظر: الإصابة في تميز الصحابة، مرجع سابق، ٨/ ٨٦.

وأكثر من الخير فلو طعمت طعاما ألين من طعامك ولبست لباسا من لباسك. قال: سأخاصمك إلى نفسك أما تذكرين ما كان رسول الله ﷺ يلقى من شدة العيش؟

قال: فما زال يذكرها حتى أبكاها ثم قال: إني قد قلت لك إني والله لئن استطعت لأشاركنها في عيشهما الشديد لعلي ألقى معهما عيشهما الرخي[١].

وكتبوا عن علاقة أم المؤمنين حفصة – رضي الله عنها – وصلتها بأخويها عبد الله وعبيد الله أبناء عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وذلك حينما استشهد أبيها فقالوا: «و لما قتل أبو لؤلؤة المجوسي والدها كانت من بين من حرضوا عبيد الله بن عمر على الثأر من الهرمزان حتى أن أخاها عبد الله ضاق بهذا التدخل فصاح رحم الله حفصة»[٢].

وهذا حق فقد أورد الذهبي رحمه الله في سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن الزهري قال: أخبرني حمزة بن عبد الله بن عمر[٣] أن أباه قال: يرحم الله حفصة إن كانت لمن شيع عبيد الله على قتل الهرمزان وجفينة[٤].

ونقلوا موقفها من التحكيم الذي حدث بين الصحابة رضي الله عنهم في زمن علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما في معركة صفين[٥] فقالوا: «ولما جرى التحكيم على الخلافة في أذرح حثت حفصة عبد الله على أن يشترك فيه ليحول دون انقسام المجتمع الإسلامي»[٦].

وفي هذا النقل إنصاف وحق فقد ورد عن ابن عمر رضي الله عنه، قال: «دخلت على حفصة ونسواتها تنطف، قلت: قد كان من أمر الناس ما ترين، فلم يجعل لي من الأمر شيء، فقالت:

(١) انظر: الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ٣/ ٢١٠.

(٢) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ٤٠٧٩.

(٣) حمزة بن عبد الله بن عمر بن الخطاب وأمه أم ولد وهي أم سالم بن عبد الله، كان حمزة يكنى أبا عمارة، روى عنه الزهري، وكان ثقة قليل الحديث انظر: الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ٥/ ١٥٦.

(٤) سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ٢/ ٤٤٧. وانظر: الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ٣/ ٢٧١.

(٥) انظر: العواصم من القواصم، مرجع سابق، ص: ١٧٢، تفسير ابن كثير، مرجع سابق، ٧/٢٣٠.

(٦) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ٤٠٧٩.

الحق فإنهم ينتظرونك، وأخشى أن يكون في احتباسك عنهم فرقة، فلم تدعه حتى ذهب، فلما تفرق الناس خطب معاوية قال: من كان يريد أن يتكلم في هذا الأمر فليطلع لنا قرنه، فلنحن أحق به منه ومن أبيه، قال حبيب بن مسلمة: فهلا أجبته؟ قال عبد الله: فحللت حبوتي، وهممت أن أقول: أحق بهذا الأمر منك من قاتلك وأباك على الإسلام، فخشيت أن أقول كلمة تفرق بين الجمع، وتسفك الدم، ويحمل عني غير ذلك، فذكرت ما أعد الله في الجنان»[1].

(١) صحيح البخاري، ح ٤١٠٨، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق، ٥/ ١١٠.

المبحث الثالث

موقفهم من صلة بقية أمهات المؤمنين بالصحابة رضي الله عنهم

لقد كان أصحاب رسول الله ﷺ حريصون على حفظ النبي ﷺ في أهله وأزواجه أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن –، والعناية بهن وتقديم محبتهن وإجلالهن والترضي عنهن والتقرب إلى الله بتلك المحبة، وذلك لاقترانهن بالنبي ﷺ ومشاركتهن له في أمور حياته.

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «خياركم خياركم لنسائي» فأوصى لهن عبد الرحمن بحديقة قومت بأربع مائة ألف[١].

ولما كان هذا تضاعف بر الصحابة – رضي الله عنهم – بأمهاتهم أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن – والإحسان إليهن، ومن صور البر والحفظ والعناية ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده «أن عبد الرحمن بن عوف، – رحمه الله – باع أرضًا له من عثمان بن عفان بأربعين ألف دينار فقسم في فقراء بني زهرة وفي ذي الحاجة من الناس وفي أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن –، قال المسور: فدخلت على عائشة – رضي الله عنها – بنصيبها من ذلك، فقالت: من أرسلك بهذا؟ قلت: عبد الرحمن، فقالت: إن رسول الله ﷺ قال: إنه لا يحنو عليكن بعدي إلا الصابرون سقى الله ابن عوف من سلسبيل الجنة»[٢].

وأخرج الذهبي في سير أعلام النبلاء عن أبي هريرة ﷺ قال: «دون عمر الديوان، وفرض للمهاجرين الأولين خمسة آلاف، وللأنصار أربعة آلاف، ولأمهات المؤمنين اثني عشر ألفا اثني عشر ألفا»[٣].

---

(١) مسند البزار، ح ٧٩٤٨، ١٤/ ٣١٢، وقال: وهذا الحديث لا نعلم رواه عن محمد بن عمرو إلا قريش.

(٢) سنن الترمذي، ح ٣٧٤٩، أبواب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.، باب...، ٦ / ١٠٢، قال الألباني في السلسلة الصحيحة ٤ / ١٢٥: صحيح.

(٣) سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ٢/ ٤١٢.

قال ابن سعد رحمه الله: فرض عمر بن الخطاب ﵁ لأزواج النبي ﷺ ففضل عليهن عائشة فرض لها في اثني عشر ألفًا ولسائرهن عشرة آلاف غير جويرية وصفية فرض لهما في ستة آلاف[(١)].

ولهذا اهتم المستشرقون بذكر علاقة وصلة أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن – بأصحاب رسول الله ﷺ، وأكدوا على صلة عمر بن الخطاب ﵁ بأمهات المؤمنين – رضي الله عنهن – وصوروه بالصحابي الفظ الغليظ الجلف في تعامله مع أزواج النبي ﷺ حيث يقول المستشرق بروكلمان: «وكان عمر بن الخطاب أعظمهم شأنًا والروايات تصور لنا دائمًا هذا الرجل الطويل القامة وهو يحمل سوطًا ينتهر به ابنته حفصة، بل ينتهر سائر أزواج النبي ﷺ فيخفنه بأكثر مما يخفن محمدًا نفسه»[(٢)].

لقد غالى المستشرق بروكلمان بقوله هذا فلم يكن عمر بن الخطاب ﵁ فظا غليظا مع أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن – بهذه الصورة ، ولم يحمل سوطًا ينتهر به أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن – إنما الذي ورد أن لعمر بن الخطاب –رضي الله عنه – هيبة وإجلال فكان الصحابة رضوان الله عليهم يهابونه وكذلك عامة الناس من الرجال والناس .

جاء في صحيح مسلم أن عمر بن الخطاب –رضي الله عنه – أستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه، عالية أصواتهن، فلما استأذن عمر قمن يبتدرن الحجاب، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك، فقال عمر: أضحك الله سنك، يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب» قال عمر: فأنت، يا رسول الله أحق أن يهبن، ثم قال عمر: أي عدوات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قلن: نعم، أنت أغلظ وأفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكا فجا إلا سلك فجا

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ٣/ ٢٣١.

(٢) تاريخ الشعوب الإسلامية، مرجع سابق، ص: ١٠٥.

غير فجك» [١]

وورد عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها كانت تهاب عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – لهيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فعن عائشة رضي الله عنها قالت : « أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بخزيرة قد طبختها له فقلت : لسودة والنبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينها كلي فأبت فقلت لتأكلن أو لألطخن وجهك فأبت فوضعت يدي في الخزيرة فطليت وجهها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم فوضع بيده لها وقال لها الطخي وجهها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم لها فمر عمر فقال : يا عبد الله يا عبد الله فظن أنه سيدخل فقال قوما فاغسلا وجوهكما فقالت : عائشة فما زلت أهاب عمر لهيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم. »[٢]

أما في شأن أم المؤمنين حفصة –رضي الله عنها – فقد ورد أن عمر بن الخطاب ﷺ عندما علم أن أزواجه ﷺ يراجعنه قال لابنته حفصة – رضي الله عنها –: لا تراجعي رسول الله ﷺ ولا تسألينه وسليني ما بدا لك ولم يحمل عليها سوطًا ولا غيره.

روى البخاري في صحيحه «أن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قال: كنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا على الأنصار إذا هم قوم تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار فصحت على امرأتي فراجعتني فأنكرت أن تراجعني فقالت ولم تنكر أن أراجعك فو الله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه وإن إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل. فأفزعني فقلت خابت من فعل منهن بعظيم ثم جمعت علي ثيابي فدخلت على حفصة فقلت أي حفصة أتغاضب إحداكن رسول الله ﷺ اليوم حتى الليل؟ فقالت نعم فقلت خابت وخسرت أفتأمن أن يغضب الله لغضب رسوله ﷺ فتهلكين لا تستكثري على رسول الله ﷺ ولا تراجعيه في شيء ولا تهجريه واسأليني ما بدا لك ولا يغرنك أن كانت جارتك هي أوضأ منك وأحب إلى رسول الله ﷺ يريد عائشة»[٣].

---

(١) صحيح مسلم ح ٢٣٩٦،كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، باب فضائل عمر٤/ ١٨٦٣

(٢) أبي يعلى في مسنده ح ٤٤٧٦ ،مسند عائشة ، ٧/ ٤٥٠

(٣) صحيح البخاري، ح ٢٣٣٦، كتاب المظالم والغصب، باب الغرفة المشرفة والعلية في السطوح ٢/ ٨٧١.

واتهم المستشرقون عمر بن الخطاب ﷺ باستهزائه وانتقاصه لأمهات المؤمنين – رضي الله عنهن – وذلك بقول المستشرق بودلي: «إن عمر نفسه كان ممن اعتنق الإسلام، فإنه تبدل في ساعة واحدة من أعظم المناهضين للإسلام إلى أعظم المتعصبين له، وإنه أيضًا قد جعل محمدًا في مستوى أعلى من أي شخص آخر في العالم، لذلك قال عن نساء محمد إنهن مخلوقات مخبولات لا يدرين من زوجهن، وازداد الحال توترًا لما ظهر أبو بكر»(١).

و قول المستشرق إميل درمنغم: «قال عمر إذا مرض النبي فركت أزواجه عيونهن بكاء وإذا صح أمسكن بتلابيبه»(٢).

وهذا اتهام باطل إذ لم يدل دليل على صحة كلامهم، وإنما هو جزء يسير مما جرت به أقلامهم ونطقت به فلتات ألسنتهم من الحقد الدفين على الصحابي الجليل عمر بن الخطاب ﷺ وما تخفي صدورهم أكبر.

وكتب المستشرقون عن اقتراح عمر بن الخطاب ﷺ على النبي ﷺ في حجاب أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن – وموافقة رأيه للقرآن الكريم حيث تقول المستشرقة امسترونج كارين: «وكان عمر يحث النبي ﷺ على حجب زوجاته وعندما نزلت آيات الحجاب كان نصرًا له وحلًا سطحيًا لحد ما لمشكلة معقدة»(٣).

وجاء في موجز دائرة المعارف: «نزل القرآن مؤيدًا رأي عمر ﷺ ومبادرته التشريعية كالأمر بحجاب أمهات المؤمنين(٤).

وهذا حق فقد أنصف المستشرقون عمر بن الخطاب ﷺ في هذا القول، وأصله ما جاء في السنة النبوية عن عائشة – رضي الله عنها –، قالت: خرجت سودة بعدما ضرب الحجاب لحاجتها، وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها، فرآها عمر بن الخطاب فقال: يا سودة، أما والله ما تخفين علينا، فانظري كيف تخرجين، قالت: فانكفأت راجعة، ورسول الله

---

(١) الرسول محمد، مرجع سابق، ص: ٤٠٢.

(٢) حياة محمد، مرجع سابق، ص: ٣٢٥.

(٣) محمد نبي لزماننا، مرجع سابق، ص: ١٥٦.

(٤) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ٧٤٩٩.

ﷺ في بيتي، وإنه ليتعشى وفي يده عرق، فدخلت فقالت: يا رسول الله، إني خرجت لبعض حاجتي، فقال لي عمر كذا وكذا، قالت: فأوحى الله إليه ثم رفع عنه، وإن العرق في يده ما وضعه، فقال: «إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن»[١].

وتحدث المستشرقون عن علاقة أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن - بعثمان بن عفان ؓ فقالوا: إن أم المؤمنين صفية بنت حيي - رضي الله عنها - ناصرت الخليفة عثمان بن عفان ؓ وذبت عنه، وساعدته حينما حوصر في بيته «انحازت صفية إلى جانب عثمان سنة ٣٥ هجرية، إذ قامت وقت أن كان محاصرًا في داره بمحاولة فاشلة للوصول إليه، ودأبت على إمداده بالطعام والماء عن طريق لوح خشبي ثبتته بين بيتها وبيته، وعندما طلبت إليها عائشة أن تحضر آخر اجتماع عقده عثمان مع علي وطلحة والزبير، وكان ذلك في داره استجابت صفية لهذا الداعي، وحاولت أن تدافع عن الخليفة»[٢].

ويقول المستشرق جون جلوب بل إن أم المؤمنين أم حبيبة - رضي الله عنها - قد ساعدت عثمان بن عفان ؓ وأهل بيته وقت حصاره وحاولت أن تمدهم بالماء: «ومنع الماء عن الدار وعانى الخليفة عثمان وأهل بيته أهوال الظمأ، وقد أخذت حرارة الحجاز بخناق الناس، وحاولت أم المؤمنين أم حبيبة أرملة رسول الله، وقد تذكرت حب زوجها العميق لعثمان أن تسعفه بالماء فاقتادت بغلًا يحمله إلى باب داره وهكذا عرضت نفسها لإهانة العصاة، وقد أملت في أن تمنعهم مكانتها كزوجة رسول الله من الوقوف في طريقها»[٣].

وأصل هذا ما أخرج ابن سعد رحمه الله في الطبقات الكبرى عن كنانة مولى أم المؤمنين صفية بنت حيي - رضي الله عنها - قال: كنت أقود بصفية لترد عن عثمان فلقيها الأشتر

---

(١) صحيح البخاري، ح ٤٧٩٥، كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ ٦/ ١٢٠، صحيح مسلم، ح ٢١٧٠، كتاب السلام، باب إباحة الخروج للنساء لقضاء الحاجة ٤/ ١٧٠٩.

(٢) موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ص: ٦٥٤٩.

(٣) الفتوحات الكبرى، مرجع سابق، ص: ٤٦٠.

فضرب وجه بغلتها حتى مالت فقالت: ردوني لا يفضحني هذا. قال الحسن في حديثه: ثم وضعت خشبا من منزلها ومنزل عثمان تنقل عليه الماء والطعام . (١)

وأما كتب المستشرق جون جلوب في مساعدة أم المؤمنين أم حبيبة – رضي الله عنها – لعثمان بن عفان ﷺ فلم يرد ولم يثبت في مصادر السيرة النبوية والتاريخ والتراجم، ولعله اختلط عليه الأمر فذكر أم المؤمنين أم حبيبة – رضي الله عنها – بموقف أم المؤمنين صفية – رضي الله عنها –.

ومن خلال عرض هذه النصوص نجد أن أقلام المستشرقين قد ملئت حقدًا وبغضًا على عمر بن الخطاب ﷺ وحاولوا تشويه صلة أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن – بعمر بن الخطاب ﷺ حيث صوروه بصورة الصحابي المستخف المستهزئ بأمهاته أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن – المنتقص لقدرهن، ويرمون من وراء هذا القدح في تاريخ المسلمين والطعن في قاداتهم حتى ينفروا أجيال المسلمين من عظمائهم.

ومعظم ما كتبة هؤلاء المستشرقون في صلة وعلاقة أمهات المؤمنين بالصحابة رضي الله عنهم جاء بصورة مخالفة لما ورد في في مصادر السيرة النبوية وكتب التاريخ والتراجم فقد ورد أن صلة وعلاقة أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن – بالصحابة رضي الله عنهم كانت مبنية وقائمة على الاحترام والتوقير والإجلال والأدب، وإحسان القول لهن وسلامة اللسان تجاههن والذب عنهن، وتلقي العلم منهن وسؤالهن عن هديه ﷺ والحرص على تطبيق سنته، والتخلق بأخلاقه حيث كانت حجراتهن – رضي الله عنهن – منارًا للعلم ومركزًا للطلاب.

وعلى هذا النهج يجب على كل مسلم ومسلمة أن يسير حذو أصحاب رسول الله ﷺ في تولي أزواجه أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن – ومعرفة فضلهن وأخبارهن وتلقي العلم منهن حيث أنهن أعظم النساء تعلمًا فقد درجن في بيت النبوة ومدرسة العلم، والرد على كل من ينتقصهن أو يقلل من مكانتهن بل وإظهار فضائلهن ودراسة سيرتهن(٢).

١() انظر الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ٨/ ١٠١وسير أعلام النبلاء للذهبي ، مرجع سابق ، ٢/ ٢٣٨.

(٢) انظر: آيات آل البيت، منصور حمد العيدي، ط١، ص: ١٤٥، (الدرر السنية، ١٤٢٨ هـ).

الخاتمة

الخاتمة

وبعد هذه الجولة الطويلة في غمار كتابات المستشرقين عن أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن –، وبعد أن طوّف بنا البحث في مواقفه المتعددة وسلك بركبنا بين مساراته المتفرعة أجد من المناسب في ختم هذه المسيرة العلمية أن أقوم بخلاصات تقرب ما توسع من فقرات البحث وتسلط الأضواء على أهم الاستنتاجات والتوصيات التي احتواها البحث بين جنباته باختصار وهي:

– فداحة الكتابات الاستشراقية على دين الإسلام ومعتقدات المسلمين وثوابتهم ومن هذه الثوابت اعتقاد المسلمين في محبة النبي ﷺ وأزواجه الأطهار أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن –، والترضي عنهن والاعتراف بفضلهن ومنزلتهن.

– أن للمستشرقين مؤلفات مغرضة عن حياة محمد ﷺ وسيرته؛ وقد تناولوا فيها أزواجه أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن — وما جاء في تاريخهن بصورة بشعة، ومن أهم هذه المؤلفات محمد في مكة، الرسول محمد وغيرها من المؤلفات العديدة والمعادية للإسلام وأهله.

– استناد المستشرقين في كتاباتهم على كتب التاريخ والتراجم وانتقاء الروايات الضعيفة والموضوعة واستغلالها في بناء تخيلاتهم وتصوراتهم الخبيثة.

– محاولات المستشرقين الجادة في تحريف وتبديل سير أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن – والتركيز على أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها –؛ وذلك لعظم فضلها وعلو مكانها عند رسول الله ﷺ ووفرة رواياتها وعلمها عند المسلمين.

– فداحة الحصيلة الفكرية للمستشرقين الذين يتعلمون علوم الإسلام ويتعرفون على قدواته؛ لأنهم يقومون بدراسة نقاط القوة والضعف للمسلمين وبذلك يستطيعون مهاجمة المسلمين والقضاء على أبطاله ورموزه من خلال تشوية سيرهم وتحريفها.

– تتلمذ بعض المستشرقين على أيدي الرافضة ويظهر هذا جلياً في كتاباتهم عن أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن – وعلى سبيل الخصوص أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق وأم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهم أجمعين.

– أن للمستشرقين عدة مواقف من أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن – منها مواقف عدائية ومواقف معتدلة وأخرى متذبذة تريد الحق لكنها لم تسلم من الخطأ.

– تناقض أقوال و أرآء المستشرقين في كتاباتهم عن أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ،بل تناقض أقوال وآراء المستشرق الواحد حيث يكتب قولاً في أول الكتاب ثم ينقضه في أخره .

– صعوبة استخراج آرائهم في خلق وصفات أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ؛ وذلك لاضطراب وتذبذب كتاباتهم ويعود هذا إلى مرجعيتهم الدينية ، وعدم فهمهم الاسلام الصحيح ، ومزجهم ودسهم الخبيث بالطيب .

– خوض المستشرقين فيما وقع بين أمهات المؤمنين والصحابة رضي الله عنهم، ويتمثل في اتهام عائشة وحفصة – رضي الله عنهن – بشأن سياسة الخلافة بعد وفاة رسول الله ﷺ، وفيما وقع بين عائشة والصحابة رضي الله عنهم في مقتل عثمان بن عفان ﷺ ووقعة الجمل.

– قلة وندرة كتب المستشرقين المترجمة التي تتحدث عن أمهات المؤمنين–رضي الله عنهن– بشكل تفصيلي ؛ حيث اعتمدت على الكتب المؤلفة عن حياة محمد صلى الله علية وسلم وسيرته ، وذلك أنها ذكرت أزواجه أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن – ضمناً لهذه السيرة .

– ينبغي للباحثين المسلمين أن يسعوا جاهدين لإنشاء مراكز ولجان متخصصة في نشر السيرة النبوية الصحيحة بعدة لغات وبثها في أصقاع الأرض بكل الوسائل الممكنة والمتاحة.

الفهارس

أ- فهرس الآيات القرآنيّة

الآية	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
{ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}	آل عمران	٨٥	٢٠٥
{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ }	آل عمران	١٠٢	٧
{يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً}	النساء	١	٧
{وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ}	النساء	٣	٦٦
{وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا}	النساء	١٢٨	**خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**
{وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ}	الأنعام	١٢٤	٢٠٣
{فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ	الأعراف	١٥٩	١١٥

الآية	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}			
{لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ }	التوبة	١٢٨	٣٠٩
{فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ}	يوسف	١٨	٢٣٠
{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ}	الرعد	٣٨	٣٥
{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ}	النحل	١١٢	٣١٠
{وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا}	الإسراء	٣٣	٢٨٧
{أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا}	مريم	٥٨	٢٣٤
{وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا	النور		٢٣٠

رقم الصفحة	رقم الآية	اسم السورة	الآية
	٢٢		أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}
٢٩٧	٤	النور	{ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ }
٢٣٠	١١	النور	{إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ}
٨٠	٣١	النور	{ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}
٢٤٨	٣٢- ٣٣	الأحزاب	{يَانِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ

الآية	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا }			
{ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا }	الأحزاب	٢٨- ٢٩	٢٧٥
{النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ}	الأحزاب	٦	٦٨
{النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ}	الأحزاب	٦	٨
{النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ}	الأحزاب	٦	١٧٣
{وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا }	الأحزاب	٣١	١٧٣
{ يَانِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا}	الأحزا ب	٣٢	١١٣
{وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ	الأحزاب	٣٣	٧٦

رقم الصفحة	رقم الآية	اسم السورة	الآية
			وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا}
٥٧	٣٤	الأحزاب	{وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا }
١٢٥	٣٧	الأحزا ب	{وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا}
٦٤	٥٠	الأحزاب	{يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا}
٨٠	٥١	الأحزا ب	{تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ

رقم الصفحة	رقم الآية	اسم السورة	الآية
			كُلُّهُـنَّ وَاللَّهُ يَعْلَـمُ مَـا فِي قُلُـوبِكُمْ وَكَـانَ اللَّهُ عَلِيمًـا حَلِيمًا}
٦٦	٥٢	الأحزاب	{لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ]
٧٨	٥٣	الأحزاب	{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا}
١٠٨	٥٧	الأحزا ب	{إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا}
٧٨	٥٩	الأحزاب	{يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا}
٧	٧٠- ٧١	الأحزاب	{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا

الآية	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
(٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}			
{وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى}	النجم	٣-٤	٨١
{عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}	الممتحنة	٧	٥٥
{يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}	التحريم	١	١٢٩
{قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ }	التحريم	٢	١٢٩
{ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}	التحريم	١١	١٦٦
{يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥)}	المدثر	١-٥	١٥٥
{ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (١٩)}	القيامة	١٦-١٩	٢٤٦
{سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى}	الأعلى	٦	٢٤٦

الآية	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
{وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى}	الضحى	٨	١٩٨
{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}	العلق	١- ٥	٩٥

ب- فهرس الأحاديث النَّبويّة

ج- فهرس الأعلام المترجم لهم

ح-فهرس المصادر والمراجع

١. الأبطال، توماس كارليل (ط ٣)، ترجمة: محمد السباعي، الناشر: مكتبة مصر.
٢. أثر الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، محمد خليفة، (ط ١)، الناشر: الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.القاهرة.
٣. أجنحة المكر الثلاثة – التبشير – الاستِشراق — الاستِعمار، عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني، ط٨، (دار القلم، دمشق).
٤. الأحاديث المختارة: المؤلف: الضياء المقدسي، المتوفى: ٦٤٣هـ، المحقق: عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، الناشر: مكتبة النهضة الحديثة – مكة المكرمة، الطبعة: الثالثة، ٢٠٠٠م.
٥. أحاديث أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – مرتضى العسكري ط الخامسة، مكتبة أهل البيت الإسلامية.
٦. الإخنائية (أو الرد على الإخنائي) أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني تحقيق أحمد بن مؤنس العنزي ط الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م دار الخراز جدة.
٧. آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، دراسة نقدية، عمر إبراهيم رضوان، (رسالة جامعية من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، دار طيبة).
٨. الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، أدوار سعيد، ترجمة: محمد عناني، (دار رؤية، ٢٠٠٦م)..
٩. الاستشراق أهدافه ووسائله دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون، محمد فتح الله الزيادي، ط١، (دار قتيبة، ١٤٢٦هـ).
١٠. الاستشراق في السيرة النبوية، عبد الله محمد النعيم، (المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١٧هـ).
١١. الاستشراق في الميزان، منذر معاليقي، (نشر المكتب الإسلامي بيروت، ١٤١٨هـ).

١٢. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، محمود زقزوق، (دار المعارف القاهرة).
١٣. الاستشراق والدراسات الإسلامية، علي إبراهيم النملة، ط١، (مكتبة التوبة الرياض، ١٤١٨هـ).
١٤. الاستشراق ومناهجه في الدراسات الاستشراقية المنصفة -سعدون الساموك، الناشر: دار المناهج للنشر، ط الأولى ١٤٣١هـ.
١٥. الاستشراق وموقفه من السنة النبوية – فالح الصغير، الناشر: مجمع الملك فهد، ط الأولى ١٤٢٥هـ.
١٦. الاستشراق، مازن مطبقاني، (كلية الدعوة بالمدينة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية).
١٧. الاستيعاب في معرفة الأصحاب يوسف بن عبد الله النمري القرطبي تحقيق علي محمد البجاوي ط الأولى، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م دار الجيل، بيروت.
١٨. أسد الغابة في معرفة الصحابة: المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، المحقق: علي محمد معوض-عادل أحمد عبدالموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، سنة النشر: ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
١٩. الإسلام والعرب – روم لاندو، ترجمة منير البعلبكي، ط الأولى، الناشر: دار العلم للملايين.
٢٠. الإسلام ورسوله في فكر هؤلاء (برنارتو، برتداند راسل، موير وليام) – أحمد حامد، الناشر: دار الشعب.
٢١. الإصابة في تميز الصحابة لابن حجر العسقلاني تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض ط الأولى ١٤١٥ هـ دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٢. افتراءات المستشرقين على الإسلام عرض ونقد -عبد العظيم إبراهيم المطعني، الكتروني مكتبة المهتدين.

٢٣. افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية، عبد المنعم فؤاد، ط ١٤٢٢ هـ، مكتبة العبيكان.
٢٤. افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام، عبد المنعم فؤاد، ط الأولى ١٤٢٢ هـ، مكتبة الرياض..
٢٥. إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، مالك بن نبي، ط: الأولى ١٣٨٨ هـ.
٢٦. أنساب الأشراف للبلاذري، تحقيق سهيل زكار ورياض الزركلي، ط الأولى ١٤١٧ هـ، دار الفكر.
٢٧. آيات آل البيت، منصور حمد العيدي، ط الأولى، الدرر السنية ،١٤٢٨ هـ.
٢٨. البداية والنهاية لابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، ط ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م ، دار الفكر.
٢٩. تاج العروس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الزَّبيدي، (دار الهداية).
٣٠. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، المؤلف: شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: عمر عبدالسلام التدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
٣١. تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية ١١-٤٠هـ، محمد سهيل طقوش، ط٢، (١٤٣٢ - ٢٠١١، دار النفائس).
٣٢. تاريخ الخلفاء جلال الدين السيوطي، تحقيق حمدي الدمرداش، الطبعة الأولى، مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
٣٣. تاريخ الشعوب الإسلامية، بروكلمان، ترجمة نبيه أمين ومنير البعلبكي، ط الخامسة، دار العلم للملايين.
٣٤. تاريخ العرب وحياة محمد - الكونت دوبولانفيليه، ترجمة مصطفى التواتي، منشورات كارم.
٣٥. تاريخ القرآن المستشرق نولدكه ترجمة ونقد الوحي إلى محمد بين الانكار والتفسير،

د/ رضا محمد الدقيقي، ط الثانية، دار النوادر، ١٤٣٢ هـ.

٣٦. تاريخ دمشق: المؤلف: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٣٧. تراجم سيدات النبوة، عائشة عبد الرحمن، ط الأولى، ١٤٠٧ هـ، دار الريان للتراث.

٣٨. تعدد الزوجات في الإسلام الرد على افتراءات المغرضين -إبراهيم محمد الجمل، الناشر: دار الاعتصام.

٣٩. تعدد الزوجات في الإسلام وحكمة التعدد في أزواج النبي دحض شبه ورد مفتريات – عبد التواب هيكل، ط الأولى ١٤٠٢هـ، الناشر: دار القلم.

٤٠. تفسير ابن كثير، تحقيق سامي بن محمد سلامة، ط الثانية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، دار طيبة للنشر والتوزيع.

٤١. تفسير البغوي ط الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م دار طيبة.

٤٢. تفسير الطبري = جامع البيان في تأويل القرآن: المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٤٣. التفسير الوسيط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، ط١، (دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م)،

٤٤. التكميل في الجرح والتعديل ومعرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، ط الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة،

اليمن.

٤٥. التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير: المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: أبو عاصم حسن بن عباس بن قطب، الناشر: مؤسسة قرطبة – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٤٦. تهذيب التهذيب: المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.

٤٧. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري، ط١، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م).

٤٨. حضارة العرب – غوستاف، ترجمة: عادل الزعيتر، ط الأولى، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٤٩. حقبة من التاريخ، عثمان بن محمد الخميس، ط الثالثة، مكتبة الإمام البخاري مصر–الإسماعيلية.

٥٠. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة – بجوار محطة مصر، ١٣٩٤هـ–١٩٧٤م.

٥١. حياة النبي والمشكلة الاجتماعية لأصول الإسلام – ماكسيم رودنسون، ترجمة وتعليق زينب رضوان، الناشر: مجلة الفكر العربي.

٥٢. حياة محمد – ارفنج، ترجمة: علي حسيني الخربوطلي، الناشر: دار المعارف بمصر، ط الأولى.

٥٣. حياة محمد – إميل درمنغم.ترجمة عادل زعيتر، الناشر: دار العالم العربي، ط الأولى.

٥٤. حياة محمد، إيرفنج، ترجمة علي حسني، ط الأولى، دار الأهلية ٢٠١٤.

٥٥. حياة محمد صلى الله عليه وآله وسلم محمد حسين هيكل، ط الرابعة عشر، دار المعارف.

٥٦. دائرة المعارف الإسلامية، بطرس البستاني، مطبعة الأدبية في بيروت..

٥٧. دراسات في حضارة الإسلام – هاملتون جب، ترجمة: إحسان عباس.محمد يوسف نجم.محمود زايد، ط الثالثة، الناشر: دار العلم للملايين.

٥٨. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: مراقبة / محمد عبدالمعيد ضان، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية – صيدر آباد/ الهند، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

٥٩. الدعوة إلى الإسلام – توماس كارليل، ترجمة: حسن إبراهيم، عبد المجيد عابدين، ط الأولى، الناشر: مكتبة النهضة المصرية.

٦٠. دفاع عن الإسلام المستشرقة – لورافيشيا فاغليري، ترجمة منير البعلبكي، عرض وتعليق طه مصطفى، الكتروني.

٦١. رحمة للعالمين، محمد سليمان المنصور فوري، ترجمه من الأردية إلى العربية: د. سمير عبد الحميد إبراهيم، ط الأولى، دار السلام للنشر والتوزيع — الرياض.

٦٢. الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، ط الأولى دار الهلال — بيروت.

٦٣. رد شبهات حول عصمة النبي — صلى الله عليه وسلم – في ضوء السنة النبوية الشريفة، عماد السيد محمد إسماعيل الشربينى، رسالة دكتوراه جامعة الأزهر، مطابع دار الصحيفة، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م.

٦٤. رد علماء المسلمين على شبهات الملحدين والمستشرقين – محمد ياسين، ط الأولى ١٤٢٩هـ، الناشر: مكتبة الإيمان.

٦٥. ردود على شبهات المستشرقين -يحي مراد، الكتروني، مكتبة المهتدين.

٦٦. الرسول الأعظم في مرآة الغرب، عبد الراضي محمد عبد المحسن، (جامعة القاهرة).

٦٧. الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة -محمد شريف الشيباني الكتروني

الناشر: مكتبة المهتدين.

٦٨. الرسول محمد، بودلي، ترجمة محمد فرج جودة السحار، الكتاب العربي بمصر، مطبوعات مكتبة مصر.

٦٩. الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين –نذير حمدان، الكتروني الناشر:مكتبة المهتدين.

٧٠. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٢ هـ..

٧١. زاد المعاد في هدي خير العباد ابن قيم الجوزية ط: السابعة والعشرون مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ١٤١٥ هـ /١٩٩٤ م..

٧٢. زواج النبي محمد ﷺ وزوجاته الطاهرات درء الشبهات – زهدي جمال الدين، الكتروني، الناشر: المكتبة الكاملة لجميع مؤلفات زهدي جمال.

٧٣. الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام عبدالسلام الترمانيني عالم المعرفة سلسة كتب ثقافيه يصدرها المجلس الوطني للثقافة بالكويت..

٧٤. زوجات الرسول بين الحقيقة والافتراء – بيل لوقا، الناشر: دار الشروق.

٧٥. زوجات النبي محمد وأسرار الحكمة في تعددهن، إبراهيم الجمل، ط الثانية.

٧٦. زوجات النبي وحكمة تعددهن ،عبدالغني عبد الرحمن، مكتبة مدبولي، جامعة الأزهر.

٧٧. السنا الوهاج في سن عائشة عند الزواج، فهد الغفيلي، ط الأولى، دار الأصمعي ١٤٣٢ هـ.

٧٨. سنن ابن ماجه: المؤلف: ابن ماجة أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.

٧٩. سنن أبي داود: المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين

عبدالحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
٨٠. سنن الترمذي = الجامع الكبير: المؤلف: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨م.
٨١. سنن الدارقطني: المؤلف: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ)، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الارنؤوط، حسن عبدالمنعم شلبي، عبداللطيف حرز الله، أحمد برهوم، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.
٨٢. السنن الصغرى للنسائي =المجتبى من السنن: المؤلف: أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
٨٣. السنن الكبرى: المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبدالقادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
٨٤. سير أعلام النبلاء: المؤلف: شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الحديث- القاهرة، الطبعة: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
٨٥. سيرة الرسول في تصورات الغربيين - جوستاف بفانموللر، ترجمة محمود حمدي زقزوق، الكتروني، الناشر: مكتبة المهتدين.
٨٦. سيرة السيدة عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - السيد سليمان الندوي الحسيني، عربه وحققه وخرج أحاديثه محمد رحمة الله حافظ الندوي (ط: الأولى / ١٤٢٤ هـ) دار القلم.

٨٧. السيرة النبوية في دائرة المعارف البريطانية، وليد بن بليهش العمرى، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة..

٨٨. السيرة النبوية لابن إسحاق، محمد بن إسحاق، تحقيق أحمد فريد، دار الكتب العلمية ٢٠٠٤ م.

٨٩. السيرة النبوية لابن كثير، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت.

٩٠. السيرة النبوية لابن هشام عبد الملك بن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي ط الثانية، ١٣٧٥ هـ – ١٩٥٥ م شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٩١. السيرة النبوية وأوهام المستشرقين –عبد المتعال الجبري – الناشر مكتبة وهبه.

٩٢. السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون – سفاري، ترجمة: محمد عبد العظيم، نقد وتحقيق: عبد المتعال الجبري، الناشر: دار الدعوة، ط الأولى ١٤١٤هـ.

٩٣. سيرة النبي ﷺوالمستشرقون –محمد مهر علي، مجمع الملك فهد.

٩٤. شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسولﷺ، محمد علي الصابوني، ط ١٤٠٠ هـ.

٩٥. شبهة المستشرقين حول النبوة والدعوة عرض ونقد –محمد زين العابدين، رسالة جامعيه، جامعة الأزهر.

٩٦. شخصية الرسول ﷺفي كتاب محمد وعقيدته –تورآنديه، إعداد عبدالحق التركماني، الناشر: مركز البحوث الإسلامية بالسويد.

٩٧. شذرات الذهب في أخبار من ذهب: المؤلف: عبدالحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ)، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبدالقادر الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ–١٩٨٦م.

٩٨. شرح صحيح البخاري لابن بطال أبو تميم ياسر بن إبراهيم ط: الثانية مكتبة

الرشد السعودية، الرياض، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م..

٩٩. شمس العرب تسطع على الغرب، زيغريد هونكة، ترجمة كمال دسوقي، فاروق بيضون، ط الثامنة، نشر دار الجيل.

١٠٠. الصحاح في اللغة، إسماعيل بن حماد الجوهري، ط٤، (دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧ هـ).

١٠١. صحيح ابن حبان = الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

١٠٢. صحيح ابن خزيمة: المؤلف: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: د. محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت

١٠٣. صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه: المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٠٤. صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبدالباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٠٥. الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم، علي بن يونس العاملي البياضي، ط: الحيدرية مكتبة المرتضوية.

١٠٦. صور من افتراءات المستشرقين حول الرسول محمد ﷺ وبيان بطلانها - بهجة

كامل عبد اللطيف، جامعة بغداد، الناشر مركز إحياء دار التراث العلمي العربي ١٤٣٠هـ.

١٠٧. الطبقات الكبرى، المؤلف: أبو عبدالله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠ م

١٠٨. الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف علي بن موسى بن طاووس الحسيني (ط: ١٤٠٠ هـ) الخيام..

١٠٩. عصر النبوة والخلافة الراشدة، فاضل الكبيسي ط: الأولى ١٤٢٥ هـ.

١١٠. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١١١. العواصم من القواصم لابن العربي، تحقيق محب الدين الخطيب، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف (السعودية)، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ.

١١٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبدالباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبدالعزيز بن عبدالله بن باز.

١١٣. فلسفة الاستشراق، أحمد سمايلوفتش، ط: الرابعة.

١١٤. القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ط ٨، (مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٢٦ هـ)قصة الحضارة – ول ديورانت، ترجمة زكي نجيب محمود، تقديم محي الدين صابر، الناشر: دار الجيل.

١١٥. قصة الحضارة، وِل ديورَانت، تقديم الدكتور محيي الدّين صَابر ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين، ط ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م، دار الجيل، بيروت – لبنان.

١١٦. قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية نقد مطاعن ورد شبهات، فضل حسن عباس، دار البشير.

١١٧. الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١،(١٤١٧هـ، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان)

١١٨. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي ابن منظور، ط٣، (دار صادر، بيروت، ١٤١٤ هـ)

١١٩. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المؤلف: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

١٢٠. محمد المثل الأعلى – توماس كارليل، ترجمة: محمد السباعي، الناشر: مكتبة الآداب بالقاهرة.

١٢١. محمد النبي ورجل دولة، مونتجمري وات، ترجمة حمود حمود، ط الأولى، دار التكوين ٢٠١٤.

١٢٢. محمد رسول الله – آتين دينيه، ترجمة: عبد الحليم محمود، الناشر: مكتبة الإيمان.

١٢٣. محمد في المدينة – مونتجمري وات، ترجمة شعبان بركات، ط الأولى، الناشر: المكتبة العصرية.

١٢٤. محمد في مكة – مونتجمري وات، ترجمة: عبد الرحمن الشيخ، ط الأولى، الناشر: الهيئة المصرية العامة.

١٢٥. محمد نبي لزماننا – كارين ارمسترونج، ترجمة: فاتن الزلباني، ط الأولى، الناشر: مكتبة الشروق.

١٢٦. محمد وخلفاؤه – واشنطن ارفنج، ترجمة: هاني يحيى، ط الأولى، الناشر: المكتب الثقافي العربي.

١٢٧. محمد ﷺ بين الحقيقة والافتراء في الرد على الكاتب اليهودي الفرنسي مكسيم

رودنيسون –محمد محمد أبو ليله، ط الأولى، الناشر دار للجامعات.
١٢٨. مذاهب التفسير الإسلامي، أجناس جولد تسيهر، ترجمة عبد الحليم النجار (ط: ١٣٧٤ هـ)، مكتبة الخانجي بمصر، مكتبة المثنى ببغداد..
١٢٩. المستدرك على الصحيحين، المؤلف: أبو عبدالله الحاكم محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
١٣٠. المستشرقون – نجيب العقيقي، الناشر: دار المعارف بمصر، ط الثالثة.
١٣١. المستشرقون المعاصرون فليب حتى عصر النبوة والخلافة فاضل الكبيسي دار الفرقان عمان..
١٣٢. المستشرقون ما لهم وما عليهم، مصطفى السباعي، (دار الوراق المكتب الإسلامي).
١٣٣. المستشرقون والدراسات القرآنية، محمد حسين علي الصغير ط:١ ١٤٢٠هـ.
١٣٤. المستشرقون والقرآن الكريم محمد أمين حسن ط الأولى دار الأمل الأردن ٢٠٠٤ م.
١٣٥. مسند أبي يعلى، المؤلف: أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: ٣٠٧هـ)، المحقق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
١٣٦. مسند الإمام أحمد بن حنبل: المؤلف: أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبدالله بن عبدالمحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
١٣٧. المصادر الخيالية في دراسات المستشرقين محمد بهاء مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية العدد السادس ١٤٢٦ هـ.

١٣٨. مع المفسرين والمستشرقين، زاهر الألمعي، ط الرابعة ١٤٠٣ هـ.
١٣٩. مع المفسرين والمستشرقين في زواج النبي بزينب بنت جحش – زاهر عواض الألمعي، ط الرابعة.
١٤٠. معجم افتراءات الغرب على الإسلام – أنور محمود زناتي، الكتروني، الناشر: موقع نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم.
١٤١. المعجم الأوسط، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين – القاهرة.
١٤٢. المعجم الكبير: المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية.
١٤٣. المغني، لابن قدامة عبد الله بن قدامة المقدسي، مكتبة القاهرة ١٣٨٨ هـ.
١٤٤. المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام، جمع وإعداد الباحث في القرآن والسنة علي بن نايف الشحود، كتاب الكتروني، المكتبة الشاملة.
١٤٥. مناهج المستشرقين ومواقفهم من النبي عرض ونقد –رياض حمد العمري، رسالة جامعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
١٤٦. منهاج السنة النبوية أحمد بن عبد الحليم بن تيمية مؤسسة قرطبة ط الأولى ١٤٠٦ هـ..
١٤٧. موجز دائرة المعارف الإسلامية إبراهيم زكي، عبدالحميد يونس، أحمد الشنتناوي ط الأولى مركز الشارقة للإبداع الفكري.
١٤٨. موسوعة العقاد الإسلامية، محمود عباس العقاد، ط الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت.
١٤٩. موسوعة المستشرقين – عبدالرحمن بدوي، ط الثالثة، الناشر: دار العلم للملايين.
١٥٠. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، المؤلف الندوة العالمية للشباب الإسلامي،

إشراف وتخطيط ومراجعة: مانع بن حماد الجهني ط: الرابعة.

١٥١. موسوعة دائرة المعارف الإسلامية – تحقيق: إبراهيم خورشيد، أحمد الشنتاوي، عبد الحميد يونس، عبدالرحمن الشيخ، ط الأولى، الناشر: مركز الشارقة للإبداع الفكري.

١٥٢. الموطأ، مالك بن أنس، تحقيق محمد الأعظمي، ط الأولى، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، ١٤٢٥.

١٥٣. موقف الدراسات الاستشراق من السنة والسيرة النبوية – اكرم ضياء العمري، الناشر كلية الدعوة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

١٥٤. موقف المستشرق إميل درمنغم من زواج النبي ﷺبأمهات المؤمنين – شايق عطا الله الرحيلي، رسالة جامعيه.

١٥٥. موقف المستشرق سيديو من السيرة النبوية دراسة نقدية –سلطان عمر الحصين إشراف حامد غنيم، رسالة جامعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤١٣هـ.

١٥٦. موقف المستشرقين من السنة – إمامة محمد الحبال، ط الأولى، الناشر: دار الفيحاء.

١٥٧. موقف المستشرقين من السيرة النبوية تطابق المظهر واختلاف المضمون –قاسم جواد الجيزاني، كلية التربية قسم التاريخ الجامعة المستنصرية (بحوث محكمه).

١٥٨. موقف المستشرقين من الصحابة –سعد عبدالله الماجد، ط الأولى، الناشر دار الفضيلة ١٤٢٥هـ.

١٥٩. نبوة محمد في الاستشراق الفرنسي المعاصر –عبدالحكيم فرحات، الكتروني الناشر: مكتبة المهتدين.

١٦٠. نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر – خضر شايب، الناشر: مكتبة العبيكان.

١٦١. نصب الراية لأحاديث الهداية مع حاشيته بغية الألمعي في تخريج الزيلعي:

المؤلف: جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف بن محمد الزيلعي (المتوفى: ٧٦٢هـ)، قدم للكتاب: محمد يوسف البنوري، صححه ووضع الحاشية: عبدالعزيز الديوبندي الفنجاني، إلى كتاب الحج، ثم أكملها محمد يوسف الكاملفوري، المحقق: محمد عوامة، الناشر: مؤسسة الريان للطباعة والنشر - بيروت -لبنان/ دار القبلة للثقافة الإسلامية- جدة - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

١٦٢. نظرة جديدة في سيرة الرسول - كونستانس جيورجيو، ترجمة محمد التونجي، ط الأولى، الناشر: الدار العربية للموسوعات.

١٦٣. الوافي بالوفيات، خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت ١٤٢٠ هـ.

١٦٤. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت.

فهرس الموضوعات